

مذکر افندیج



حكايات
مذكرات فون هيندنبورج

تاريخ حياة المارشال فون هيندنبورج مع أعماله في الحرب الكبرى

Aus Meinem Leben

وضع

الفيلد مارشال فون هيندنبورج

رئيس أركان بحرب الجيوش الألمانية

عبره

أحمد رفعت

مديلاً

بدليل عن أهم المدن والأماكن التي حدثت فيها وقائع الحرب العظمى

(مشروح شرحاً وافياً)

الجزء الأول

يطلب من المكتبة التجارية باول شارع عجا

لصاحبها مصطفى محمد

شركة دار الطباعة الفنية

المستهل

اننى بتدوين هذه المذكرات لم اقصد مجرد التسلي بالكتابة وإنما اطعت
عوامل الحث التى كنت تحت تأثيرها .

ولا ازيد أن أضع مؤلفا تاريخيا بل أريد أن اصنف التأثيرات التى
شعرت بها فى مدى حياتى وايضاح المبادئ التى رأيت بمقتضاها انه
يجب على أن ارتب آرائى وأعمالى وأنى بعيد عن التفكير فى وضع كتاب
للتبشير أو للانتقاد وعلى الأخص لكتابة ما تشتم منه رائحة الثناء على
نفسى . ولقد فكرت وعملت وأنا إنسان كسائر الناس وارتكبت ما بدر
منى من الهفوات وأنا كرجل من أفراد الرجال . ولم أكن منقاداً فى حياتى
وفى أعمالى برغبة تلقى عبارات امتناء على والاعتجاب بي من أي شخص
كائنا من كان بل باقتناعى الخاص وبواجبى وبضميرى .

ولقد كتبت هذه الذكريات فى أتعس الأوقات التى اجتازها وطننا
ومع ذلك فأننى وأنا أكتبها لم أشعر برزوحى تحت عبء اليأس الباهظ
الآليم . بل كنت أنظر وسأظل أنظر على الدوام بغير تزعزع أو تلفت إلى
عمل والى أمامى على خط مستقيم .

وانى أقدم هذا الكتاب الى كل أولئك الذين حاربوا معى على الجبهة
أو فى الداخل لاجل عظمة وبقاء الامبراطورية الألمانية .

سبتمبر سنة ١٩١٩

القسم الأول

ماضى حياتى الى عام ١٩١٤

اعوام السلم وسنوات الحرب

شبيبتي

فى ليلة من ليالى الربيع فى عام ١٨٥٩ وأنا طفل لا أنحطى الحادية عشرة من العمر ودعت أبى عند سياج المدرسة الحربية وهلست بـ بـسليزيا . ولم يكن هذا الوداع موجها الى أبى المحبوب جداً فقط بل كان موجها الى حياتى الماضية أيضاً . ولقد أجرى هذا الشعور مداً ممتداً ولكن فكرة مرت على بالى بـمرة البرق وهى : « أنه فى هذا الموقف لا يجب التظاهر بالضعف ولا البكاء » فاطرحت آلام الطفولة جانبا ، وانضمت الى زملائى وأنا أجاهد عواطفى .

ولم يكن اندماجى فى حياة الجندي نتيجة تصميم حديث بل هو أمر طبيعى . فأننى كنت فى كل ألعاب الطفولة وتصوراتها كلما أردت أن أنمى طريقة للتسلل وقع اختيارى على الشؤن الحربية . وذلك لأن خدمة الملك والوطن بالسلاح كانت عادة قديمة متبعة فى أسرنا .

ولقد كان أول ظهور اسرتنا في عام ١٢٨٠ ولا زالت تنتقل حتى انتهت الى بروسيا . وفي هذه الولاية خاض غمار الحرب مراراً عديدة افراد من عظماء الرجال يتسمون باسمى فى صفوف الفرسان التيتونيين كاخوان فى السلاح أو « كضميوف فى الحرب » ضد الوثنيين والبولونيين ثم أخذت علائقنا تزداد توثقا مع شرق ألمانيا على أثر حيازتنا أملاكاً فيها . ولقد اكتسبنا اسم هندنبورج مضافاً الى اسمائنا الأساسية أول مرة عام ١٧٨٧ . وكنا قد صاهرنا هذه الاسرة حينما كانت اسرتنا فى مارش الجديدة بعد انتقالنا من مارش القديمة .

وقد سمح الملك فردريك غليوم الثانى بضم اسم اسرتنا بعضهما الى بعض فاصبحتنا جميعاً نسمى « هندنبورج ونيكندورف » . وكان أجدادي عائشين فى نوديك على عهد طفولتى . والآل هم رقوق فى مقبرتها كرقاد أبوي وكثيرين ممن يحملون اسمى هذا فى تلك المقبرة . ولقد كنا نذهب كل عام تقريبا الى زيارة أسلافنا أثناء فصل الصيف وطالما غائبنسا مشقات الارتمال ركوباً فى المركبات الضخمة التى كانت تقودها الجياد فى الزمن السابق . وقد أحدث فى نفسى ماقصه على جدى تأثيراً شديداً إذ كان ملحقا بالآلى « فون لانجن » الى عام ١٨٠١ فقد قص علينا كيف ذهب فى فصل الشتاء الواقع ما بين عامي ١٨٠٦ — ١٨٠٧ الى قصر فينكالنستين بصفته مستشاراً زراعياً ليطلب من نابليون الأول تعطيل جميع الضرائب وكيف قبول طلبه بالرفض . وكذلك سمعت منه أنباء مروءة الفرنسيين من خلال نوديك واقامتهم بها مدداً وجيزة . وكذلك عمى القون ديرجرويين كان مولعا بسرد تفاصيل المعارك التى حدثت عام ١٨٠٧ فى تلك الجهة . فالروسيون اجتازوا القنطرة القائمة

على نهر الباسارج بجوار تلك البلدة الا أنهم عادوا مدحورين وكان أحد الضباط الفرنسيين يدافع عن أملاك عمى مع ثلة من الجنود فقتل برصاصة طلقت عليه من الشباك . ولم يحاول الروسيون اجتياز هذه القنطرة مرة أخرى الا في عام ١٨١٤

بعد وفاة أجدادى توطن أبواي في بلدة نوديك . وبهذه الطريقة أصبحت نوديك مستوطن أسرتنا الدائم . وفي تلك البقاع التي ذقت فيها حلاوة الصبا أثناء الأعوام الأولى من حياتي كنت أقضى ومعى روجى وأبنائى أيام العطلة من الاعمال متمليا بالراحة والتعميم .

وعلى هذا الاعتبار فكيفما كانت مهنتى التي احترف بها تدعونى الى الذهاب والاستيطان فى أي مكان من الوطن الألمانى فاني أشعر دائما بان الدم البروسى يجرى فى عروقى خلواً من كل شائبة.

وقد ولدت من تبعة عيسكرية فى عام ١٨٤٧ بمدينة پوزن وكان أبى حينذاك ملازما أول فى الآلاي الثامن عشر من المشاة . وكانت أمى بنت المفتش الطبى شويكارث الذى كان مقيا كذلك فى پوزن .

وكانت حياة سلالتنا كلها شريفة تقيّة متصرفة الى تأدية الواجب وان كانت بسيطة وخالية من الفخفخة ومصحوبة بتعاطب الاعمال التي يؤديها أفراد أسرتنا . وهذا هو السبب فى ان والدى لم يكن يشغل نفسه وأوقاته الا بشؤون فنه . ومع هذا فقد كان يختلس فرصا من الوقت يقضيها مع والدتى فى تهذيب ابنائهما . وكان لى اخوان أصغر منى سنا واخت . وكانت طريقة معيشة أبوي العزيزين متشعبة بالفضيلة ولكنها متجهة أيضا الى الجهات العملية من الحياة فلذا بدت عليها دلائل التناسق التام فى مظاهرها . وكانت اخلاقهما يدمم بعضها بعضا فأمى تخرج الى حياة

القناعة الشديدة وغالبا تنساق الى شواغل البال وأما أبى فخليقته اميل الى الهدوء . وقد ارتبط قلباهما برابطة شغفهما الزائد بنا حتى أنهما استطاعا أن يعملوا باتفاق تام على تهذيب ابنائهما وتنويع عقولهم . ولهذا أجد من المتعسر علي أن أقول من منهما أعظم فضلا في تأديبي وان أبين ما كان كل واحد منهم يريد أن يكون له من التأثير الخاص فيه . وحاول أبوانا أن يجعلنا أشداء الاجساد صلاب الاعواد وأن يقيضا علينا ارادة قوية تمكننا من أن نؤدى بشجاعة واجباتنا التى تنتظرنا فى خلال حياتنا على أنهما كانا يبدلان الجهد أيضا فى تربيته وانماء العواطف الانسانية فينا وان يهسديانا أحسن ما يسديه الأبوان الى ابنائهما واعنى به : الضمير المعتمد على الله مولانا وكذا حب وطننا بدرجة متناهية ، وحب تلك التى يعتقدان أنها أقوى ظهيرة لهذا الوطن وهى مملكتنا بروسيا . وقد جعلنا والدنا نحثك منذ نعومة أظفارنا بالحياة الحقة . فابقظ فينا ونحن فى حديقتنا وفى أثناء جولتنا الخارجية حب الطبيعة باظهاره محاسن الارياف اليتنا ولقنتنا معرفة الرجال وتقدير منازلهم فى حالى حياتهم وعملهم . وإنى ان قلت نحن فانما اطلق هذا الضمير على اكبر اخوي وعلي . أما تربية أختي وهى التى تحبى فى درجات السن بد اخى هذا فقد اختصت بها أمى وهذا أمر طبيعى تقتضى به العادة ، وأما أخى الاصغر فولد قبيل دخولى المدرسة الجربية بزمان وجيز

وبما أن وظيفة الجندية تقتضى تغيير الحاميات دائما فقد اضطر والدناى الى الانتقال من بوزن الى كولونيا ثم الى جراودينز (فى مقاطعة بوزن) ثم الى جلوجاوفكو توبوس . وهنا أحيى والدى على المماش وانصرف الى بلدة نوديك

ولم يستغر في ذا كرتى سوى النذر من ذكرى ما عرض لاسرتنا من
الشؤون أثناء اقامتنا في بوزن . فقد توفي جدى لامي بعد ولادتي بعمد
وجيز وكان قد أحرز وسام الصليب الحديدى في معركة كولم عام ١٨١٣
بعمفته طليبا عسكريا في احدى الوحدات المقاتلة لانه أفلح في لم شعث
طا بور مهزوم واعادته الى ميدان القتال بعد ان طاح في المعترك ضباط
الطا بور . وكانت جدتى تقص علينا غالبا كثيراً من أنباء «العهد الفرنسى»
وهو ذلك العهد الذى كانت مقيمة أثناءه في بوزن وهى لا تزال شابة .
ولا أزال أرى حتى اليوم بستانيا من اتباع أجدادى أدى الخدمة مدة
أربعة عشر يوما تحت حكم فردريك الكبير وبهذه الرؤية يراسل الى بنوع
ما آخر شعاع من شمس الماضى المملوء بمجد فردريك الكبير .

وفي عام ١٨٤٨ اشتعلت نيران الثورة البولونية وامتد لهيبها الى مدينة
بوزن . فذهب أبى الى آلايه لاطفاء جذوة هذه الثورة . وقد تحمك
البولونيون مدة من الزمن في شؤون هذه المدينة . وكان من الحتم اضاءة
المدينة احتفاء بدخول زعيم الثائرين البولونيين ميروسلاوسكى . وقد
اضطرت أمى الى الاشتراك في معالم هذه الحفاوة ولكنها استقرت في
مسكنها وأخذت تعزى نفسها وهى جالسة بجانب مها رى بتوجيه فكرها
الى ان هذا اليوم نفسه وهو ٢٢ مارس هو يوم عيد «أمير بروسيا»
وباعتقارها ان الانوار المزدانة بها توافد العرفة المطلة على الشارع انما هى
بحسب ما استقر في نفسها احتفاء منها بعيد ذلك الأمير . وبعد انقضاء
ثلاث وعشرين سنة على ذلك العهد شاهد الطفل الذى كان في المهاد
حفلة تويج الأمير البروسى سابقا امبراطوراً للمالك الالمانية المتحدة تلك
الحفلة التى أقيمت في الرواق الزجاجى بضاحية فرساي للامبراطور غليوم الاول

ولم يطل عهد اقامتنا بـكولونيا ولا بـجراردنز . واحفظ من آثاركولونيا
بذكر كـتـدرائـتها الفخمة التي الى ذلك الحين لم يكن قد استتم تشييدها .
وأما في بين فقد ترأس أبى جريا على مألوف ذلك الوقت مدة أربعة
أعوام بلوكا من اللاندوهر ولم يكن مستغرق الوقت في تأدية عمله حتى انه
في أثناء هذه السنوات التي ابتدا عـقـلى بـصـفـتى طفلا أن يتيقظ فيها
استطاع أن يتفرغ بنوع خاص لاطفاله . فلقتني علم تخطيط البلدان واللسان
القرسوى بينما كان كوبيلت استاذى في المدرسة الذى لا أزال حتى
اليوم أحفظ له ذكر فضله بـعـلمـني التلاوة والكتابة والحساب . ومن ذلك
العهد ابتدا ايتارى علم الجغرافيا على ما سواه وهو الايتار الذى عرف أبى
كيف يبعثه في نفسى بطريقة التلقين الواضحة المقوية للنشاط جسداً .
وأمدتني أـمـى بأول التعاليم الدينية في ألفاظ تحدثت الى قلبي . وفي أثناء
هذه السنوات وبفضل هذه الطريقة التعليمية كانت علاقتي مع والدي
تزداد توفها على الدوام وهى تلك العلائق المرتكزة بالتأكيد على سلطة مطلقة .
تحرك لدينا نحن الاطفال في الوقت نفسه شعوراً لا حد له من الثقة أكثر
من الخضوع الاعمى الى تسلط شديد القسوة .

وبين هـى بلدة صغيرة تناخم احدى اقطاعات الاشراف . وهذه
اللزعة ملك سيدة تدعى فون رابارت كنا نذهب الى ضيعتها غالباً .
ولم يكن لهذه السيدة أطفال غير انها كانت تحب الاحداث كثيراً . وكان
أخوها ما سنباخ مقباً على مقربة منها في اقطاعية بـيـالوكوسز فوجدت بين
أطفاله العديدين عدة رفاق حميدى العشرة . وظلت ذكرى بين دائرة التردد
على ذا كرتى . وعند ما كنت قافلاً من بوزن في خريف عام ١٩١٤ عـطـقت
على تلك البلدة الصغيرة زائراً وولجت وعلى مسحة من النائر البيت الصغير

الوديع الذى كان موجوداً فى قسم القرية التى قضينا بها سابقاً حياة أسرة متمتعة بأوفر نصيب من السعادة . ومالك المزرعة الحالى هو بن احد رفقاتى فى اللعب سابقاً وهذا الرفيق قضى نحبه منذ زمن ما .

وفى مدة اقامتنا بجولوجا وطلبت المدرسة الحرية بعد أن قضيت عامين فى هذه البلدة بمدرسة الاقليم وبالكليّة الانجيلية . ولقد سمعت انهم حفظوا لى ذكرى حسنة فى جولوجا واذ علقوا على البيت الذى اقمنا به غابراً لوحة تاريخية تذكر بمهد اقامتى فى هذه المدينة . ورأيت جولوجا للمرة الثانية بانبهاج حينما كنت رئيس البلوك الحميم بالمدينة المجاورة لها وهى قروستادت ..

ولو ألقيت نظرة الى الماضى على الشطر الذى نعتة من حياتى فيما تقدم من السطور لوجب علي أن أقول أن تأديبى الاول كان متركزاً على أصح المبادئ . وهذا هو السبب فى اننى عندما تركت منزل أبوى استشعرت ثقل ما خلقت ورأى ولكننى كنت شاعراً بجلال ما استودعاه نفسى للمشاركة على اجتياز طريق الحياة ولم انخل عن هذا الشعور طول حياتى .

واستطعت أن أتنعم وقتاً طويلاً بحب أبوى المتجدد دائماً والذى لم يطرأ عليه أى فتور وهو الحب الذى شمل فيما بعد زوجى وأبنائى . وفقدته والدتى وأنا قائد آلاى وانتقل أبى من الحياة الدنيا قبل قيادتى الفليق الرابع بمدة وجيزة .

ويمكن القول بتمام الحرية والاخلاص ابن المديشة فى المدرسة الحرية البروسية كانت شاقة فى ذلك العهد . وكان أساس التربية والتسلية فيها قائماً على انماء الجسم وتقوية الارادة . وكان الاهتمام بقوة العمل والابتهاج يتحمل التبعة يضارع الاهتمام بتلقى العلوم . ولم يكن فى هذه الطريقة

التعليمية شيء من التعصب الى رأى بل كانت عليها مسحة من القوة . فكل امرئ كان في وسعه بل كان من الواجب عليه أن يقوى بنهم الحرية مزياه الشخصية الخاصة به على شرط أن تكون سليمة من كل شائبة . وكان يوجد في هذا التعليم أثر من روح يورك من ذلك الروح الذى يفهم غالباً فهماً سيئاً من الانتقادات العرضية التى توجه اليه . وإذا كان يورك فى الحقيقة ازاء نفسه وازاء سواء معلماء ومؤدباء شديداً فهو بالمثل كان يطالب لجميع رؤسياه حق وواجب العمل باستقلال كما يتمسك هو نفسه بهذا الاستقلال فى معاملة كل انسان . وهكذا أصبح روح يورك لافى شدته العسكرية فقط بل فى حريته أيضاً أحد المميزات القيمة التى اختص بها بجيشنا

ولا أقدر أن أقفه ذلك الاهتمام العظيم الذى توجهه كافة المدارس الاخرى الى تعليم اللغات الميتة ذلك التعليم المتبع فى المدارس الثانوية . لان الفائدة العملية من تلقى هذه اللغات لا تتضح لى جلياً . فانا شئنا أن نجعل هذه اللغات وسيلة لبلوغ احدى الغايات فان دراستها تستغرق شرطاً كبيراً جداً من برامج التعليم وتتقاضى عملاً جماً . وباعتبارها دراسة خاصة فهى ليست من مقتضيات الشباب . وكان بودى ولو اعتبرت كغيبى مغلق الذهن ان تؤثر تلك المدارس تعليم اللغات الحية والتاريخ الحديث واللغة الالمانية والجغرافيا وفن ترويض الاعضاء على اللغتين الافريقية واللاتينية . وهل من الضرورى أن يعتبر فى الميزة الأولى على عهدنا هذا ما كان يعتبر أساساً للتعليم فى الازمنة الوسطى الحافلة بالظلام ؟ ألم نتخذ لنا منذ تلك الازمنة بعد حروب طاحنة وشغل ناصب تاريخاً خاصاً بنا وآداباً وفنوناً مختصة بنا ؟ ألسنا فى عوز الى اللغات الحية أكثر من احتياجنا

الى اللغات الدارسة لنشغل مكاننا الحقيقي في العلاقات العامة بين الشعوب المنتشرة على وجه الارض ؟

ولا ينبغي استخلاص أى جنوح الى امتحان الاعصر العتيقة من خلال ما أوضحته . بل على العكس لقد كان لتاريخ تلك الاعصر استهواء عظيما لى وأنا لا أزال فى ليونة الشباب . وكنت شغوفا على الاخص بالتاريخ الرومانى . وكان له على شبه نفوذ أكاد أحسبه سحرأ وهو شعور ازداد تأثيره لدى فيما بعد عند ما قصدت روما اذ انضح لى ان المباني والآثار العتيقة الموجودة فى تلك المدينة القديمة الخالدة اجتذبتنى أكثر من أعمال النهضة الايطالية الحديثة .

أن المعرفة الدقيقة التى كانت حاصلة عليها روما لتبر بها محاسن وعيوب الطبع العام وحبها الفانى الذى لاشك فيه والذى لاجل مصلحتها الخاصة يجعلها لا تحقر أية وسيلة تجاه أصدقائها أو أعدائها وحفيظتها السيئة التى كانت تثيرها بمهارة وتعتمد عليها عند ما يعاملها أعداؤها بمثل معاملتها ايهم ، وبراعتها فى الاستفادة من ميول واهواء الشعوب المعادية لها وجوانب الضعف فيهم تلك البراعة التى استعملتها بشكل خاص على طريقة بالغة فى الحزم ضد القبائل الجرمانية واستفادت منها أكثر من استعمال الاسلحة — كل هذه الصفات وجدت ، بحسب اختباراتى التى اكتسبتها فيما بعد ، صورتها مكلمة محسنة فى حزم الحكومة البريطانية التى توصلت الى اقامة كل هذه الجوانب من الفن السياسى بنهاية الابداع حتى انها تمكنت من التغرير بالعالم أجمع .

وفعاجلال العظيم للعصور العتيقة فقد كنت ابحت عن ابطال شيدىين بين مواطني . وانما اوضح بصراحة وشرف رأيي حينما اقول ان التصعب

للفكر والجهود لا ينبغي ان يدفعنا الى ان نناسى اثناء اعجابنا بالسيياد او بتميستوكل او بكاتون او بفايوس بعض رجال مثلوا في تاريخ وطننا الخاص ادواراً تامل على الاقل في عظمتها اعمال عظماء التاريخين اليوناني والروماني . ومع الاسف اني قد استخلصت عدة مرام ملاحظات محزنة في هذا الصدد خلال محادثاتي مع الشبان الالمان الذين على الرغم من كل معلوماتهم اجدتهم على شيء من الجهل بمحقائق هذا العالم .

وحينما كنا في المدرسة الحربية كان معلمونا ومربونا يحذروننا من هذا الجهل بشؤون العالم واني لمثن على تحذيرهم ابداً حتى الان . واختص بهذا التناء الجنرال فون ويتيخ الذي كان اذ ذاك ملازماً في المدرسه . ولما قدمت الي واهنستات كنت مزوداً بوصاة اليه من احد اولى قرياي فظل يعاملني مدة اقامتي هناك معاملة ودية جدا . واذ كان قد تخرج هو نفسه منذ بضع سنوات من هذه المدرسة فقد كان شعوره مثلنا يلعب معنا ولا سيما لعبة الترامى بالقذائف الثلجية فينبث فينا بنقوذه روح اليقظة وتجهدا النشاط ، وزيادة على هذا فانه كان حاصله على مزايا عملية يتحلى بها المدرس البارع . وفي عام ١٨٥٩ لففني وانا في الفصل السادس علم الجوغرافيا وبعد ستة اعوام علمني في برلين في سلكتنا علم الطبوغرافيا . ولما دخلت المدرسة الحربية العليا بعد مرور بضعة أعوام الفقيه معلماً فيها وهو حينئذ اللواء فون ويتيخ . وحينما كان ملازماً كانت عناية متجهة الى التاريخ العسكري وكثيراً ما كان يعرض علينا في تروضاتنا ايام الاحاد في اماكن بعدها للتدريبات الصغيرة صوراً واضحة جداً لتفاصيل المارك التي حدثت عام ١٨٥٩ في ايطاليا العليا مثل معركة ماجنتا وسولفرينو . ولقد دفعني فيما بعد وانا لا ازال تلميذاً حروباً على

دراسة التاريخ العسكري وهكذا جعلني انتهيح منذ شبوبيتي السبل التي صار لها شأن هام في مستقبل لان التاريخ العسكري هو اعظم معلم لدرس شؤون الوحدات الكبرى . وحينما انذجت فيما بعد في مصاف اركان الحرب كان القائد فون ويتسيح يشغل مركزاً سامياً في اركان الحرب واخيراً تقلدنا سووية قيادة فيلقين . وثمت امر لم يكن التلميذ الصغير وهو في الفصل السادس من مدرسة واهلستات يتألم منه قط اذ يجد الملازم فون ويتسيح يضربه بلطيف في خلال درس الجغرافيا على اصابعه بالمسطرة لانه خلط ما بين اسم الجبل الابيض واسم الجبل الوردى .

ولم تتألم خليقتنا الطيبة مدة اقامتنا في مدرسة الاطفال الاشراف . الحربية المعهودة بالشدة . ويجوز لي الشك في ان ريعان الشباب الذي كان شاملتنا نحن أبناء الاشراف ولذي كان يتخطى بنا أحياناً كل الحدود . في سائر معاهد التعليم الاخرى . اذ كنا نرى غالباً في اسانذتنا قضاة واسعى الصدور يعرفون كيف يفهمونا .

أما فيما يختص بي فلم أكن قط في السنوات الاولى ذلك التلميذ الذي يعتبرونه في الحياة العادية النموذج المحتذى . اذ انجبت همتي في بادىء الامر الى التغلب على ضعف جسماني ناجم عن مرض قديم . واذا كان جسدي يتفوق تدريجاً بفضل طرق التربية الناجعة المتبعة في المدرسة فقد ظهر في أولاً الميل الى الاقطاع لدرس العلوم خاصة ولم تتحرك في نفسي رغبة التطلع الى العلا الا بالتدريج وعلى أثر البراعة التي امتازت بها في السنوات التالية وكانت هذه الرغبة تزداد لدي حتى أدت بي الى اكتساب شهرة لست أهلاً لها وهي اني تلميذ جم المزاي .

وكيفما كان اعجابي باسم التلميذ الحر بي المسمى فاني كنت اهتم ليوم

العطلة الذي تقضيه في بيوت أسرنا هتافاً بحجوبها بالسرور والابتهاج .
مع أن الاسرار كانت إذ ذاك حافلة بالمناعب والمشقات ولا سيما في الشتاء .
وكانت المسافة التي تقضيها يبطئ في السكة الحديد التي لا أثر للتدفئة في
مركباتها تقضي في المركبات الضخمة المقادة بالليل أطول واشق منها .
غير أن هذه المشقة كانت تتلاشى إزاء أملنا في رؤية بيت الأسرة ومشاهدة
الأب والأم والأخوة والأخوات . وكان قلب الأم أشد اشتياقاً إلى ابنها
من اشتياق ابنها إليها . وعلى هذا اتدكراني في أول دفعة ذهبت فيها من
المدرسة إلى جلوجاو في عطلة عيد الميلاد ركبت مع بعض الزملاء من
لايبنيتز مركبة يريد قضيت فيها سائر ليلتي وبالنظر لشدة سقوط الجليد
لم نعمل إلا ليلاً أيضاً إلى جلوجاو . وكانت أمي العزيزة جالسة في العرفة
الصغيرة المنسارة نوراً ضئيلاً والتي لا تكاد تظهر فيها آثار التدفئة إلا بالجهد
والتي يدعونها قاعة المسافرين وكانت تحيط بجوارب صوفية كأنها لا تريد
أن تسلم إلى القلق المتحكم عليها لرؤية أحد أولادها المحروم مما يتمتع به
أولادها الآخرون .

وفي خلال السنة الأولى من إقامتي في مدرسة أبناء الاشراف الحربية
في بحر عام ١٨٥٩ زار الأمير فردريك غليوم وزوجه وهو الذي صار فيما
بعد الامبراطور فردريك المدرسة في واهلستات . وكانت هذه فرصة
لاغلبننا يرون فيها لأول مرة أعضاء من أسرنا المالكة . ولم ترفع في أحد
تمريناتنا على الاطلاق سيقاننا مثل ما رفعناها في استعراض ذلك اليوم .
وكذلك لم نؤد من التمرينات على الالعب الرياضية بدرجة خطيرة كما فعلنا
في الالعب التي قمنا بها بعد الاستعراض . ولبثنا مدة طويلة بعد هذه
الزيارة نتحدث فيما بيننا بطيبة هذين الاميرين .

وقد احتفل في اكتوبر من تلك السنة بأخر عيد سنوى لميلاد الملك
فردريك غليوم الرابع . وتحت حكم هذا الملك لبست الثوب العسكرى
البروسى الذى يجب أن يبقى عندى الى أن أموت كثوب فخار وشرف .
وفي سنة ١٨٦٥ تشرفت بان تعينت حاجباً للملكة اليزابيث ارملة ملكتنا .
والساعة التي اهدتها الملكة اليزابيث كانت خير فسيق لى فى ثلاث
حروب .

وارقيت فى عيد فصح سنة ١٨٦٣ الى الفصل الثانى فاقضى نقلى
الى برلين . وكانت مدرسة اناء الاشراف الحربية فى هذه العاصمة موجودة
فى فردريك ستراس على مقربة من الكسندر بلاز وهذه اول مرة رأيت فيها
عاصمة بروسيا وامكنى ان اشاهد بعد طول الترقب مولاي العظيم الملك
غليوم الاول انشاء الاستعراضات العظيمة التى تقام فى الربيع فى لندن
وميدان الاوبرا وكذلك شاهدته فى استعراض الحريف فى ساحة
تيمبلوف .

وفى عام ١٨٦٤ دخلت حياتنا المدرسية فى طور الرزاة والتحميس
فان الحرب كانت قد شبت بيننا وبين الدانيمرك فاستأذن فريق منا فى
الربيع فى ان يتخلى عن الدراسة ويلحق بصفوف الحاربين . ومن الأسف
ان سنى الصغير لم يسمح لى اذ ذاك بان اكون بين هؤلاء زملاء فى عملهم
الذى يجسدون عليه . ولست فى حاجة الى وصف بعض الاماني الملتمة
التي كانت تجول فى خواطرننا ونحن نودع زملاءنا المرتحلين

ولم تكن فى ذاك الوقت تفكر فى العوامل السياسية التى حملت على
اشتعال نيران الحرب ولكننا كنا نشعر بروح العظمة التى تدفعنا الى
الاعتماد فى لم شعت الممالك الجرمانية على الاعمال بدلا من طريقة الاقوال

والمستندات المحلة وقد تتبعنا سير القتال باهتمام وشاهدنا ونحن مغمورين
بنشوات الجبور وممول المدافع التي اكتسبناها من العدو ورأينا ايضاً
اوبة جيوشنا المعبورة . وكنا نحسب انفسنا مصيبين في تخليتنا اننا
متمصصون بذلك الروح الذي حداً بجيوشنا الى الفوز في ساحات الحرب
على الارض الدانيمراكية . فهل من المستعزب بعد هذا اذا مللنا من انتظار
اليوم الذي يتيها لنا فيه الاندماج في صفوف جيوشنا ؟

وقد غلينا قبل هذه الحرب بشرف المثول بين يدي ملكنا فدخلنا
القصر لاجل هذا المقصد . وكان من الواجب على كل فرد منا ان يذكر
لجلالة الملك اسم ابيه وحرفته . وكثيراً ما ارتح على الطلبة في يادي الامر
فلم تحل ألسنتهم في أفواههم من فرط ما عراهم من الرهبة . ولا بدع فأننا
لم نحظ بشرف التقرب . من ملكنا الذي ابيض فوداه من قبل ولم نر
عينيه وهما تفيضان علينا نظرات الحنو . بل لم تكن سمعنا صوته كما حدث
اليوم اذ قال لنا كلمات قيمة حثنا بها على تأديته الواجب في اعصاب الاوقات
المرجحة . وستسبح لنا القرص التي ننفذ فيها اوامره بعد وقت قصير واني
عرف كثيرين منا انهي حياته في الاخلاص والامانة للملك .

وفي ربيع عام ١٨٦٦ تركت المدرسة الحزبية ولازال أتذكر فضل
هذا المعهد الحزبي علي الى الآن . وكنت افرح جداً كلما رأيت زملائي
الشباب ممثلون أمالاً وهم في لباسهم الملوكي . وفي خلال الحرب العامة
كنت أسر برؤية ابناء مساعدي واصدقائي وزملائي الذين سقطوا
صرعي في ساحة الجدد جلوساً على مائدتي ، وافق ان بدأت عيد مرور
السبعين سنة على حياتي في خلال الحرب باستدعاء ثلاثة من تلاميذ
المدرسة الحزبية كانوا مارين في أحد شوارع كرو زناخ ليجلسوا حول

مائدتي الحافلة باصناف الطعام ايشاركونى فى أكلة الافطار يتناول ما لذ
من الاطعمة والحلويات التى اهديت الى فنقدموا الى كهده السباب الدائم
بحرية وغير كلقة عارضين علي صوراً حية للأعوام المنقضية منذ عهد
طويل وهي ذكريات الأيام التى كنت أقضيها أنا نفسى .

فى ساحة القتال

الذى نشب لاجل عظمة روسيا وألمانيا

تعيّنت فى ٧ ابريل عام ١٨٦٦ ملازماً ثانياً فى آلاي حرس المشاة
الثالث . وهذا الآلاي ينتهى الى الوحدات التى انشئت خلال عامى ١٨٥٩
— ١٨٦٠ حينما ازداد عدد الوحدات العاملة ازدياداً كبيراً . ولما اندجحت
فى سلك هذا الآلاي الحديث كان قد أحرز شارات المجد فى حرب
١٨٦٤ . ان الماضى المجيد الذى اكتسبه فيلق يشمل كل المنضمين اليه
ويربط بين قلوبهم برابطة الاتحاد التى لا تنفك حتى فى أخرج المواقف .
وان فى هذا الارتباط قوة لا تغالب بل تغلب بأسطة نفوذها حتى فى الآلايات
التي يحدث فيها التغيير كما جري مثل هذا فى الحرب الأخيرة اذ احتفظت
بقايا آلاي متفرق بروح اتحاده ومجده فسرى هذا الروح الى سائر العناصر
التي امتزجت فى هذا الآلاي .

ولقد أنشئت فى آلاي الذى تألف من الآلاي الأول من الحرس
المشاة روح مدرسة بوتسدام الصحيح القديم ، ذلك الروح الآتى من
أحسن التقاليد التى كانت متبعة فى الجيش البروسي فيما سلف ولم تكن

لهيأة الضباط البروسية إذ ذاك ثروة مكنة نزهة وهذا أحسن ميزة كانت لتلك الهيأة . راعوا كان قوام ثروتها عدم الاحتياج . أما الرابطة التي كانت تربط الضباط وعم يدركونها تمام الإدراك لاعتمادهم أنها تصلهم بمالكهم — وهي التي أطلق عليها أحد مورخي الألمان اسم الاخلاص للأمر — فكانت العوض الوحيد لهم عما ينقصهم من متمات المطالب المادية . وكانت هذه الأمنية القيمة ذات فائدة جلي لجيشنا وبهذه الطريقة صار للفظلة «خدمة» مدلول خاص .

وكثيراً ما زعموا أن هيأة الضباط بتمسكهما بهذه النظرية في مهنتها لم ينجح الى أي عمل آخر . وما شاهدت في هذا الوسط تخصصاً بالأعمال أعظم من التخصص الموجود في سائر المهن الأخرى التي يتساندون فيها بالرافق وهذا ما يدل على أن أعضاء كل هيأة لا يمكن أن تكون في حالة احسن من التواجد بين أقرانهم . وتوجد ضرورة واضحة تماماً تصور الروح الذي كان مستولياً إذ ذاك على مجموع الضباط البروسيين في كتاب خطه وزير الحربية رون . فان هيأة ضباط ذلك العهد موضحة فيه كمجموعة اريستوقراطية متمسكة بالنظام ولكنها غير منعزلة ولا بعيدة عن الحياة العامة ولا هي تعرف الامتزاج بالعناصر الحرة وهي مع النزول الى احكام القنواب لا تزال قديرة في خصيصةها . وانسد ظهرت في هيأة الضباط المذكورة نزعة حديثة ترمي الى اسمى درجات الكمال معتمدة على التدقيق في التأديب اللازم لهذه المهنة وهذه النزعة نهضت في وجه تلك الغايات التي كان الناس يتعاقون بها فيما مضى .

وكان أشد التنازعين الى هذه الامنية انشاء الاسرات القديمة من

الحفاظين وانتصار الامبراطورية في بروسيا . وقد أبد هذه الامة الشعور بقوة الحكومة وسلطانها المتمكن من النفوس ثم جاءت النهضة التي نهضها فردريك بنعمد أن يهد لبروسيا نهضة محالا للعمل فوق ظهر الغبراء متمما للمساعدات الجنية التي تأيدت بها تلك النزعة الشريفة المحمودة .

ولما انخرطت في سلك الآليني وكان حينئذ مرابطاً في دانترج كان قد بدأ يبلد الاقواق كغيره من جبراء المشا كل السياسية التي حدثت في الاشهر التالية . ولم يصدر الى ذلك الحين أمر بتعبئة الجيوش للزحف على الدولة النمساوية بل صدر الأمر فتد بزيادة الفرق الموجودة تحت السلاح وبدى بتنفيذ هذا الأمر على وجه السرعة .

وعند ما كنا نفكر في المعركة الفاصلة التي ستقع ما بين بروسيا والنمسا كانت افكارنا العسكرية والسياسية تنطلق مسرعة الى اتجاه فردريك الكبير . وهذا هو الذي دعانا ونحن في بوتسدام حيث نقل آلياتنا معداته الحربية التي جهزت الى أخذ رماتنا وصفهم أمام قبر هذا الملك الذي لا يبارح البال ذكره . وكذلك الأمر الصادر الى جيشنا قبل دخوله بوهيميا ألم في مخيمته بهذه الحالة النفسية حيث جاء ضمه : « كونوا أيها الجنود واقفين بقوتكم وتذكروا أننا نحارب لاجل الانتصار على نفس العدو الذي قهره ملكنا الأعظم فيما غير مجيش صغير ! »

ومن الوجهة السياسية كنا في حاجة الى البت في مسألة أي الشعبين أقوى ، النمساويون أم نحن لانه من المستحيل على شعبين قادرين أن يعظما ويزدادا رقياً ورفاهاً بحرية وهما متجاورين وتشملهما الجامعة الجرمانية . فن الضرورى أن يتنجى أحدهما عن مكانته العليا للشعب الآخر وبما

أن هذا الأمر لا يمكن الفصل فيه بمقتضى المعاهدات والاتفاقات فبعد كان من اللازم الفصل فيه بعد الحسام . وبناء على هذا الاعتقاد في الموقف الحربى لم يعد أحد يظن مطلقاً عندنا أن النمسا عدوة وطنية لنا . وكانت فكرة الوحدة الجرمانية المنتشرة بين العنصر الألماني المتقلب على سائر العناصر المتكونة منها تلك المملكة الدانوبية تحول دون تولد روح العداء بين هذين الشعبين . وقد أثبت محرى الحوادث أثناء هذه الحرب مراراً عديدة صحة هذه النظرية . فكان الأمرى النمساويون يعاملون لدينا معاملة الوطنيين الذين يتم الفصل بينهم فى المسائل المختلف عليها فتعود العلاقات القديمة الى حالتها الاولى وكذلك أهالى البلاد الممادية بل أغلبية العنصر التشيكي استقبلونا فى أغلب الاحيان بحفاوة ودية حتى أن المعيشة فى مضاربنا كانت تشبه مثيلتها فى ألمانيا أثناء الاستعراضات الكبرى .

وإذا كانت أفكارنا تجعلنا نذكر أثناء الحرب الملك فردريك فان أعمالنا كانت تقودنا بالمثل الى السير على آثار هذا الملك العظيم . وهكذا فعل فيلق الحرس الذى سافر من سيليزيا إذ دخل بوهيميا على مقربة من برانا بواسطة عدة ادلاء حربيين كانوا قد طافوا من قبل هذه الاماكن كلها بقطعاتهم . وقد قادتنا معركتنا الأولى التى حدثت فى يوم ٢٨ يونيه الى نفس البقعة التى حارب فيها الحرس البروسى فى ٣٠ سبتمبر عام ١٧٤٧ وجعلتنا تنتهج خطة ايتل فنزحف على بوكرسدورف ذلك الزحف الذى قامت به تلك الفرقة فى وسط جيش الملك العظيم أثناء معركة صور وهو الجيش الذى ألهم فى كل المعارك ادق الانظمة والطرق الفنية الحربية . وأما طابورنا الثانى — وهو الذى كنت ملتحقاً به بصفتى رئيس القسيلة الأولى من رماة البلوك الخامس وهي القسيلة المؤلفة بحسب نظام

ذلك الوقت من العنف الثالث -- فقد تذر عليها انتهاز فرصة تمكنها من الزحف الأول لاننا بمقتضى الخطط الفنية المتبعة حينئذ لم نكن سوى جزء من الوحدات الاحتياطية التي كانوا يؤلفونها قبل نشوب الحرب على أن الفرصة لم تلبث أن سنحت لنا بتبادل الرصاص مع المشاة النمسيين في غابة صغرى كائنة في شمال بوكرسدورف الغربي وأخذنا بعض الاسرى ثم أتيح لنا أن نهزم بنيراننا كتيبتين من الاوهلان الاعداء كانتا قد حصرتا في نقطة منكشفة لم تستطعا التخلّص منها . واستولينا على مركبات النقل فوجدنا فيها صندوق الآلاي الذي قدمناه الى الوكيل وكثيراً من الخبز الذي حمله رماتنا على أطراف الاسنة الى معسكر بوكرسدورف ، ووجدنا بالمل صحيفة الآلاي المدونة فيها أنباءه فاذا بمجواث الحملة الحاضرة مدونة في نفس الكراسة التي دونت فيها حوادث حرب عام ١٨٥٩ التي نشبت ضد ايطاليا . ولقد تعرفت بعد اثنى عشرة سنة برجل كهل من مكلمبورج كان ملازماً في احدى الكتيبتين النمسييتين من الاوهلان السالف ذكرهما فباح لي بانه فقد في تلك المعركة قميصاً جديداً كان قد أعده ليوم دخول جيشهم برلين ظافراً فاتحاً .

واذ لم يكن لي سوى عمل ضئيل في وقعة صبور فقد اكتفيت باستنشاق رائحة البارود والاستعلام عن التأثير الأدبي الذي يشعر به الجنود عند أول التحامهم مع الاعداء .

وفي اليوم التالي تنبهت من فخار المعركة وعرفت ما يسمونه بظهر الوسام فقد اسندوا الي بعثة مخزنة تقتضى ان اهتم بمعونة سبتين من الرماة بدفن الموتى الذين يغطون ساحة القتال وهو عمل شاق وزاد مشقته وجود الحصاد قائماً في الحقول . وبكل جهد شديد توصلت الى اللعاق

بعد الظهر ومضى رجالى بطابورى الذى كان مركزه متوسط الفرقة رالذى كان قد تقدم فى طريق الجنوب . وقد اضطررت غالباً الى تحطى بعض الوحدات وأنا اركض فى الطريق مجتازاً الحفر العارضة امامى . ولقد وصلت فى الوقت المناسب اذ تمكنت من رؤية طلائعنا وهى تستولى بمنتهى القوة على معبر الالب فى جهة كونييجينهوف .

وعرفنى يوم ٣٠ يونيه بالحقيقة الودية من الجوانب الصغيرة للحرب . فقد كان من اللازم ان آخذ الى ترائوتاو مع حرس طقيف وفى جنح الظلام ثلاثين مركبة مفعمة بالاسرى ثم بعد التخليص من هؤلاء اعود بمركباتى ملأى بالازواد والميرة واقود هذه القافلة الى كونييجينهوف . فصدت بالامرو لم اعد الى بلوكنى الا فى يوم ٢ يوليه . وكنا قد اقدمنا على مواجهة اخرج الاوقات لان فرقتي كانت ستشارك فى الغداة فى معركة كونييجراتز . وفى الليلة التالية قمت مع فصيلة من رجالى بمهمة الاستطلاع على مقربة من قلعة جوزفستاد وفى صباح ٣ يوليه وأنا غير مفكر فى شيء مما سيحدث رأيت نفسى فى مكن بارد مشبع بالرطوبة حول منفذ كونييجينهوف الجنوبي فسمعنا حينئذ . نغير التأهب يؤذن ، وبعد قليل وصل اليانا الامر باعداد قهوة الصباح سريعا ثم الاستعداد للزحف الى الامام . وتبديق الاستماع وصل الى الأذان صوت اطلاق مدافع بشدة آت من جهة الجنوب الغربى . فجرى تبادل الآراء فى صدد الاسباب التى يمكن اعتبارها بواعث لهذه المعركة . فكان الرأي السائد هو ان الجيش الأول وهو جيش الأمير فردريك شارل الزاحف من لوزاس والذى دخل بوهيميا - - نحن تابعون للجيش الثانى - - قد اصطدم بفيلق نمسوى منعزل .

ووصل أمر الرخف في أثناء هذه الحوادث فقبول يصيحات الابطهاج .
وكان الحمد قد دبت في الحقيقة الى نفوس رجال الحرس من جراء
الانتصارات الباهرة التي احرزها على ميسرتنا القليل الخامس الذي يقوده
الجنرال فون ستاينميرز وتقدمنا تحت وابل مدرار من المطر ونحن نتصيب
عرقاً على الرغم من رطوبة الجو صفوفا مستطيلة مجتازين طارفاً محتفزة .
وقد تولدت بين صفوفنا غيرة شديدة الى التسابق في السير وأما عندي
فان هذه العاطفة بلغت من استيلائها على نفسي ان صرت اخشي من
وصولنا متأخرين الى المكان المنشود .

ثم تحققت فيما بعد ان قلتي في غير محله . اذ بعد ان تسلفنا سفع وادي
الألب اصبح اطلاق المدافع يشتد وضوحاً لدينا في كل خطوة نتقدمها
وحوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً رأينا أحد اركان الحرب الذي وقف
على رتبة مشرفة على الطريق التي تسير فيها قد أخذ يستشرف بمنظاره
اللاقى في اتجاه الجنوب . وكان هذا هو أركان حرب الجيش الثاني الذي
يرأسه اميرنا ولي العهد الذي صار فيما بعد الامبراطور فردريك وبعدمضي
مدة طويلة قصص علي الجنرال فون بلومانال الذي كان رئيس اركان الحرب
في هذا الجيش الثاني التفاصيل الآتية عن هذه الآونة التاريخية فقال :
« في الوقت الذي كانت الفرقة الأولى من الحرس تجتاز فيه امامنا
طرقاً مفصمة بالحفر رجوت من الامير ولي العهد ان يتفضل بتبادل
المصافحة معي . وبما انه نظرا لي نظرة المستفسر عن سر هذا الرجاء قلت
له انني اردت ان اهنئه باكتسابه المعركة لان نيران المدفعية النمساوية اتجهت
من كل جانب نحو الغرب وهذا يدل على ان العدو قد اجتذب الى سائر
خط الجبهة لعدد الجيش الأول فلم يبق الا ان يهاجمه جيشنا الثاني في هذه
الآونة من الجناح مع هجوم جزئي نوجهه الى المؤخرة وعلى اثر هذا

الايضاح كان لابد من استمرار فيلق الحرس والفيلق السادس على زحفهما مع توجيه اولهما الى الميمنة وثانيتهما الى المبررة لئلا يمكننا من صعود ربوة كائنة على مقربة من هور دوز وهي ربوة واضحة من بعيد على الرغم من حجاب الضباب ومتوجة بشجرتي زرزفون . وقد تبع الفيلق الأول والفيلق الخامس اللذان كانا لا يزالان سائرين في اتجاه ساحة القتال آثار فيلق الحرس والفيلق السادس . ولم يصدر الامير ولي العهد في هذا اليوم امرأ آخرية تضى التنفيذ . »

واستمرت حركة زحفنا خلال الحقول ثم انتشرنا وبعد ربح من الزمن تلقينا التنايل الأولى من مدفعية العدو الكائنة على الهضاب المجاورة لهور دوز . واثبتت المدفعية الخمسية شهرتها القديمة الحسنة وقد جرححت القذيفة الأولى رئيس بلوكي وقتلت قذيفة اخرى حالاً ضابط الصف المساعد الى الذي كان خلفي تماماً واخيراً انفجرت قنبلة في وسط صفنا فاصابت خمسة وعشرين شخصاً . وعندما خفت وطأة نيران العدو وسقطت تلك الرني بدون قتال بين ايدينا — لانها لم تكن سوى نقطة امامية شغلها العدو اثناء مناجاته ، بقوة ضئيلة وعلى عجل ليكتسب الوقت اللازم له — استولى علينا شعور طارد للوعم . ولكنه لم يلبث مستولياً علينا مدة طويلة لاننا لم نلبث ان انكشف امام ابصارنا قسم كبير من ساحة القتال الواسعة . فاما منا وعمودياً على يميننا في الجوامع كانت تترأى سحب كثيفة من الدخان ترتفع من مواقع مدفعاتنا في الجيش الأول ومن مواقع مدفعات جيش العدو الكائنة على اليبستريز وقد كسا بريق المدافع المظلمة والضوء الشديد المنبعث من الجهات المتدلعة فيها السنة النيران هذا المنظر المنبسط أمامنا صيغة مخصوصة

واشتد تكاثف الضباب فكان من ستاره الكثيف ومن ارتفاع الحصاد ومن طبيعة الارض ما أخفى حركاتنا عن العدو وبهذه الطريقة كانت طلقات مدافعه المصوبة اليها من اتجاه الجنوب ضعيفة بدرجة مدهشة ولم تستطع أن تحول دون تقدمنا . وقد صار الاستيلاء على هذه المدافع فيما بعد عقب المدافعة عنها بشجاعة وعزم . وأخذنا نتقدم بأسرع ما تسمح لنا به الاراضي الرخوة والبقاع المتعصة الزائفة والحصولات المنتشرة على اختلاف أنواعها . وكان هجوم جيشنا مرتباً على أصول القواعد المتعصة في ذلك الحين بدقة وأحكام تدين الآن النظام لم يلبث أن سقط أسماسه فقد تفرقت الكتائب والفصائل متخيرة كل واحدة منها شطراً من جنود العدو تنازله . وتسارعت سمائر الوحدات الى الامام ؛ ولم يبق من رابطة تربط بين هذه الافواج المواجهة سوى رابطة الارادة المشتركة بين الجميع وهي : « الى الامام ! صوب الاعداء ! »

وقد التفتي نصف طابورنا الذي آل الى هذا الشكل بحكم الحرب والذي أصاب في هذا الوقت حثاوة كبيرة بفصيلة من مشاة العدو ما بين خلوم ونيديليز على غير انتهاز بسبب الضباب والزرع وكانت هذه الفصيلة المعادية قادمة من الجنوب . فاضطرت بعد مدة وجيزة الى الانثناء على أعقابها أمام نفوق بناقدنا ذوات الابر . وباقتفائي أثر هذه الفصيلة مع رجالى المنتشرين والموالين اطلاق بنادقهم ألتميت فجأة بطارية نمساوية أسرعمت اليها بحماسة شديدة وأرسلت علينا وابلا من الطلقات السريعة . وأصابتي قذيفة اخترقت قلنسوتي فسقطت فاقداً صوابي هنيئة وجيزة وعند ما عاد الي صوابي اندفعنا الى الهجوم على البطارية فاستولينا على خمسة من مدافعها وأفلت الثلاثة الاخرى من قبضتنا . وتملكتني زهوة

الاعتجاب بالنفس عندما استنشقت نسمة الحياة ودمي يتطر من الجرح الخفيف الذي أحيب به رأسي ورأيت نفسي واقفا في وسط مدافعي التي اكتسبتها .

ولكن الوقت لم يتسع أمامي للاستراحة قليلا والتمتع بشمات نصري اذ تراءت من الغلال شردمة من جنود العدو الصيادين المعروفين بريش الديوك المرتفع على قبعاتهم . فصدتهم وأقفيت آناهم الى طريق متحدر . وعندما بلغت الطريق المنخفض اذرت بصري في الافق فاذا بصيادي الاعداء قد اختفوا في الضباب المشبع بالرذاذ . والقرى الخيطة بنا — وكانت أمامي قرية وسيستار وعلى عيني روسبريتز وعلى يساري سويني — لا تزال بحسب الواضح لنا بين يدي العدو ، والقتال لم يترك ناشبا في روسبريتز . فانا اذن وحيد مع ثلتي ولا ترى العين آتارا لنصبا ثلثنا خلفي والاجزاء المتلاحقة بنظام يجعلها متضامة الى بعض خلفي لم تتبعني الى اتجاه الجنوب ولكن يظهر أنها عطفت بمنة . فصحت عزيمتي حينئذ على أن اضع حداً لهذه العزلة التي جعلتني وحيداً في ساحة القتال الواسعة باتجاهي نحو روسبريتز سالكا تلك الطريق المنحدرة . وقبل وصولي الى هذه القرية مررت بجوارنا عدة بلوكات نمسوية بدون أن تشعري بقبضة الرجال الموجودين معي . واجتازت هذه البلوكات الطريق المنحدرة من مكان تساوت فيه الطريق بالاراضي المشرفة من الجانبين عليها واصطدمت بعد هزيمة قصيرة مع قوى من مشاتنا لم أتبينها من الجهة الشمالية الشرقية من روسبريتز كما يدل على ذلك صوت اطلاق البنادق المنبعث من تلك الجهة . وبعد قليل عادت من تلك الناحية خيول مجردة من خيالاتها وأخيراً ارتدت كل القوة النمسوية التي كانت قد مرت من أمامنا فماتها

أنا أيضاً بخطر خفيف من العناصر . وكانت أردتهم البيضاء الواضحة من خلال الضباب خير هدف لاحكام الرماية .

وحالاً وصلت إلى روسبريتز كان الموقف فيها قد بلغ منتهى الحرج . فقد اندفعت عدة فصائل وبلاطات من الآليات مختلفة من فرقي إلى هذه القرية وأشتبكت فيها بقوة متفوقة في العدد عليها بكثرة . ولم يصل إلى هذه العناصر الضئيلة أى مدد في بادئ الامر لان مجموع الفرقة كان قد اجتذب إلى قرية خلوهم الناهضة على دفاع من الارض وخاض فيها معركة شديدة . فكان نعمف طاوورى هو أول مدد وصل لانتجاد الشراذم القاتلة في روسبريتز .

فأى الجانبين كان أشد دهشة المنسويون أم نحن ؟ لا استطيع أن أبدي رأيي في هذا الصدد . وعلى كل حال فقد تدفقت علينا أفواج الاعداء في صفوف متلاحقة من ثلاث جهات في آن واحد للاستيلاء على القرية ثانية . وكثيراً كانت طلقات بتدقيا تنهاهة فان صفوفاً جديدة من الاعداء أخذت تدفق علينا على الدوام متخطية جثث الصفوف الاولى الساقطة على الارض . فحدث حينئذ اشتباك دموي في حارات القرية خلال البيوت التي كانت البيران مشتعلة في سقوفها . وأخذ كل واحد يطلق النار ويطين بالنيران حوله بغير حساب ويقدر ما يستطيع . وقد سقط الامير انطوان هوتميلرن قائد الآلاى الاول من فرقة الحرس مصاباً بجرح خشن . فحدث الضابط حامل العلم القون ويريش وهو مرشال الآن — معركة بجوار الامير مع بضعة من رجالنا الا انها معركة مضطربة وأحضرنا إلى ساعة الامير الذهبية لكي لا تقع بين أبدي الناهبين من الاعداء . ثم لم نلبث أن أصبحنا تحت خطر الاشارة في حارة منعطفة

تنسرب الى مؤخرتنا وطرقت اذاننا أصوات أبواق الاعداء وطبولهم التي هي أقوى من أصوات أبواقنا وطبولنا . فأسرعنا من العجبة واضطررنا الى الانسحاب . وتخلصنا بواسطة سقف محترق كانت قد سقطت أنقاضه على الارض في هيئة متراس ملتهب ومستور بالدخان الكثيف . وتمكننا تحت حماية هذا المتراس من أن نلتجئ الى هضبة متاخمة كائنة في الشمال الشرقي للقرية .

ومحلفنا عندنا الوحشي على أن لا نتراجع الى ما وراء هذا المكان فأصدر الكونت والدرسيه من ضباط الآلاى الاول من الحرس المشاة — وهو الذى سقط أمام باريس عام ١٨٧٠ أثناء قيادته آلايا من رماة حرس الملكة أوغوستا — بصفته أقدم ضابط فى الآلاى أمره بنصب الرايتين الموجودتين معنا على الارض . فتجمعت الوحدات حولها وانتظم شملها وكانت قد وصلت أمداد من الخلف وقرعت الطبول وتكرر الهجوم على العدو الذى اكتمى باحتلاله القرية . غير انه لم يلبث أن أخلاها ليلاحق بجيشه الآخذ فى التقهقر .

وقد أنقينا الامير هوهنزولرن فى روسبريتز غير انه مع الاسف قضى نحبه بعد قليل من جراحه وهو فى مستشفى كونيغينهوف النقال . وقد أسر العدو الرجال الفلائل الذين دافعوا عنه باخلاص . ولقد سقط فى الاسر أيضا عدة من رجال فصيلة الرماة بعد أن أبوا فى الدفاع عن أنفسهم أحسن ابلاء فى مصنع الطوب غير انهم تمكنوا من العودة الينا بعد يومين . وكنا اذ ذاك قد نصبنا خيامنا فى الجنوب الغربى من كوينجراتز . وقد قصد هؤلاء الرجال فى بادى الامر القلعة فاحلهم قائدها الى صوب النار التى تنبعث من مضاربنا البروسية ليتخلص من عبء أطعماهم فكان

من حظهم أن عادوا الى وحدتهم .

وفي عشية الوقعة تقدمت فرقي الى وسيستر واستقرت بها الى الوقت الذي فارقت فيه ميدان الكفاح ولقد أراد الطبيب أن يرسلني الى المستشفى النقالى لمعالجة جرح رأسي ولكنني بالنظر لاعتقادي بمحدوث معارك فيما وراء الابلب اكتفيت بوضع مكدمات وتنظيف بسيط غير اني اضطررت في خلال الحركات التالية أن أستبدل خوذتي بقلنسوه .

أن العواطف التي عرضت لي في ٣ يوليه مساء كانت شديدة التعارض فاذا كنت قد حمدت الله مولانا على فضله العظيم فان قلبي كان كذلك طافحاً بالافتخار لاعتقادي بانني اشتركت في عمل يشهد صحيفة جديدة من المجد في تاريخ جيشنا البروسي ووطننا البروسي . واذا كنا لم نتحقق بعد من قيمة انتصارنا فقد أدركنا على الاقل ان هذه المعركة لها شأن بالنسبة لوطننا أعظم من المعارك السالفة . وكذلك أخذت أفكر بتأثير رفاقنا الامناء الموتى والجرحى . وقد فقدت فصيلتي نصف رجالها دالة بذلك على انها قامت بواجبها .

وقد انتقل الامير الى العهد الاثنا يوم ٦ يوليه في باردوبيتس على مقربة من جسر ازل وارقي انتهى كان لا بد لنا من عبور الابلب فوقه حتى اذا صرنا بين يديه أعرب لنا عن امتنانه من مهجتنا الجميل في خلال الموقعة . فشكرناه بالهتاف المردد وواصلنا سيرنا فخورين بالتهنئات التي اسعدانا اياها قائد جيشنا وريث التاج البروسي ونحن على استعداد لان نتبع ذلك المنهج المحمود في كل الوقائع التي يمكن حدوثها .

غير أن بقية مهمة الحملة لم تعدد حد الزحف من مكان الى آخر ولا يوجد من حوادث هذه المدة ما يستحق الذكر .

وقد أمضيت المدة في يوم ٢٢ يولييه ونحن في جنوب النمسا على بعد ٤ كيلو متراً تقريباً عن فينا وعندما أذن الاي بالقول الى ألمانيا بعد مدة قصيرة ألم بنا ضيف مشؤوم وضو الكوليرا ولم ينادرنا الا على مهل بعد أن فتل بعدة من رجالنا .

وقد أقمنا بضعة أسابيع على شاطئ الايخير فالتقيت في خلال هذه المدة بابي في مدينة براج الذي صار عضواً في جمعية القديس حنا فتعين في أحد المستشفيات النقالة بكونيجرانز . ولم تدع هذه الفرصة تمر بنا دون ان نزر مساحة القتال الذي دار حول براج حيث قاتل ملائكتنا العظيم فيها . ولقد عظمت دهشتنا عندما رأينا بجانب التمثال الذي أقامته الحكومة البروسية بعد حروب التحرير تذكاراً للمارشال الكونت فون شويزين الذي سقط على مقربة من براج تمثالاً ثانياً أقامه الامبراطور يوسف الثاني من زمن مديد المعجب بفردريك الكبير اجلالاً لهذا البطل الذي هو العدو القديم لوطنه .

وظلت ذكرى زيارة مساحة القتال ماثلة في ذاكرتي طول مدة الحرب الاخيرة . وذلك لان حالة بروسيا في عام ١٧٥٧ يمكن مضاهاتها بحالة المانيا في سنة ١٩١٤ حتى أن وقعة كولين التي انتجت الانتصار حول براج تماثل معركة المارن التي انتجت عدة انتصارات .

وفي كلتا الحالتين كان لصدى خطة هجومنا العظيم من التأثير ما اضطر وطننا الى اطالة الكفاح المخرج للمحافظة على كياناتنا . ولكن بروسيا خرجت من حرب الاعوام السبعة قوية أما ألمانيا فخرجت كسيرة الجناح من الحرب الاخيرة الميؤوس منها والتي ظلت اربعة أعوام . فهل لم تكن إذن نحن جديرين بالانتساب الى ابائنا ؟

واجتزنا في ٢ سبتمبر اثناء عودتنا الحدود الكائنة بين بوهيميا وساكس
كما اجتزنا في ٨ سبتمبر ونحن في طريق جروسنهانن الستير حدود مارشمه
براندبورج . وكان قد أقيم لنا قوس نصر في مدخل هذه الولاية . فررنا
من تحته على وقع نشيد نمسوى حماسى عنوانه : سلام عليك أيها المستظل
تاج النصر . وهكذا دخلنا وطننا . ولا داعى لان نمبر عن شعورنا
إذ ذاك

وكان دخولنا المجيد مدينة برلين في ٢٠ سبتمبر . وصار استعراضنا
في رحبة كونيغ بلاتز الآن التى لم تكن في ذلك العهد سوى أرض رملية
مخصصة للتمرن وكان يوجد في الحل المشيدة فيه عمارة عموم اركان الحرب
معمل خشبي يتصل بالمدينة بطريق مظلة بأشجار السرو وكانت عمارة كروك
على عكس ذلك موجودة إذ ذاك وعندما تركنا ميدان الاستعراض سارت
الجودصا عدة اليندين متحية وجهة ميدان الاوبرا ماره من باب براندبورج
حيث مر الجيش امام جلاله الملك في هذا الميدان وحضر هذا العرض
بلوخر وشارنهو رست وجنايسيناو وهم جلوس في شرفة عالية اعدت لهم !
ومن الممكن انهم سروا منا !

وقبل الذهاب الى الاستعراض اجتمع طاووري في رحبة فلورا بلاتز
وسامنى قائد الآلاي وسام النسر الاحمر ذى السيوف من الدرجة الرابعة
قائلا لي بوجوب تعليقه على صدرى حالا لان الاوسمة الجديدة ممنوحة
لدخول برلين بها . واذ أخذت اتلفت حولى وأنا على جانب من الحيرة
تقدمت الي امرأة كهلة من وسط الجمهور وعلقت الوسام فوق رداى بدبوس .
ومن ذلك الحين كنت كلما مررت من ساحة فلورا بلاتز أبذل تلك البرلينية
الوقور مع الاعتراف لها بالجميل .

وبعد انتهاء الحرب انتدب الآلاي الثالث من الحرس ليعسكر في هانوفر . وأريد تشريف هذه المدينة بهذا العمل لأنها كانت الى ذلك الوقت لا تزال إحدى العواصم . على أننا ذهبنا الى هانوفر على غير ارادتنا . ولكن عندما استدعي الآلاي الى برلين بعد مضي اثني عشر عاماً وأزمعنا على مغادرة هذه المدينة كان الفراق شاقاً على نفس كل فرد منا . وأما من جهتي فقد أصبحت هذه المدينة عزيزة علي جداً حينما اضطرت الى مغادرتها عام ١٨٧٣ حتى انني فيما بعد عندما تحولت على الاستيداع اتخذتها مستقراً لي .

وتوقفت بيننا صلات الود في حاميتنا الجديدة بهانوفر . وفي الحقيقة أن بعض الهانوفريين تحنبونا لاسباب سياسية . لكننا لم نسيء مطلقاً الى أى انسان ظل محتفظاً بولاء البيت الملكي القديم مع اعتقادنا بضرورة ضم هانوفر الى بروسيا . ولم نعتبر احداً من أعضاء الحزب البابوي الهانوفري خصماً لنا الا اولئك الافراد القلائل المنعزلين الذين بدلا من تحمل آلامهم بكرامة وشهامة استرسلوا في انتهاج مسالك غير قويمة وقاموا بهجمات وفيين متعددة .

وكما كانت الايام تمر بنا سرعاً كلما ازداد امتزاجنا بالحياة الهانوفرية التي على الزعم من توفر سائر مطالب المدن الكبرى فيها لم تشب بالمقاسد المنتسبة بها أجواء العواصم الاخرى . وكانت حياتنا حياة جمعية مبهجة لطيفة بلغت منتهى بهجتها وزهاؤها بعد انتهاء الحرب التي شهرت على فرنسا أي عند ما جاء الى هانوفر صاحب السمو الملكي الامير البيرت البروسي وزوجه وأقاما فيها أعواماً طويلاً . وازدادت محبتنا لهذه الحياة المنعشة بتشياننا مسرح البلاط الاميري البديع الذي كان من الهين دخوله

على انهم ابدل بتيمة زهيدة . وازدادت المدينة بمناظر شائقة فقد أحيطت بسبل منظمة على جوانبها المروج وبغابة من ابداع الغابات الالمانية وهى المسماة ايلنريد وطفقتنا روح عن انفسنا بالتره فيها على الاقدام اوفوق صهوات الجياد فى ساعات الحرية التى تسمح لنا بها اعمالنا . وبما اننا كنا نلبث فى هذه الولاية للقيام بالمناورات بدلا من ذهابنا الى بوتسدام لحضور التمرينات الجزئية التى يقوم بها فيلق الحرس فقد اخذنا نتعرف تدريجياً كل جنوب ساكس وتقدر خصائصها حتى قدرها من جبالها الى البحر . وكان التدريب اليومى يحدث فى ساحة وانزلو التى لبثت ثلاث سنين ادرج عساكرى الجدد فيها وقد أقمت فى اول مسكن عسكرى بالثكنة المشرفة على هذه الساحة ، وهو مؤلف من مكتب للعمل وغرفة للنوم . والى الآن كلما اجتربت بهذا القسم من المدينة المذكورة أتذكر بانهاج ذلك الزمن الذهبى من شرخ الشباب . ويكاد كل زملائي فى ذلك العهد يكونون قد انتظموا فى سلك جيش الموتى العظيم . ومع ذلك فقد رأيت من عهد قريب الرفيق الذى ظل رئيس بلوكى مدة عدة سنوات وهو البنباشى المستودع فون سيل . واني لمدين لهذا الرجل الذى تخطى الثمانين من العمر باعظم فضل لانه هو الذى كان خير قدوة وعلم لى فى القيام باشق ما يمكن تأديته من الخدمات .

وزار جلالة الملك هانوفر لأول مرة فى صيف عام ١٨٦٧ فحضرت حفلة تشريفه مع بلوك الشرف الذى أدى له واجب التعظيم أمام القصر فى جورجيسبارك : فشرفني مليكى بان سألني عن الفرصة التى سمحت لى بحمل وسام النسر الاحمر ذى السيوف وفيما بعد عندما حصلت أثناء حرب عامى ١٨٧٠ و ١٨٧١ على الصليب الحديدى وجه الى امبراطوري

ولم يكن هذا السؤال عدة مرار حينما كنت أمثل بين يديه بمناسبة تغير مركزى وبمناسبة الترقيات التى كنت أحصل عليها . وفي كل مرة كنت أشعر بنفس الفخر ونفس الجور اللذين شعرت بهما في عام ١٨٦٧ وقد ازداد توثق العلائق السياسية والعسكرية والاجتماعية بين بروسيا وهانوفر . واستطاعت أن تظهر هذه الولاية الجديدة بعد قليل في ميادين القتال الدامية أنها صارت قمما غير قابل الانفصال من بروسيا كسائر ولاياتها الاخرى .

وحينما اشتعلت نيران حرب ١٨٧٠ سافرت مع الحملة بصفتي ضابطاً مساعداً لقائد الطابور الاول البناشى فون سييجينبيرج الذى اشترك في حربي ١٨٦٤ و ١٨٦٦ في الآلاى بصفته رئيس بلوك . فهو محارب مدرب وبروسي نقي الدم ذو شجاعة لا حد لها واخلاص لا يشوبه ضعف لرجاله . وكانت علائقنا حسنة .

ولقد كان مستهل الحرب عسيراً على آلاى كما كان عسيراً بالمثل على قليل الحرس لاننا سرنا عدة أساييع من غير أن نلتقى بالعدو .

ولم ندع الى خوض غمار القتال الا فيما بعد عقب اجتيازنا الموزيل وبون أموسون وصرنا على مقربة من الموز وذلك في ١٧ أغسطس لمناسبة الوقائع التى كانت جارية في غرب ميتز . فغيرت فرقتى اتجاه سيرها الى الشمال وبعد سير فوق كل ما يمكن تصوره من الصعوبة وصلت الى ساحة معركة فيونفيل في مساء ١٧ . ولقد كانت آثار الصراع الهائل الذى دار بين فيلقينا الثالث والعاشر من جهة وحامية المدينة من جهة اخرى تظهر في أجلى مظاهرها لعيوننا من كل جانب . ولم نكد نعلم شيئاً من الحالة الجارية . وهكذا عندما تركنا نزلنا الكائن في هانوفيل غرب مارس لا تور في صباح يوم ١٨

أغسطس دخلنا بمنى أوضح في نائرة الجهل المطبق . فبلغنا رونكور حوالى الظهر . وكانت مسافة السير نسبياً قصيرة واكننا لم نطعمها ونصل الى النقطة المنشودة الا بمجهود هائل لاننا قطعناها في مناطق صخرية وجو ملتهب الحرارة ونحن مجلبون بعمامة كثيفة من الغبار وبدون أن نتوصل من الليلة الماضية الى الحصول على ما يلزمنا من الماء . وقد كان من الواجب علينا عدا ما تقدم أن تقوم بمحاولات استكشافية تكون بها أدلاء غير خيراة للقيلى الثانى عشر الساكسونى . وأما أنا شخصياً فقد ذهبت أثناء السير الى مقبرة مارس لا تور زائراً قبر أحد أبناء عمى الملحق بالبلوك الثانى من خيالة الحرس الذى سقط قتيلا يوم ١٦ أغسطس وانتحزت هذه الفرصة لاجوب بجوادى ميدان الهجوم الذى قام به اللواء الثامن والاسلاون من المشاة والبلوك الاول من فرسان الحرس . فرأيت خطوطاً باكماها وفي بعض أماكن ربات حقيقية مكونة من جثث الفرنسيين والالمانيين وكذلك كانت الجثث تغطي حافة وهدة وتكسوسفوحها بشكل يوضح باجلى دلالة هول الموقعة التى نشبت بين الفريقين على مسافة قصيرة جداً .

والقىنا عصى التسيار على مقربة من رونكور ونحن نفكر فى اعداده حسائنا . فجرت اشاعات منبثة بان بازين سارنحو الغرب ويمكن من الافلات . فهبط بالطبع روح الحماسة الذى كان يشملنا فى الصباح . وعلى أثر ذلك طرق الاسماع صوت اطلاق مدافع آت من الجانب الشرقى بشدة . وما ذاك الا أن القيلق التاسع قد اصطدم بالعدو . ولقد أكسبت جلبة لمركة كل ما يحيط بنا روحاً جديداً . فأخذت الاعصاب تنور من جديد كما شرع القلب يحقق بشدة ويستشعر أعظم سرور . فبدأ السير فى اتجاه الشمال الشرقى . وأخذ يزداد الشعور بقرب الدخول فى معترك هائل ما بين

كل دقيقة وأخرى . وانتشرنا في الفضاء ونحن نجدون في السير حتى اذا ما قاربنا باتيالى صدر الينا الأمر باخراج راياتنا من غلافاتها . فلما خفقت في الجو حينئذ بالهتاف لما نلنا ! وانما لدقيقة مؤثرة في النفوس ! وفي الوقت عينه تقريبا مرت أمامنا بطريات من مدفعية الحرس وهي منطافة خبيا نحو الشرق في اتجاه مواقع الاعداء . ولقد بدأت صورة المعركة تتوضح بجلاء شديد من آونة الى أخرى . فعلى القمم المنتشرة من أمامييه الى سان يريفا ترتفع غمام من الدخان القائم الكثيف . وفوق هذه الفن توطنت المدفعية والمشاة المعادية في عدة خطوط عميقة الاحتفار . وكانت كل قوة تيرانهم مصوبة في هذه الآونة الى القيلق التاسع ويظهر أن العدو كان متفوقا على جناح هذا القيلق الاليسر . ولم يكن من المستطاع تبين التفاصيل . ولكي نجنب مهاجمة موقع العدو من الجبهة اتجهنا صوب الشمال منسابين في هذه مظاة بالمروج . فمرنا نحو سانت ماري أو شين حيث حللنا على بعد خمسة كيلو مترات تقريبا من العدو بمحذاة جبهته . وهو حجت سانت ماري واحتلت بطليعة فرقتنا وبناصر من القيلق الثاني عشر الذي كان زاحقا في مبسرتنا على أوييه . وبعد احتلال سانت ماري انسحب لواءنا في الحال الى جنوب القرية متخذها واجهة له . واسترحنا ولكنها راحة غريبة في الحقيقة ! اذ كانت تتساقط من آونة الى أخرى في وسط وحدتنا المتضامة في أتم نظام رصاصات من رماة الخط الاول من جنود العدو المستحکم في سان يريفا . وقد قتل من جراء هذه الرصاصات الطائشة الملازم فون هيلدورف من الآلاى الاول من الحرس نجواري ، وكذلك سقط أبوه قائد طاوور في الآلاى نفسه غير بعيد من عام ١٨٦٦ في روسبيريز أثناء وقعة كونيتراتز . وأصيب عدة رجال بحراج

واستشرفت الافق بنظرة فرأيت قرية سان بريفا ناهضة على يفاج من الارض في اتجاه الشرق على الجانب الايمن من جهتنا تقريباً . وهي تبعد نحو كيلو مترين من سانت مارى اوشين ومتصلة بهذه القرية بواسطة طريق كبيرة مستقيمة ومحفوفة الجانبين بأشجار الحور . واحتجبت على الارض السكائنة في شمال هذه الطريق احتجاباً يكاد يكون عاماً لتلاميها خلف صفى الاشجار الناهضة على جانبي الطريق ولسكنى كنت أشعر بانهماء كالارض المنبسطة في جنوب الطريق . وقد استولى على اعلى سان بريفا نفسها سكون متلق . وعلى غير ارادتنا أخذت أبصارنا تستكنه الاسرار التى كنا نتخيل اختبائها هناك . ويظهر ان قيادتنا لم تر من الضروري ارسال مستطلعين يمزقون الحجاب عن ذلك السر المستور . فليشنا حينئذ في اماكتنا هادئين .

وصدر الأمر الى لوانا بالهجوم في الساعة الخامسة والنصف مساء . فوجب علينا أن نمر باستطالة سانت مارى من جانبها الشرق متجهين نحو الشمال ثم نستقبل في الحال سان بريفا الناهجة ، فعن لنا على الفوران جنود سان بريفا تستطيع أن تهاجم جناحنا الايمن أثناء هذه الحركة المعقدة . وقبل تحرك طوايرنا بقليل اهتزت الأرض المحيطة بسان بريفا من سائر الجهات فبجأة ثم اختفت تحت دخان الخطوط الفرنسية التى فتحت أفواه نيرانها . وكان اللواء الرابع من الحرس وهو غير تابع لفرقتنا قد ابتدأ بالفعل في التحرك في جنوب الطريق الكبيرة . فاتجهت نيران العدو كلها في هذه الآونة نحو هذا اللواء . فهذه الحالة اذا لم يمكن تلافيتها في أسرع ما يمكن أدت الى تلاشى هؤلاء الجنود في أقل ما يمكن تصوره من الزمن ولذا وجب تداخل لوانا الأول من فيلق الحرس بالهجوم من شمال الطريق

الكبيرة لتخفف بهذه الوسيلة وطأة النيران المرسلة عليهم .
ولكن ظهر أنه من المستحيل تقريباً اجتياز الطريق إلى جانبها الآخر .
فتقدم رئيسى معى لاختبار الارض وارشاد الطابور الى اتجاه السير الذى
يجب أن يتبعه فى منطقة عمل لوائنا .
والآن وقد أبصرنا العدو وفقد بدأ بتصويب نيرانه اليها بغير انقطاع فكتسحت
كل ما على وجه الارض . ومع ذلك فلا مناص من تنفيذ الحركة التى
أبدأنا فيها . ونجحتنا بالفعل فى اجتياز الطريق . وفى الجانب الآخر من
هذه الطريق واجهت صفوفنا وهى متضامسة بعضها الى بعض خطوط
الاعداء وبعد ان أعدت انفسها اندفعت نحو سان بريفا . وكان مقصدنا
الأول ان نندو بقدر المستطاع من العدو لنتمكن من استعمال بنادقنا التى
كان مدي مرمهاها أقل من بنادق شاسبو . ولقد كان المنظر رهيباً بقدر
ما كان مهيباً . وقد تغطت الارض باجساد الساقطين من الموتى والجرحى
خلف الكراديس المتدفقة الى الأمام تحت نيران العدو المنهمرة قذائفه
كهاصفة من البرد ، الا أن جنودنا الشجعان واصلوا هجومهم يعين تلكؤ .
وكان التقاط الصرعى منهم متواصلاً كما كان الضباط وضباط الصف
لا ينفكون يقودونهم الى الامام ويحثونهم على الهجوم حتى اضطر هؤلاء
الضباط وضباط الصف الى الحلول محل خيرة الرماة وجملة البنادق فيها بعد .
وفى أثناء مرمى بصرت بقائد فيلق الحرس الأمير أوغوست الورتيمورجى
معلماً صهوة جواده عند منفذ سبانت مارى وهو يرى العمرة الشديدة
التي تتراعى خيرة آلاياته نحوها والى ربما استأصلت كل هذه الآليات
الباهرة . وكان الارشال كزويير واقعاً قبالة الامير عند مدخل سان بريفا
على ما يظهر .

ولكى يتمكن رئيسى من تخليص طابوره من الافواج المتراكمة فى الشمال الشرقى من سانت مارى ومن تيسير الحرية اللازمة له ليمتكن من المكافحة لم يسيره فى الحال الى سان برىفا بل تمشى به أولاً متبعاً انحداراً فى الارض يقود الى الوجهة التى لبئنا قاصديها الى هذه الآونة أى الى الشمال . فلبئنا ونحن مبعدون قليلاً عن آلائنا ونكاد نكون مستورين عن العدو مكوفين الجناح الايسر للواء بعد أن اتبعنا حركة استدارتنا . وبعد استقرارنا على هذا الوضع بلمتنا المنطقة الكائنة فى منتصف الطريق ما بين سانت مارى ورونكور ولكننا اصبنا فى هذه الحركة بخسائر فادحة .

وقبل التفكير فى تطوير سان برىفا كان لابد لنا من تعرف ما هو جار فى رونكور التى يظهر أن الساكسونيين القادمين من أبويه لم يصلوا اليها بعد . فانطلقت بجوادى خبياً فى هذا الاتجاه ولم الف فى القرية لاجنوداً موالية ولا عساكر مادية . ولكنى تحت مشاة فرنسوين فى مقالع حجارة كائنة شرق القرية . ونجحت فى اقتياد بلوكين من طابورى الى رونكور فى وقت لا يزال ملائماً . وبعد قليل خرج العدو من مقالع الحجارة وقام بحملة علينا كان نصيبها الاخفاق . أما البلوكان الباقيان من طابورى فاذ لم يبق خوف عليهما من الجنب ولا من الخلف امكنهما أن يواجها مدخل سان برىفا من جهة الشمال ليحولا بهجومهما شيئاً من الشدة المتناهية الازاحة تحت كلاً منهما بقية أجزاء لوائنا المشتبكة فى كفاح قاس على العجبة . وفيما بعد عندما احتلت عناصر من الفيلق الثانى عشر رونكور حمل البلوكان الآخرون من طابورى وهما اللذان احتلنا من قبل رونكور على سان برىفا .

وكابت المعركة الناشئة فى الجهة لا تزال الى هذه اللحظة على أشدها

حالاتها من غير أن يطرأ عليها أي تخفيف . فن جانب العدو كانت تتماطر
قذائف النيران بغير انقطاع من عدة خطوط من المشاة همهم الفضاء على
كل كائن حي يشغل ميدان هجومنا المتسخ الذي ليس له ما يستره ويقيه .
وأما من جانبنا فلا يرى الا خط بقايا وحدات كثرت فيها الاماكن الخالية ،
ومع ذلك فان هذا الخط لم يكن ثابتاً في الارض لا يتحول من مكانه فقط
بل كانت تتنابه هزات عصبية تشعر بانه يحاول دائماً التزامى على شخصه .
واخذت تأمل هذا المشهد الحربي الدموي وانا أحبس انفاسي وطفقت
اسائل نفسي وأنا في منتهى الحيرة والقلق اذا كانت كرة من العدو لا تكن
لقلب جنودنا رأساً على عقب . ومع ذلك فالفرنسيون لا يتحركون من
مواقعهم بل فرسانهم هم الذين يقومون بحركات ترمى الى الخروج من جهة
القرية الشمالية على أنهم في محاولاتهم هذه لم يبتعدوا عن حدود سان
يريفا .

وساد السكون هنيئة على معركة المشاة . فقد خارت قوى الفريقين
وواجه بعضهما بعضاً ولا تكاد الطلقات تتبادل بينهما : وبلغ من شأن
الهدوء السائد على ميدان العراك أن أسير محاذنا خط النار من الجناح
اليسر الى قلب اللواء ثم اعود الى النقطة التي تحركت منها بدون ان
يخامرني شعور بأنني تحت طائلة الخطر . غير ان مدفعيتنا التي تقدمت الى
الأمام شرعت في تادية مهتها وهي التدمير ثم اقبلت وحدات جديدة
منعشة من وحدات اللواء الثاني من فيلق الخرس قادمة من سانت مارى
لتقوى الفصائل المتبقية من اللوائين الرابع والأول بينما كان السكسونيون
يهرعون من جهة الشمال الغربي لاسحاف تلك البقايا . وبهذه الوسيلة صار
الضغط الذي كان واقماً على المشاة اخف مما كان عليه . ولقد طرأ على

هذه الساحة عامل جديد غير شكها فبعد ان ظلمت مدة تحت سلطتي
الاهلاك والتخريب غشي صفوفنا نشاط حربي جديد ظهرت آثاره فوراً
باندفاع جنودنا باقدام على مهاجمة العدو .

وبدت ساعة من الزمن مؤثرة في النفوس لا يمكن وصفها اذ بينما
الشمس الجانحة الى الغروب ترسل اشعتها الاخيرة الى الافق مودعة
تهض رجالتنا الموجودون في الصفوف الأولى واندفعوا الى الامام لآخر مرة .
ولم يكن قد صدر لهم أي أمر بالزحف على العدو ، وانما عاطفة واحدة
سائدة على الجميع وهي عاطفة ادبية ممزوجة بقوة الارادة المتجهة الى
الانتصار هي التي انعشتهم وحركتهم وقذفت بهم الى الامام . وهذم
الحركة التي لا تغالب اقتادات كل انسان وكل شيء معها . فالبنت حصون
العدو الامامية ان سقطت عند تحميم الظلام . فاستولى علينا سرور
لا حد له .

وعندما احصيت بقيه رجال طابورنا تحت جتح الظلام وعندما
رأيت في الصباح بقايا الوحدات الاخرى من آلائنا وهي أقل منا عدداً
وأخيراً عندما انفجر البركان الذي كان كامناً في فؤادي فاضت منه عواطف
رحمة واشفاق على نفسي ففكرت حينئذ في النتائج التي خرجنا بها من هذه
المعركة ولم يكن تفكيري مقصوداً على ما رجناه بل كان يشمل ما تقاضاه
هذا الرجح من الخسائر النفسية . لقد كانت خسائر الآلاي الثالث من
الحرس ٣٦ ضابطاً و ١٠٠٠ ضابط صف وجندي منهم سبعة عشر
ضابطاً و ٣٠٤ جنود قتل . وكانت خسائر باقي الآيات الحرس على مثل هذا
النمط من القذاحة . وفي خلال الحرب الاخيرة الكبرى اصبحت آلائنا يمثل
هذه الخسائر الجسيمة التي ابتلى بها الحرس في سان بريفا جعلتني اعتقد

دائماً بإصابة الجنود في كل معركة بمثل تلك الخسائر . فأية جموع قويت في
منتهى البراعة والاقدام بل أحيانا لا يمكن الاستعاضة عنها كان نصيبها من
هذه الساحة الانتقال الى ساحة القبور ! ولكن من جهة أخرى أي روح
عجيب احتفظ به شعبنا فجعله طول مدة هذا الصراع الأخير الذي ظل
أربعة أعوام باقياً على الرغم من كل العوامل المختلفة على وتيرة واحدة من
الثبات والاستعداد لخوض غمار كل كفاح !

وفي ١٩ أغسطس وارينسا موتانا وبعد ظهر اليوم العشرين شرعنا في
الزحف الى الغرب . وأعرب لنا قائد فرقنا أمير اللواء فون باب عن
امتنانه من الانتصارات الباهرة التي أحرزناها وصرح لنا أثناء الطريق
بأننا لم نفعل الا ما يقتضيه الواجب . وختم تصريحه بقوله : « ليس ما هو
أجدر بنا من المثل العسكري القديم القائل : « اذا سقط الف عن اليسار
والف عن اليمين بل اذا سقط كل أحباؤنا فانتا سنظل راغبين في استمرار
الكفاح ! » فكان جوابنا على مقاله أن أرسلنا في القضاء هتافاً عالمياً ربنا
اجلالاً لصاحب الجلالة الملك

وكيفما كان الانتقاد الذي يمكن توجيهه الى معركة سنان بزيقا من الوجهة
العسكرية فانها لم تفقد شيئاً من مجدها الادبي . وهذا المجد الادبي الراسخ
في نفوس جنودنا هو الذي جعل مشاننا يتحملون الاهوال لساعات عديدة
وأخيراً يتغلبون بعزيمة ماضية على شددائد أعظم موقعة هائلة وينزعون
الظفر بإطراف الأستة . هذه المعظمة هي الشعور المتولد من ذكر باننا المتخلفة
من يوم ١٨ أغسطس ولقد اختفت الازمة الأدبية التي كانت قد تغلبت
على رجالنا عقب المعركة ولم يبق لها من أثر في أقرب وقت وبالعكس بقيت
الافعال الفردية والمجهودات الاجماعية تنفث فينا روح الفخار الى ايامنا

هذه . وأمكنتني أن أحتفل في عام ١٩١٨ بعيد ذكرى سان بريفا السنوي وجرى الاحتفال بهذا العيد فوق أرض العدو وكنت اذ ذاك مع الاني القديم وهو الالاي الثالث من رماة الحرس الذي اتصلت به مرة اخرى بفضل مليكي . ولقد أسرع كثيرون من « السادة الكهول » من متقاعدي عام ١٨٧٠ وفيما بينهم النبائش المستودع فون سيل الذي أسلفت الكلام عنه بالخطور الى الجبهة تاركين مواطنهم المتفرقة ليستركوا في الاحتفال بهذا العيد السنوي . وكانت هذه آخر مرة رأيت فيها آلاي المجيد ا

ولقد سمعت بأن النصب التي أقيمت على ربي سان بريفا تذكراً للحرس البروسي أزيلت من أماكنها بأيدي أعدائنا . فاذا صح هذا القيل فاني لا أخال مثل هذا العمل يقتل من قيمة الشجاعة الباهرة المتحلية بها جنودنا . وكمن مرة بصرت بضباط وجنود ألمانيين يقفون سكوتاً حتى في الارض الألمانية أمام النصب الفرنسي وكنت أحاصهم في فكرة الاحترام العظيم لأولئك الذين أجهدوا نفوسهم من خصومتنا وتحملوا المشاق والتضحيات الهائلة لاجل الغرض الاسمي ..

وبعد المعركة تولى رئيس طابوري وهو الضابط العظيم الوحيد الذي بقي سليماً من الجراح قيادة الآلاي فبقيت شخصياً مقرباً منه لاقوم بوظيفة مساعد له على تأدية أعماله الحديثة .

ولم يكن لجري الاعمال التي أدت الى انتصار جيوشنا في وقعة سيدان تأثير خاص في حياتي . ففي ٣٠ أغسطس أثناء معركة يومون التي تمتدبر كرفع الستار عن معركة سستيدان لم تكن نحن الا شهوداً فقط في خطوط الاحتياط . وكذلك في أول سبتمبر كان عملي مقصوراً على مشاهدة المعركة كمتأمل حر الارادة في ملاحظاته . وكان فيلق الحرس يكون القسم الشرقي

من الحلقة الحديدية الآخذة في الاحتباك أثناء النهار حول جيش ما كاهون. وقد بقي اللواء الاول من الحرس برجه خاص من الصباح الى ما بعد الظهر في موقف الانتظار خلف الاكبات الناهضة في نهاية جيفون. وانهزت هذه الفرصة لاقترب من بطاريات الحرس التي اتخذت لها موقعا ممتدا على خط مستطيل على الذروة المجاورة وشرعت تطلق مدافعها من وراء لوهدة على الفرنسيين المقيمين على التلال المقابلة وهي تلال مكسوة أغلبها بالأشجار وقد كان من الميسور رؤية المنطقة الممتدة ما بين غابة الاردين والسفوح المنحدرة الى الموز من المكان الذي كنت موجودا فيه. وكانت وادى ايلي الجبلى والموقع الفرنسي الكائن في قاع جيفون وسهما غابة جارين تكاد تسمها قبضة يدي بنوع خاص. فالتكبة الفرنسية حادثة اذن على مرأى ومسمع منى. وعلى ذلك فقد استطعت أن أرى طوق مدفعياتنا الحديدية يلتأم طرفاه رويدا رويدا حول خصمنا النعس المحروب. كما استطعت أن أرى المحاولات الجريئة المصحوبة بالشجاعة التي أراد بها الفرنسيون تحطيم هذا الطوق من بعض نقطه بهجمات متفرقة. وكان لهذه المعركة بمنزلة خاص بي. وذلك اننى فى الليلة التي أعقبت صباح الالتحام بينما كنت مارا بكارينيان علمت من سروجى فرنسوى ثرارة ابتعت منه سوطا أن امراطور الفرنسيين موجودا فى وسط جيشه. فانبأت رؤسائى بهذا الخبر واكنهم لم يصدقونى. فحينما رأيت جيش العدو آخذا فى التلاشى التام بالتدريج أفضيت بهذا التصريح: «ان نابليون موجود فى هذا السعير الملتصق» فسخروا منى. ولكن حينما تحقق قولى فيما بعد كان فوزى عظيما.

ولم يشتبك فى هذا اليوم الاينى مع العدو بصفة جدية. وقد لحقنا في

الساعة الثالثة مساءً بالآلاى الاول الذى اجتار وحدة جيقون . وفي هذه الآونة تكنت مدفعيتنا التى كانت تطلق نيرانها على سائر المواقع من اسكات النيران الفرنسية والتغلب على مقاومة الفرنسيين . ولم يكن القصد من ازالة العدو الى سيدان الا افهامه أن كل مقاومة صارت عبثاً . ولقد كان منظر التدمير الذى رأيته فى الجانب الشمالى من غاية جارين أثناء زحفنا الى الامام فوق كل الهطائع التى رأينا عيناى فى ساحة قتال .

ومن الساعة الرابعة الى الخامسة اتجهنا الى أما كنتا فى المعسكر لان القتال قد انتهى . ولقد أُلقيت بندقية واحدة فى العشية ومررت رصاصتها فوقنا وبالتأمل جهة القابة رأينا جزائرياً يحمل بندقية بهيأة وحشية ويذهب مخفياً فى القابة الظلماء بسرعة .

ولم يسبق لى قبل مساء أول سبتمبر ان قضيت ليلة فى ساحة القتال وأنا متمتع بنام السرور كهذه الليلة . ولما تجاوزت الاصوات من جميع الجهات بالنشودة . « الآن احمدا الله جميعاً » لم يبق انسان لم يحلم بقرب انتهاء الحرب . ولكننا لم نلبث أن صبحونا من أحلامنا : فان الحرب قد استمرت . ولم يكن لاستمرار مقاومة الفرنسيين بعد وقعة سيدان لدينا معنى سوى انها تضحية لا فائدة منها . أما أنا فلم أشترك فى هذا الرأى ولم أستطع أن أمنع نفسى من تحيذ عمل القائمين بشئون فرنسا فى ذلك الحين . ومن رأيت أن عمل الجمهورية الفرنسية المرتبط بأشهار السيف الذى اضطرت الامبراطورية الى اغماره لا يحمل على مجرد تظاهر وطنى وانما هو عمل له تأثير عظيم فى مستقبل سياسة فرنسا . ولا أزال أعتقد حتى اليوم أن فرنسا لو ألقت سلاحها اذ ذاك لفقدت أعظم جانب من كرامتها الوطنية بل لفقدت كل أمل لها فى المستقبل الحسن .

وفي صباح يوم ٢ سبتمبر جاء الامير ولي العهد ليرانا فكان أول من أنبأنا بان نابوليون وجيشه سقط في الأسر . ثم زارنا بعد الظهر ملكتنا وهو القائد الاعلى لجيوشنا . ولا يمكن وصف التحمس العظيم الذي استقبل به ملكتنا وصار من المستحيل حجز الرجال في اماكنهم بالصفوف . اذ قد احاطوا بملكهم المحبوب جداً وراموا على يديه وقدميه بوسه ونهاقاً وقيلاً وكانت هذه أول مرة رأى فيها جلالته حرسه منذ ابتداء الحرب . فشكرنا والدموع في عينيه على ما أنبأنا في سان بريفا . ما أعظمها من مكافأة على الساعات العصبية التي اجتريتها ! وكان بشارك في جملة حاشية الملك . فتقدم بسكون فوق جواده خلف الخيالة الملوكية ، ولكنه عرف وحيته جنودنا بهتاف مخصوص تلقاه بفضب . ولم يكن مولتك حاضراً .

وفي يوم ٣ سبتمبر صدر الامر لآلاين بالمسير الى سيدان وازاحة كل الفرنسيين المنتشرين في الخارج الى حصونهم . وكان الغرض من هذه الحركة منع الفرنسيين الذين لا يزالون منتشرين في الساحة بمعزل عن رفاقهم من النقاط البتادق التي لا تحصي والتي كانت متناثرة فوق وجه الارض ومنعهم من استعمالها والتجمع اذا تمها لهم ذلك بقصد محاولة اختراق الجحمار الامر الذي لا سبيل اليه . فركضت بجوادي مندفعاً الى الامام مخترقاً غابة جارين الى أن بلغت الرابي المشرفة على سيدان مباشرة . فاذا بلاسي السرايل الحمراء الذين يلتفتون الانظار لم يكونوا سوى فريق منتشر في البطحاء من البائسين المعزولين خارج القلعة يبحثون عن أردية وأعطية يلتحفون بها في اسرارهم . فلم يكن إذن ثمة من داع لتدخل الابي بل كانت بعض الوحدات من القوى العسكرية على مقربة من هذا المكان كافية لاحتلال الغرض المقصود وفيما انا عائداً الى الابي للاتباء بما تم اذا بغيرة تحكى

غمامة قد ظهرت فجأة في الطريق الكبرى الذاهبة الى الشمال ورأيت الى جانبي طبيباً على ابواب ضيعة كريموت وهذه الضيعة قد تحولت أثناء المعركة الى مستشفى تقالي فسايرني الطبيب الفرنسي حصبة من الطريق أخبرني في أثناءها أن نابوليون تحت هذه الغمامة المغبرة راكباً مركبة تحرسه كوكبة من الفرسان وهو ذاهب الى البلجيك . ولو كنت وصلت الى هذه الطريق منذ دقيقتين من قبل لكنت من شهود هذا الحادث التاريخي .

وكرنا ميدان القتال في عشية ٣ سبتمبر حيث عسكرنا في جبهة قريبة منه . وبعد قضاء يوم في الراحة سارت فرقنا قاصدة باريس . فاجتازنا في بادىء الامر ميدان معركة بومون ثم اجتازنا مناطق صارت فيما بعد أثناء الحرب الكبرى الاخيرة ميادين لمعارك قاسية وعسكرنا الاين يومي ١١ و ١٢ سبتمبر يجهتي كراون وكوريني وهما مدينتان صغيرتان لطيفتان قائمتان على سفح وينتيريج (هذا اسم أطلقه الالمانيون على وادي كراون الجبلي) . وفي ٢٨ مايو عام ١٩١٨ أثناء معركة سواسون ريمس كنت مع امبراطوري الجليل فوق مسطح وينتيريج هذا . فوجدت الفرصة سانحة للفت نظر جلالته الى انني كنت معسكراً في سفح هذا المسطح الجبلي منذ ثمانية واربعين عاماً . ولم يكن باقياً من هتسين البلديات سوى دمن متفرقة ، حتى اني لم اهند الى آثار البيت الذي كنت نازلاً به في كوريني مع أنه كان مشرفاً على رجسة مارشيه لانه تحول الى تراب . وراى وينتيريج الجبلي الذي كان في عام ١٨٧٠ سلسلة جبال منخفضة خضراء وجانب منها مكسوة بالاشجار لم يبق منه في عام ١٩١٨ سوى بسخور عارية جافة وانزعرت منها القذائف كل ما كان أخضر زاهياً . وانها لاعادة نظر محزنة على الرغم من نشوة الانتصار التي كانت

بمنهاما الحقيقي مجد في ذلك العهد الحركة الثورية ثم اضطرب في ايدينا
الحاضرة الى مقاومة مجهودات المشاعيين لدينا باقضى الشدة . فهذه
المتناقضات توضح الى اين تقود خصائص التعلّم التي لم تمنحهم التجارب
العملية ولم تفتح بعد لاغلاطها وعيوبها العيون .

وغادرا ضراحي باريس في أوائل يونيو بعد ان استوعبت افكارنا
العبرة البالغة من الحوادث التي مر ذكرها وبعدها السفر ثلاثة ايام في السكة
الحديدية بلفنا وطننا المنصور السعيد .

ولكي نجعل دخولنا برلين باهراً تحركنا هذه المرة من براح التدريبات
العسكرية بتامبلوف : وقد اشتركت في هذا الموكب وفود من سائر
الوحدات الالمانية بانضمامها الى فيلق الحرس . وحفظت في اعماق مكان
من قلبي لا لاجلي بل لاجل امبراطوري وملكي ولاجل وطني مدة
طويلة من الزمن عاطفة الرجاء في ان ارى جنودنا الظافرة مارة لاتدفعه
الثالثة من باب براند بورج : الا ان هذا الرجاء لم يتحقق .

العمل في زمن السلم

عدنا الى وطننا بعد ان حصلنا في فرنسا على معلومات ثمينة في كل
قروع وخصائص الفن العسكري . وكما اننا حققنا املنا في اتحاد اجزاء
وطننا فقد افلحنا في توحيد جيشنا . ولم يطرأ على انظمتها الاساسية سوى
بعض مظاهر عرضية ارضاء لامتيازات بعض حكومات الاتحاد الالاني
: وقد اكتملت وحدة الخطط العسكرية والتقنية كما اكتملت وحدة
التنظيم والتسلح والتعليم . وكانت احدى النتائج الطبيعية لتكون المانيا
التاريخي ان التجارب التي اكتسبها الجيش البروسي والنظام الذي استنه
نفسه صارا قاعدتين لتنظيم الجيش الالاني فيما بعد .

وابدأ عمل زمن السلم حالا . ولبثت السنوات الاولى من عهد السلم
مؤدياً الخدمة العسكرية في أحد القيايق ولكني عملاً بالرغبة المحتمرة في
نفسى للالام بالتعليم العسكري العالي اعددت نفسي للتقدم الى الاكاديمية
الحربية وقبلت فيها عام ١٨٧٣ .

ولم يتفق تعلم السنة الأولى اتفاقاً تاماً مع آمالي . فبدلاً من تعليمنا
التاريخ العسكري والمعلومات المستخلصة من الوقائع الحديثة قذفوا بنا في فوهة
العلوم العسكرية وافعموا حوافظنا بدروس مختصة بتاريخ الفن العسكري
وبالخطط القديمة اي باشياء مملة تافهة . ومن جهة أخرى وجب علينا
ان نحضر اضطراراً دروساً رياضية لم يستفد منها فيما بعد الا أفراد قلائل
من بيتنا اشتغلوا بوظيفة حاسبين في الاولوية الطبوغرافية والسنتان الاخيرتان
ومدة التمرن في الاسلحة الاخرى ما بين كل سنة وأخرى من سنوات
التعليم هي التي ارضت مطامع الضابط الشاب الراغب في توسيع معلوماته .
وكنيت اشتغل تحت اشراف اساتذة أجلة أريد أن أعدد من بينهم الى جانبه
النباشي فون ويتيخ الذي اسلمت الكلام عليه القامقام كيسليير واليوزباشي
فيللاوم من اركان الحرب وكمؤرخين المشتشار الخصوصي دونكير والاستاذ
ريختر وكنيت مختلطاً بزملاء من سني مجدين في التحصيل أمثال القواد فيما بعد
فون يساوف وفون انجهورن وقائد الفرسان فون برناردي وبفضل هذه
الظروف المساعدة توصلت الى انهاء معلوماتي بدرجة عظيمة .

وللانتراج بالاوساط البرلينية المتنوعه دخل كبير في توسيع دائرة
معلوماتي . فلقد تشرفت باستدعائي لاكون عضواً في مجتمع صاحب السمو
الملكي اسكندر البروسي وهذا ما يسر لي أحكام الملاقاة مع رجال
عسكريين من ذوي المرتبة العليا فقط بل أيضاً مع رجال علماء ورجال من
الحكومة وافراد من الحاشية .

وبعد أن أتممت دراستي في الاكاديمية الحربية عدت ثمانية مدة ستة اشهر في الابن القديم بها ناورم التحقت في ربيع ١٨٧٧ بمعموم أركان الحرب .

وفي ابريل سنة ١٨٧٨ تعينت ركن حرب وارتقيت في الوقت عينه الى مرتبة اليوزباشى . وبعد بضعة اسابيع انتقلت الى أركان حرب الفيلق الحادى عشر بستتين . وهذا هو أول دخولي ميدان العمل العسكري خارج الوحدات ومنذ ذلك الوقت الى أن تعينت في وظيفة قيادة اللواء لم أعد الى وحدات أي فيلق الا مرتين .

ان أركان الحرب من أهم العناصر المتكون منها جيشنا الالماني فهو فضلاً عن اتباعه نظام تتابع الدرجات بشدة يعتبر عضواً خاصاً اعتماده على الملتزمة الادراكية العليا التي يمتاز بها رئيس أركان حرب المجلس المارشال مولتك والتعليم الذى يتلماه ضباط أركان الحرب في زمن السلم خير ضمانة لأن يسود في وقت الحرب مبدأ واحد في سائر أعضاء القيادة وأن يجرى تيار موحد في أفكار عموم الرؤساء ولم تسو مسألة أركان الحرب وتأثيره على الرئاسة في الفياق بوضع تعليمات ثابتة . بل بقيت مرتبطة على الاخص بالصفة العسكرية والشخصية الماثورة عن كل ضابط ثم ظهرت مظاهر مختلفة جداً . وأول ما يطلب من ضابط أركان الحرب أن يبقى مجهولاً في شخصيته وفي اعماله . اذ يجب عليه ان يشتغل تحت جنح الخفاء لان واجبه هو أن يوجد لا أن يظهر

واعتقادى ان أركان الحرب الالماني في مجموعه عرف أن يقوم بالمهمة المتناهية في الصعوبة الملقاة على عاتقه . فخدماته كانت جلية جداً ولو ان في تفاصيلها بعض غلطات وأوهام . ولا نجد ما هو أودعى الى تشريفه

من طالب خصوصاً في شروط الصلح فض هيأته
وطالما توجه الظن الى وجود علم سرى في خدمة أركان الحرب .
ولا يوجد ما هو الصق بالشطط من هذا الوهم . وأعمال اركان الحرب
كسائر أعمالنا الحربية الأخرى قائمة على سلامة الذوق ودقة الشعور
فهو لا يقتصر على الاهتمام بالأعمال ذات الشأن الخطير فقط بل لابد له أيضاً
من الاهتمام بمجموع المسائل التفصيلية التي ينبغي أن يفصل فيها بحكمة ورزانة
وأعرف كثيرين من الضباط الأكفاء لا يعرفون كيف يتصرفون في
هذه الأعمال الأخيرة أى المسائل التفصيلية، فلا يمكن استخدامهم كضباط
من أركان الحرب ولو عهدت اليهم هذه المهمة لتألم الجنود من نتائج أعمالهم
وبما اني كنت احدث ضابط أركان حرب في حياة اركان حرب
الفيالق الذي يصير الحاق به فقد كنت بالطبع أشتغل بالمسائل التفصيلية
التي أوضحتها فيما تقدم . وفي أول الامر شق علي هذا العبء جداً الا اني
فيما بعد تعودت على هذه المسائل ووجدت في نفسي ارتياحاً لدرستها
لعلمي بأنها اساس كثير من الأعمال ذات الاهمية الكبرى ولائها تتعلق
براحة الجنود . ولم يكن اشتغالي بالمسائل العالية الا أثناء فصل اجازات
أركان الحرب اذ أصبح حينئذ مساعداً لرئيس أركان الحرب . وفي هذا
الحين ندبت للاشتراك في أول سباحة يقوم بها أركان حرب قلعة
كوينجسبيرج ، وهي سباحة يتولاها الجنرال الكونت والدرسى رئيس
أركان حرب الفيالق العاشر وكان رئيسي قائد الفيالق هو رئيس فرسان
هان القون وإيهرن وهو جندي محنك خدم في أثناء شبابه في شليسويج
هولستين ثم قاد فرقة خيالة عام ١٨٦٦ وفرقة مشاة عامي ١٨٧٠ و١٨٧١
وكان من المفرح اعتلاء صهوة الجواد في لباس الخياله الخفيفة وهم فرسان

بلوخر قائدنا القديم الذى كان من أمهر الخيالة. ويرجع الفضل في معرفة الشؤون العملية في وظيفة اركان الحرب لرئيسي الأولين في هيئة أركان الحرب وهما أمير الالاي القون بيترسدورف والقائمقام القون زينجلير وفي عام ١٨٧٩ اشتبك القيلق الحادى عشر في المناورات الامبراطورية واستحق عبارات الثناء من جلالة الملك. وتعرفت في هذه الفرصة بالقائد الروسى سسكو بيليف الذى كان في ذلك الوقت عقب انتهاء الحرب الروسية التركية في قمة مجده. فرأينا فيه مظهر الرئيس المتناهى في الشجاعة فهو قوي وذو قيمة سامية. وكانت أعمال فخفخته غير محمودة

ولا ينبغي نسيان ذكر زواجي في ستين. وزجتي تنتمي كذلك الى اسرة عسكرية فهي بنت القائد القون سبيرلنج الذي تولى على التعاقب رئاستي اركان حرب القيلق السادس عام ١٨٦٦. والجيش الأول عامي ١٨٧٠ و ١٨٧١ ومات بعد انتهاء الحرب القروسية بقليل. وكانت امرأتى زوجة محبة لى نشاطى باخلاص ومن غير فتور افراحي وآلامى وهمومى واعمالى فكانت بهذه المثابة احب الناس الي واعز رفيق علي. واتت لي بولد وبنين. قاما الأول فقد أدى واجبه اثناء الحرب الكبرى بصفته ضابطاً من اركان الحرب. واما بنتاي فتزوجتا وزوجاهما ذهباً كذلك الى الجبهة.

وفي عام ١٨٨١ انتقلت الى الفرقة الاولى بكويتهجسينج وهذه الوظيفة جعلتني اكثر حرية واستقلالاً قادتني من الجنود واعادتني الى الولاية التي تقطنها اسرى.

ويجب ان اذكر بين الحوادث العسكرية التي صادفتني اثناء اقامتي في كويتهجسينج ان المنشىء العسكري المشهور جداً القائد فردي الفرونازي

سار قائد فرقتي حصبة من الزمن . وكان هذا القائد رجلاً عظيماً ذا
كفاءة فائقة ومفيدة . وبما انه امضى مدداً طويلة في هيات اركان حرب
مهمة في حربي ١٨٦٦ و ١٨٧٠ فقد حصل على معلومات قلما يعلمها
انسان عن الحوادث الحاسمة في ذلك الزمن . وكذلك كان قد التحق
عام ١٨٦٣ بالمعسكر العام للقيادة الروسية في فاسوفيا أثناء الثورة
البولونية التي اشتعلت في تلك السنة فوقف على معلومات دقيقة عن الحالة
السياسية في مناطق نخومنا الشرقية . ولهذا فكل ما يقصه من أبناء حياته
وبالطبع بطريقة شائقة في التعبير — مفيدة لنا ، وليس من الوجهة العسكرية
فقط بل من الوجهة السياسية أيضا . وعدا هذا فقد كان القائد فردى
الفرناوازي مصلحا ومحدثا في دائرة التعليم العسكري المتبع فاشتغلت تحت
اشرافه وكنا تبادل الآراء غالبا حتى اننى استفدت منه امورا جمّة افادتني
في الدروس التي القيتها أخيراً في الاكاديمية الحربية فكان لهذا الرجل
المشتغل ذكاه في كثير من الآراء تأثيراً عظيماً جداً . وكان لى دائماً رئيساً
محبا للخير وأظهر لى في كل وقت ثقته التامة بى .

وأذكر بالمثل مع الشكر الجزيل لرئيس أركان الحرب في فيلنى أمير
الالاي القون بارتنوفر . فان اسفاره مع أركان الحرب وشروعات اعماله
الشتوية كانت مرتبة ترتيباً محكماً وانتقاداته منيرة للادهان

وفي نهاية ثلاث سنين غادرت أركان حرب الفرقة الاولى وتعينت
رئيساً لبلوك من الالاي الثامن والخمسين من المشاة في فرواستادت في
بوسنانيا . وهذه العودة الى الجنود جعلتنى اتولى رئاسة بلوك مؤلف من
رجال كلهم تقريبا من اصول بولونية وهذه الفرصة جعلتنى اقف على كل
مصاعب الطريقة المتبعة في تعليم وتهذيب مثل هذه الوحدة اذ الرؤساء

والمرء وسون لا يستطيعون أن يتفاهموا لان كلا الطرفين لا يعرف سوى لنته وأنا شخصياً لا أعرف من اللغة البولونية سوى بعض تعبيرات التقطتها في طفولتي . ولقد ازدادت صعوبة التأثير الذي اردت احداثه في بولكي من جراء تفرقهم في المساكن اذ كانوا يذهبون الى اكثر من ثلاثة وثلاثين مأوى مختلف بل والى الطواحين الهوائية المجاورة للمدينة . ولكن على كل حال لم تكن التجارب التي استغندتها من هذه القصة البولونية سيئة . فقد كان رجال هذه القصة نشطين ومتشبعين بالارادة الحسنة واريدهم أن أقول انهم يصيرون شديدي الارتباط اذا امكن التغلب على الصعوبات التي يغالبونها للتوصل الى عمل مهتهم واذا اعتني بهم مع التزام خطة الشدة .

وكنيت اعتقد في ذلك الوقت أن معظم حالات السرقات والسكر المنتشرة لدى البولونيين لا يجب نسبتها الى انحطاط المستوى الادبي بل بالأحرى الى التأديب الناقص في ايام الشيوعية . واني لأسف الآن لسماع ما تتناقله الألسنة عن أعمال القسوة التي يقتربها النازيون ضد اناس لا وسائل للدفاع لديهم ولا ضطراري الى العدول عن الرأي الجميل الذي كنت ارتأيه للبولونيين المستوطنين في بوسنانيا . انني ما كنت اتصور صدور مثل هذه الاعمال من مواطني جنودي حملة البنادق البقداماء !

ولا أزال أفكر اليوم بارتياح في الوقت الذي قضيته في رأس ذلك البولك الذي لم يلبث اكثر من خمسة عشر شهراً مع الأسف . وعرفت لأول مرة كيف تكون حياة حامية صغيرة نصف قروية ، وقد قوبلت في هذه المدينة باستقبال ودي لا في وسط الزملاء فقط ولكن في وسط ملاك الضياع المجاورة للمدينة أيضاً ، وتهيأت الفرصة مرة اخرى لان

أعيش عتكا مباشرة بالمساكر . واجتهدت في دراسة أطوار رجالى بالتحادث مع كل واحد منهم على حدة وهذا ما أمكننى من إيجاد رابطة قوية ما بين رؤوسى وبينى ولذا كان من الشاق على نفسى الانفصال عن بلوكى على الرغم من كل المزايا التى كانت ستتيحها لى عودتى الى اركان الحرب .

وكان هذا الفراق فى صيف سنة ١٨٨٥ وهو الوقت الذى اتصلت فيه بمعوم اركان الحرب . وفى خلال بضعة أشهر تعينت قائداً وانضمت الى الشعبة التى يرأسها الكونت القون شلييفين الذى كان إذ ذاك أميرالاي والذى صار فيما بعد قائداً ورئيس اركان حرب الجيش وفضلاً عن ذلك فقد كنت تحت طلب شعبة أمير الآلاي فوجل فون فالكنستين الذى صار فيما بعد قائد الفيلق الثامن ورئيس فيلق المهندسين ومنظمى الطرق واشتركت أكثر من حول مع ضباط هذه الشعبة فى وضع الصيغة الأولى لقانون الخدمة فى الحرب وهو قانون جديد وذو أهمية أساسية . وهذا العمل المشترك احتككت برئيسى شعبتين من شعب هيئة أركان الحرب الكبرى اللذين كانا يشغلان فى ذلك العهد أهم الوظائف .

واشترك صاحب السمو الملكى الأمير غليوم البروسى أثناء ربيع ١٨٨٦ فى العمل الذى جرى بضعة أيام فى منطقة زوسين والذى كان الغرض منه اختيار عدة مشروعات جديدة للخدمة فى الحزب اختباراً فعلياً قبل تنفيذ قانون هذه الخدمة . فكانت هذه أول فرصة تشرفت فيها بمقابلة امبراطورنا فى المستقبل ملكنا وحاكنا غليوم الثانى . وفى بحر الشتاء التالى حضر الأمير تمريننا على خريطة عموم اركان الحرب وكنت فى هذا الظرف أترأس القسم الروسى .

وإذا كان المارشال مولتك في خلال هذه السنوات قد عهد الى الكونت والدرسي بصفته مساعده الفصل في أعمال شعب عموم أركان الحرب المختلفة فان روح المارشال وطريقة نظره في الامور ما زالت واضحة الاثر . ومما لا شك فيه ان كافة الضباط كانوا يشعرون بعاطفة اعجب لاحد له الكونت مولتك ولم يكن احدا يحاول ان يتخلص من نفوذه العجيب .

ولم تسمح لي مقتضيات الاحوال في سائر الاعمال التي وصفتها فيما تقدم بالدخول في علاقات رسمية مع المارشال ولكنني تشرفت بمقابلته في عدة اوقات خارج الخدمة ، ولقد حضرت في ليلة لدى الأمير اسكندر منظرأ يوضح شخصية مولتك ومواهبه . فبعد تناول طعام العشاء أخذنا نتأمل في لوحة تمثل كايها وزن وفيها ترى متمايلا الأمير فردريك شارل مع الأمير ولي العهد في ساحة قتال كوينجرانز وكان بين الحضور القائد فون وينتر فلدت الذي كان موجوداً أثناء تلك المواجهة فذكر أن الأمير فردريك شارل صاح عند ما شاهد الأمير ولي العهد قائلاً : « أحمد الله على وصولك والا فربما كانت الامور تجري في مجرى سيء بالنسبة لي ! » ولما سمع الكونت مولتك هذه القصة وكان يبحث عن سيجارة التفت اليها وتقدم ثلاث خطوات واسعة وقال بلهجة قوية : « لم يكن الأمير في حاجة الى التلطف بهذه الكلمات اذ انه كان يعلم حق العلم ان الأمير وريث التاج صدر اليه الامر بالجيش وان قدومه كان منتظرا في الظهر الى ساحة القتال وان الانتصار كان محققا بهذه الطريقة ! » وبعد ان انتهى من هذه الملاحظة عاد المارشال الى البحث عن سيجارة

وفي الاحتفال بعيد ميلاد الإمبراطور السنوي كان القواد وضباط هيئة أركان الحرب الكبري يدعون الى وليمة المارشال . ففي أحدى ولائم

هذا الاحتفال زعم أحد المدعويين أن النخب الذى سيشر به مولتك فى شرف الإمبراطور لا يقل عن عشر كلمات من أول لفظ يقوه به إلى أول هتاف. فحدث رهان فى هذا الصدد لم أتناول فيه انحيازاً لأحد فلم يوفق صاحب الزعم فى رأيه لأن المرشال اقتصر على قوله : « ليحيى الإمبراطور أيها السادة ! » وهى كلمات كافية لأن تخرج من مثل هذا القم فى وسط حياة كهينتنا. وحدث مثل ذلك الرهان فى العام التالى ولكن ذلك الشخص الذى خسر فى العام الماضى رفض الاشتراك فى رهان هذه السنة ولو قبل لم ينجح فى هذه الدفعة لأن الكونت مولتك قال فى هذا النخب : « سادى ليحيى صاحب الجلالة ليحيى إمبراطورنا ومليكنا هوراه ! » فكانت جملة أنفاظه أحد عشر

وبالجملة لم يكن الكونت مولتك فى المجتمعات ملتزماً جانب الصمت بل كان متكلماً لطيف المعشر كثير الانتعاش

وفى عام ١٨٩١ رأيت المرشال آخر مرة وهو على فراش الموت . ودخلت غرفته ثانى يوم للوفاة فوجدته راقداً فى سريره وليس على رأسه القبعة التى كان رأسه يكتسى بها عادة فظهر شكل رأسه فى المظهر الذى يدل على قيمته الحقيقية. فلم يكن ينقصه الا اكليل من الفاريلتف حول جبينه ليصبح رأسه رأس قيصر تصورى . كم من فكرة عظيمة توافى من هذا الرأس ! وكم من امنية سامية كانت تحتويها هذه الهامة ! وبأى شهامة وشرف نفس وسمو فكر بل بأى تجرد من الغاية اشتغل هذا الرأس لمصلحة وطننا ومليكنا ! ومنذ ذلك العهد وأنا مقتنع بأن شعبنا لم ينجب شخصاً فى مثل عظمته سواء من جهة العقل أو من الصفة الشخصية . لأجل أن مولتك هو الرجل الوحيد الذى بلغ فيه اجتماع هتين الميزتين

منتهى مبلغهما من السمو !

وكان امبراطورنا الأول المتناهى فى العظم قد انتقل من هذا العالم منذ ثلاث سنوات مضت . وقد عهد الي بالاشراف على اليلة الحزينة فى الكندراية فتننت لى تادية آحر حذمة لمولاي الامبراطور الملك المحبوب فوق كل حب ! وحينما كنت قائما بالمحافظة كانت افكارى تسبح فى الماضى الى ذكرى ميميل وكوينجراتز وسيدان ويوم فرساي العظيم واخيرا الى ذكرى أحد أيام الآحاد من العام الماضى حيث اختلطت بالجمهور المحمس تحت النافذة المشهورة الكائنة فى زاوية القصر الملكى . ودفعتنى حماسى الى حمل ولدى البالغ من العمر اذ ذاك خمس سننوات بين ذراعى لاربه ملكنا ذا الشعور البيضاء وأنا أقول له : «يايك أن تنسى هذه اللحظة طول حياتك ولتقم دائما بتادية واجبك !» فالآن نفسه العظيمة الملكية والبشرية لحقت بنفوس رفاقنا التى بعث اليها بتحييه منذ سننوات قلائل مع المارشال وون المتوفى .

على مائدة على قطعه من المرمر الازرق ! وهى مأخوذة من الكندراية القديمة ومن المكان الموضوع فيه نقش امبراطورى . ولست أعلم تذكراً أعز من هذا الحجر قدراً ولا أحتاج الى استعمال ألفاظ لوصف المواقف التى تتحرك فى نفسى اليوم أيضاً عند رؤية هذا الحجر !

ولم يطل حكم ابن غليوم الأول الامبراطور فردريك فخر المانيا وألمها ! لانه أصيب بمرض عضال سبب وفاته بمسد بضعة أشهر من وفاة أبيه . وكانت حياة أركان الحرب الكبرى اذ ذاك فى سياحة بحث واستقراء فى بروسيا الشرقية فاقسمنا بين الاخلاص لجلالة الامبراطور والملك غليوم

الداني ونحن في جوميينين . فكان اشترأكي في اداء عين الاخلاص للملكي الجديد في مكان أتيجلى بعند مضي ستة وعشرين حولاً في وقت عصبيت ولكنه عظيم أن أقيم له الدليل بأعماله على صدق هذا الاخلاص .

ولقد خدمني الطالع السعيد بتهيئته لي في داخل هيئة أركان الحرب التنقل في متنوع الوظائف . فمع بقائي في وظيفتي بهيئة أركان الحرب عهد إلي بالقاء دروس في الخطط الحربية بالأكاديمية الحربية . فشعرت باحتياج شديد لتأديتي هذه المهمة ولبثت إؤديها مدة خمس سنين متعاقبات في الحقيقة أن العمل الذي اختصصت بتأديته كان عظيماً جداً لاني مع القائي الدروس المفروضة علي في الأكاديمية الحربية كان من الواجب علي أيضاً ان أؤدى عملي اليومي أولاً في هيئة أركان الحرب وأخيراً في القليق الثالث الذي صرت الضابط الاول في أركان حربه . وعلى هذه الصفة كان اليوم المؤلف من أربعة وعشرين ساعة غير كاف . وأمسيت تمضية الليل في العمل عادة لي .

وفي مدة تعليمي في الأكاديمية الحربية تعرفت بعدة ضباط شبان كانوا في منتهى النشاط والذكاء ومزودين بأبدع الآمال . واسماء اغلبهم مسطيرة الآن في بطون التواريخ . ولأذكركمنا الالوانستين ولوتويستر وفرأي تاج لورينجهوفن ويشتاين وهوتير . وكان يحضر دروسي ايضاً ضابطان من أركان حرب الأتراك مدة عامين وهما شاكربك وتوفيق أفندي وقد صارا فيما بعد في وطنهما احدهما مشيراً والاخر فريقاً . وفي خلال اقامتي بأركان حرب القليق الثالث كان قائد هذا القليق ثاني القائدين المتسمين بالقون بروسبارت وهو ضابط عظيم الجدارة كان مستخدماً في عام ١٨٦٦ وفي عامي ١٨٧٠ — ١٨٧١ في أركان الحرب وقد صار وزير

الحرية كما سبقه الى هذا المنصب اخوه من قبل .

ولقد سمح لي انتدائي الى وزارة الحرية بنوع من العمل حديث بالنسبة لي اذ وكنت الى عهدتي شعبة من ادارة الحرب العامة . وهذا التعيين يجب عزوه الى ان رئيسي القديم في الفرقة القائد فون فيردى الذى عند ما استندت اليه وزارة الحرية استدعاني اليه اثناء حدوث تعديل في وظائف الوزارة . وعلى اثر ذلك تعينت رئيس شعبة

وفي اول استلامي اعمال هذه الوظيفة لم اجد في نفسي ميلا اليها غير انني فيما بعد قدرت الفائدة التي استفدتها من هذه الوظيفة حق قدرها لانني استطعت ان ادخل في دائرة عمل وفي مسائل كانت الى ذلك الحين لاتزال مجهولة تمام الجمل لدي .

وعرضت لي فرض عديدة ساعدتني على معرفة الصبغ الرسمية المتبعة في الاعمال العادية والتي يصعب التخلص منها مع تلك الطرق المتبعة والنزعة الديوانية المتمكنة من نفوس بعض الاشخاص المرؤوسين وهي نزعة مترتبة على الصبغ الرسمية ، ولكنني مع ذلك تأكدت من ان كل واحد يشغل باعظم همة الى درجة استنفاد قواه .

وكان من جملة الاعمال البالغة في الاهمية التي كنت اقوم بها في تلك المدة تنقيح قانون جنود تنظيم الطرق والتعليقات التي يجب اتباعها في المدفعية الثقيلة اثناء القتال في الارض المكشوفة . وكلا هذين القانونين مستخدم من تجارب الحرب .

ان الخدم التي اديتها وزارة الحرب في زمن السلم وعلى الاخص اثناء الحرب الاخيرة جدية بان تصيب نصيبها من الاجلال . واكن لا يمكن تاكيد رأي هذا بتعبيره برمته الا اذا درس درساً جيداً وبفكر هادىة

خال من كل شائبة .

وإذا كنت مع طول الزمن قد عرفت كل المنفعة المترتبة على اشتغالي في الوزارة الحربية فاني لا استقبل عهد تخلصي من غير الخدمة الدوائية المقيدة بتجوية اقل حرارة من التجوية التي اودع بها الوظيفة التي افادتنى كل تلك المعلومات الجديدة : فقد تمكنت في سنة ١٨٩٣ رئيساً للالاي الحادى والتسمين من المشاة الخيم في اولدنبورج

ان وظيفة رئاسة الالاي هي ابداع ما يمكن الحصول عليه في الجيش ان رئيس مجموعة من الضباط يطبع آلايه بطابعه الخاص وهو تمثيل العادة المتبعة تمثيلاً محكماً . فينير عقول هيئة ضباطه لا من لوجهة العسكرية فقط بل من الوجهة الاجتماعية أيضاً ويشرف ويراقب على تعليم الجنود وهذان هما الواجبان الجوهريان لرئيس هيئة الضباط فبذلت جهدي في أن أغرس في نفوس الضباط روح الشجاعة والاباء وفي طوايري الليل الى الحرب والاطاعة العمياء . وانكنى حاولت كذلك أن أوجد في جميع مرؤوسي مع المحافظة على تنفيذ الاوامر واطاعة التعليمات بكل دقة محبة العمل والابتكار والابتهاج بهما . وبفضل هذا التمييز المحكم تيسر لي أن امرن حامية اولدنبورج المؤلفة من مشاة وفوارس ومدفعين على سائر الاعمال العسكرية ولقد أظهر لي صاحب السمو الملكي الجرانديوق والجرانديوق أعظم رعاية وكذلك كان نصيبي من ولي المهد وقرينته . ومن جهة أخرى كنت دائماً اقبل بالحفاوة في كل مكان وحبيت الي اولدنبورج جداً بصفتها مدينة الجمادات المحبوبة . وقد وافقتني مشية اهالي اولدنبورج الهادئة الوقورة . وهذا هو السبب في انني اذكر بارتياح واعتراف بالجميل تلك المسدة التي قضيتها في المدينة المذكورة . ومن أعظم بواعث الحبور ان امير اطوري من طبيته

وكرمه هيأ لي الفرصة باعادة صلاتي بالابي القديم انا أنعم علي « بالتبعية »
للإلاى الحادى والتسمين بمناسبة الاحتفال بمرور سبعين عاما على مولدى
وهذا الأمر جعلنى اليوم محسوبا من عداد الاولاد نرجيين .

وفى عام ١٨٩٦ تمينت رئيس أركان الحرب فى القليلق الثامن وهذه الوظيفة
جعلتنى أنصل لأول مرة مع ولايتنا الرينية . ولقد تأثرت أعظم تأثر للخلاق
الجميل وللمقابلة الحية التى تلقاها بها الرينيون . وانى معترف بانى بذلت جهدى
لاعتاد على طريقتهم المشوبة بالخفة فى نظرهم الى أهم الشؤون فى الحياة وعلى
طريقة شعورهم المشوبة بالليونىة على تقيض الشعور الالمانى الشمالى . وان
توسعنا التاريخى وكذا اختلاف الموقع الجغرافى والحالة الاقتصادية كل
هذه الامور توضح باجلى بيان ان البروسيين والرنيين لا يتفقان فى التفكير
ولا فى الشعور فى كثير من النقط . ولكن من رأى ان اتخاذ نكاة من هذه
الاختلافات فى هذه الأيام لفصل البلاد الرينية من بروسيا جريمة
وذكران للجميل .

ولقد اجتذبتنى الحياة اللذيذة على ضفتى الزين الى حباثلها فقضيت
فى هذه الولاية ساعات عذبة . وكان الرئيس الأول للقليلق القائد فوجيل فون
فالكينستاين الذى عرفته من قبل فى حياة أركان الحرب - الكبرى رئيسا
لاحدى الشعب وفى وزارة الحرب رئيسا للقسم الذى كنت ملتحقا به .
ولكن صاحب السمو الملكى الجراندوق وريث التاج البادى حل فيما بعد
محله فى قيادة القليلق

ولقد تيسر لى أن البث ثلاثة أعوام ونصف عام بجانب هذا الشخص
الجليل . وأعد هذه السنوات بين انا وسنى حياى : فان عواطفه الشريفة
التي تميز فيها عظمة الامارة بمودة آخذة بمجامع القلوب واخلاصه المتقضى

به والذي لا يمتريه ملل من القيام بالواجب ومشيته وصفاته التي تمثل الجندى الحقيقي تيسر له في الحال -حب وثقة مرؤوسيه والاهالى الرينيين
وفي أثناء رئاستي اركان الحرب عام ١٨٩٧ اشتراك القليل الثامن في
المناورات الامبراطورية . فازتاح بخلافة الامبرطور الملك من التمرينات
المسكينة . ويجب ان نذكر بين الحفلات التي اقيمت في كوبلانس حفلة
رفع تمثال الامبراطور غليوم الأول في دوش أيك وهي تنطة بديعة الموقع
في المسكان الذي ينصب فيه الموزيل في الرين قبالة حصن ابهرينراينستاين .
وبما انني بقيت اربع سنوات رئيس اركان حرب فقد صارت اقدمتي
في الدرجة لانه جعل مكانا للتفكير في ترقيةي الى رئاسة لواء من المشاة .
وهذا هو السبب في انني بعد انتضاء هذه السنين الأربع رقيت في سنة
١٩٠٠ الى قيادة الفرقة الثانية والعشرين بكارلسروب .

فتبليت هذا الأمر الصادر من ملكي المجل بمتنهي الجبور . ولقد
حيأت لي علائق الخدمة التي دامت الى هذا الحين مع الجراندوق وريث التاج
البادى حظوة التمتع برعاية خاصة من جانب صاحبي السمو الملكي الجراندوق
المذكور . والجراندوقه قرينته . وهذه الرعاية تمتعت بها أيضا زوجي وكان
لنا منها نحن الاثنين سعادة عظيمة . ويجب أن نضيف الى هذه السعادة
الممرات التي اتاحتها لنا بلاد باد البديسة بكل محاسنها الريفية وسكانها
البشوشين وكذلك كارلسروب بمصادرها العديدة الفنية والعلمية ومجمعاتها
التي تضم شمل سائر الاوساط والمهن .

والفرقة المشاة هي الوحيدة الأولى التي تجتمع فيها الاسلحة الثلاثة
نحت رئاسة واحد . فهمة رئيس الفرقة متوزعة على عدة أعمال مختلفة
فهي اعل من النظر في المسائل الفرعية ويظهر عملها على الأخص في المسائل

بذات الأهمية العظيمة في الحرب .

وتركت كارلسروب في عام ١٩٠٣ وأنا احفظ لها في قلبي أعظم عواطف الامتنان : فقد دعيتي ثمة رئيسي الاعلى الماعظم الى ترأس القيليق الرابع . فتوليت حينئذ منصباً حقيقياً بالتبعات تكون الإقامة فيه على العموم مدة أطول من أبة وظيفه أخرى . ان قائد القيليق بصفته رئيساً له لا ينظر إلا في أهم الشؤون المختصة بالوحدات المتألقة منها فيلقه . على انني ليثت بعمل بحسب المبادئ التي اتبعتها الى هذا الحين واظن انني حصلت بواسطتها على نتائج . ولقد كنت اهتم جداً الاهتمام بعطف مرؤسي وميلهم الي لانني اراهما خير التواعد التي تنتج أحسن الجنود وقد ظهر الي في ألطف مظاهرها بعد ثمانية اعوام عند ما غادرت وظيفتي اللطيفة .

وقد تشرفت بتقديم فيلقي في اول عام استلمت فيه قيادته الى صاحب الجلالة اثناء المناورات الامبراطورية التي ابتدئت بعرض في ميدان القتال في روسباخ ، فتلقيت التهنئات من مليكي وهي تهنئات نفتلها الى مرؤسي وجنودي .

ولقد تشرفت بخطوة تقديمي الى صاحبة الجلالة الامبراطورة في اثناء هذه المناورات . ولقد عرضت لي ساعات فيما بعد حينما اصبحتنا في موقف عصيب بالنسبة لنا ادركت فيها قيمة هذه السيدة الفاضلة تجاه بعلمها الجليل وتجاه الوطن وتجاهي .

وكان القيليق الرابع على عهدى تابعا في التفتيش الجيشى لصاحب السمو الملكي الامير ليوبولد البافارى . ولقد رأيت فيه الرئيس السكف والجندى المتناهي في البراعة . ولقد اراد القدران تتواجد معاً فيما بعد في مساحة الحرب الشرقية . ومع انه اقدم عهداً منى في الرئاسة فقد تفضل

موضع نفسه تحت اوامرى لاجل انجاح مسألتنا الكبرى . وفي ديسمبر عام ١٩٠٨ اشتركت مع القائد فون ييولوف بنشاء على امر صاحب الجلالة الامبراطور وكان فيلق هذا القائد تحت تفتيش الأمير البافارى فى الاحتفال الذي جرى بمونيخ بمناسبة مضي خمسين عاماً على هذا الامير فى الخدمة . وقد تشرفنا بهذه المناسبة بمحظوة المتول بين يدى صاحب السمو الملوک الامير لويتبولد المضطلع بأعباء الاحكام فى تلك الولاية فقابلنا بمتهى الرعاية .

وكثيراً ما يتقص ما جد بروج مقر الفياق الرابع من لا يعرفها حق المعرفة . اما هي فمدينة بديعة قديعة فيها من الآثار التيمة ما يستحق المشاهدة مثل برايتروج والسكندرائية الفاخرة . وعلى أثر استئصال الاسوار اقيمت مكانها ضوايح لطيفة حافلة بكل المطالب الحديثة . ولقد استعاضوا بسبل واسعة شيقة مخفوفة بالروج عن المناظر الطبيعية الجميلة الخالية منها ضواحي ما جد بروج . وأما فيما يختص بالفنون والعلوم فقد اهتموا أيضاً بإيجاد المسارح التمثيلية والمعازف الموسيقية والمتاحف الاثرية وأما كن المحاضرات الى امثالها . فيرى من هذا البيان أنه من الممكن الاقامة بإرتياح فى هذه المدينة فى ساعات الفراغ من الاعمال ولا سيما اذا اريد الاختلاط بامثال المجتمعات اللطيفة التى تتمتعنا بحسن عشرتها . ولم تكن عشرتنا مقتصرة على الامتراج باوساط المدينة بل لقد لاقينا حفاوة ووداً فى برونسويك وديساو والتنبورج وفى قرى اخرى وضياح ريفية عديدة . ولا يسعنى أن أحصى كل الزيارات التى تتمتعنا بها لان مثل هذا الامر يذهب فيه مذهبا بعيداً جداً . على أتى اريد أن أذكر احدها لانى احتفظ منها بذكرى مفرودة بالامتنان . وهي الاقامة التى كننا نتمتع بها كل عام فى

كاروف بجانب قائد الفرسان الكونت وارتنسليين صديقي الموقر الذي احله محلة الوالد وهو الآن يبلغ الثالثة والتسعين من العمر .

ولم تعوزنا الفرص اللازمة للاصطياد أثناء اقامتي في ماجسد بورج ففضلا عن اوقات الصيد الكبير المشهور المخصص للارانب والطيور الكبيرة من ولاية ساكس فقد كان يوجد صيد البلاط الاميرى في ليتزنجين وموزيجكاو بجوار ديساو ، وبلانكاينبورج في جهة هارز والتنبورج وخلاف الذهاب الى المصائد الاخرى في ضياع يتاح فيها اقتناص الخنازير البرية والغزلان والايائل والوعول .

واخذت فكرة اعتزال الجيش تزداد اختاراً على توالى الايام في نفسى اذ اننى حصلت في مجالى العسكرية على أكثر مما انتظره . ولم يكن اذ ذلك أدنى تصور لنشوب حرب فرأيت من الواجب علي أن أفسح مكان الترقى والعمل لقوى انصر شباباً منى . ولذا طلبت في عام ١٩١١ احالتي على المعاش . وبما انه قد انتشرت اشاعات في منتهى الغرابة عن هذا الحادث الذى لا أهمية له قاني أصرح بان استقالتي لم تكن ناجحة عن أى سبب يختص بشؤون الخدمة أو أى باعث شخصى .

ولقد شق على جسد المشقة التخلل عن علائق صارت عزيزة لى بطول العهد عليها ولا سيما انفصالى من القيلق الرابع الذى كان قلبى متعلقاً به أشد التعلق . ولكن كان لا بد من هذا الاعتزال ! ولم أكن اظن في ذلك الوقت اننى بعد مضى بضع سنوات قلائل سأعود الى حمل حسامى والى الاضطلاع من جديد بخدمة امپراطورى وامپراطوريى ومليكى ووطنى كما كنت أفعل في فيلقى القديم .

وفي خلال مدة خدمتى الطويلة تعرفت كل القبائل الالمانية على وجهه .

التقريب . وهذا هو السبب في كوني أستطيع أن أقول اليوم ان الصفات السامية المختص بها شعبنا تعتبر في الحقيقة مورد أثراء عظيم وانه لا توجد بلاد في العالم بأسره تحتوى بمثل الدرجة التي تحتويها المانيا على سائر الوسائل الجوهريّة التي تهيب نمو الحياة الادبية والفكرية الثمينة .

اعتزالي الاعمال

تركت الخدمة العاملة وانا معترف بفضل امبراطوري وملكي اعترافاً مشفوعاً بالاخلاص متمنياً لجيشه أعظم الاماني واثقاً تمام الثقة بمستقبل وطني . ومع ذلك لبثت جندياً في ضميري .

ان الحوادث الجلييلة التي عرضت لي في كل الوظائف التي التحقت بها في مدة عملي تسمح لي بان أنظر بامتنان ورضى الى عملي الماضي . ولايتأتى لاي كان ان يشوه جمال الصحيفة التي ترسم فيها مجموعة أعمالي التي تسجي عليها أحلام شبابي المتناهية في الحرارة بخاراً شفافاً أخذاً بمجامع القلوب وهكذا عند ما التزمت العزلة التي التمسيتها انا نفسي لم تكن مفارقتي الوسط العملي الذي قضيت حياتي فيه من غير حسرة ولم يكن بغير جزع ابتعادى عن صفوف الجيش . ولازمني في هدوء حياتي الجديدة ملازمة شديدة الامل في ان يستدعيني امبراطوري اذا أصبح وطننا عرضة للخطر لاطفىء لهيب شغفي بتفجيتي قواى الاخيرة في خدمته .

وفي الوقت الذي غادرت فيه الجيش كان روح فكري ذو قوة خارقة للعادة يحدث فيه اضطراباً . فان الصراع الحاد المستحكم ما بين المذاهب العتيقة والمذاهب الحديثة ما بين أشد أنصار التقدم والمتأخرين المتخوفين . بحث ووجد الحكم المرضي في التعاليم العملية المستمدة من أقرب الحروب

نشوبا . وهذه التعاليم على الرغم من السبل الجديدة التي مهدتها لنا لم تبقى لدينا أدنى شك في انه في هذه الاوقات التي ازدادت فيها أهمية سائر وسائل القتال يجب الاهتمام كما كان الحال فيما نعالف بتعليم الجندي وتهذيبه . والاقدام في العمل لا يزال حافظا مركزه في التفوق على البراعة في أحكام الرأى . وكذا حضور الذهن ومثانة الخلق بقيا في الحرب أهم من مستنبطات التهذب الفكرى . وعلى الرغم من التحسين الذى طرأ على أسلحة التدمير فان الحرب حفظت أشكالها البسيطة بل يمكننى أن أقول أشكالها المتوحشة . فهى لا تتحمل ان يكسبوها خالقة كاذبة للجهلة البشرية وان يحاولوا تهذيب التعليم الحربى . وانما كل ما تتطلبه قبل كل شئ هو ان يجعلوا الانسان قوى الارادة .

لقد ذهب الظن في وقت السلم الى امكان النعى على الجيش بانه غير مثمر . وربما كان النذهب الى هذا الظن على أتم صواب اذا غنى بالانمار ابتداع أشياء مادية ولكنه يكون على أعظم خطأ اذا قصد بالانمار الوجهات الادبية وما هو اسمي منها . ان أى انسان لا يصدر حكمه قبل الاختبار وغير تفرض وسوء قصد على عملنا العسكري في زمن السلم يكون مضطراً للاعتراف بان الجيش أعظم مدرسة لقوة الارادة وللعمل بل مدرسة للابتهاج بالعمل . كم آلاف من الرجال لم يتعلموا الا في هذه المدرسة ما هم كفاء له أدبيا وطبيعة . وكم من الرجال لم يتحصلوا الا بواسطتها على الثقة بالنفس والقوة الداخلية الذاتية التى حافظوا عليها طول حياتهم ! وأين وجدت فكرة المساواة وعاطفة الاتحاد الحاصل عليهما شعبنا مكانا لا تتشارها أعظم رحبا من مدرسة جيشنا العملية الكبرى ، وهى المدرسة التى تجعل كل أعضائها متساويين ؟ ان الميل الى حب الذات الفردى الذى

لاحد له والذي يرمى الى استئصال المجتمع والحكومة قد تظهر في الجيش وتحول الى اطاعة ذاتية شديدة الوطأة لاجل سير المجموع . فالجيش هو الذى ربى وقوى هذا الهيام الشديد بالنظام الذى نراه في كل مكان من وطننا سواء في مجرى السياسة أو في مضمار العلم أو في التجارة بل في الفن وفي الصناعة وفي كتملة الهمال وفي الزراعة والخلاصة في سائر الحرف الاخرى . فالجيش والفضل موجه اليه والشعب الالماني كذلك أدركا حق الادراك ان مبدأ الاطاعة الفردية لاجل المصلحة العامة هي ضرورة بل هي خير . وهذا المبدأ وحده هو الذى يسر الجهودات التي لم يسمع بمثله تلك الجهودات التي كان من الواجب علينا ومن الممكن لنا القيام بها لمقاومة عالم لجب من الأعداء في أخرج الاوقات . لان الضباط والجنود الالمانيين الذين قاتلوا في ميادين أوروبا وآسيا وأفريقيا وجدوا ان التعليم الذى تلقوه في الجيش هو التعليم الوحيد الواجب اتباعه . وعلى الرغم من انه بعد حوادث مختلفة قد أحدث طول الحرب الاخيرة تأثيراً مضاداً للحالة الادبية لدى بعض الطبائع ناجماً عن رد الفعل للتشدد البالغ في المحافظة على حالة النفس الادبية وقوة الجسد الطبيعية فاضطربت الى حد المبادئ الادبية . وعلى اثر محاولات عديدة شوهد ضعف في أخلاق كانت الى ذلك الحين مجردة من كل ما يستوجب المؤاخذه ومع كل هذه الطوارئ بقيت نواة الجيش الخاصة به سليمة من الوجهة الادبية وفي غاية ما يرجى من القيام بالواجب على الرغم من العبء الباهظ الذى كان يضغط على هذه النواة بدرجة لم يسمع بمثله .

لقد عابوا على الجيش السالف اجتهاده في حمل الرجل الحر على أن يكون آلة لا ارادة لها . ولكن الذى شوهد في ميادين الحرب العالمية

الكبرى أثناء البواعث المثبطة الناجمة عن تنابح معارك لا منتهى لها هو التأثير العظيم الذى أحدثته تعليمنا بتقويته ارادات الرجال . فقد أظهرت أعمال لانعد ، بحيدة ومؤثرة فى النفوس ، مقدار الكفاءة التى يزدان بها الجندى الالمانى الباسل بالتضحيات العظيمة التى يؤدبها بمحض اختياره لا بقوله . « يجب على أن أفعل كذا » بل بقوله « أريد » .

أن مجرى الجوادث الحالية يقضى بانتهاء فرصة حل الجيش القديم لاتباع طرق مستحدثة لتعليم الشعب وتحديد قوته المسلحة . وفيما يختص بمسألة التعليم لا أزال متشبثاً بعبادتنا القديمة التى دلت على مقدار ثقلها . أن مقصدنا الذى نرمى اليه هو تمكين شعبنا من القيام بأعمال حرية عظيمة تضارع أمثالها السالفة . ربما كان البعض لا يعبر أهمية اولية للوسائل والمشروعات التى ستفقد للوصول الى هذا المقصد ، ولكن الجميع سيوافقوني على الأهمية الأوية للمقصد نفسه . فالذى ينبغي الاهتمام به الآن هو العلم بما اذا كنا نزيد التخلي عن مركزنا فى العالم ونسقط الى منزلة السندان لاننا لن نكون حاصلين على الشجاعة وعلى القوة اللازمين لتمثيل دور المطرقة فى الساعة التى تسمح لنا فيها الفرصة المناسبة .

وربما لا تتعلق المسألة فقط بنجاح المانيا السياسى بل تتعلق كذلك بنجاحها الاقتصادى وبمعرفة الطريقة التى ستوصلنا الى إعادة مدرسة النظام وقوة العمل تلك المدرسة النليمة التى كنا حاصلين عليها فى جيشنا القديم .

واذا كانت توجد بلاد على وجه الارض لا تنهى لها السعادة ولا الاحتفاظ بمركز خليك بحياتها ما بين بلاد العالم الاخرى الا بجمع كل قواها المتبكرة فما هى بلادك الا البلاد الالمانية . فالنتائج الحزنة التى تنجم

عن حرب سيئة الطالع والتوهم الكاذب بان انقياد سائر قوى الامة
لارادة وحيدة لم يستطع ان يدرأ المصيبة عن وطننا أوجدنا عندنا لسوء
الحظ معارضة قوية للنظام الدائم المتبع بشدة عظيمة . ان التمرد على
الخضوع الاختيارى أو الاجبارى الذى ظهرت بوادره منذ عدة سنوات
تخطى حدوده المعروفة الى الآن وضل بغير خطة معلومة فى مسالك حديثة .
وعلى كل حال قالى الآن قد افقدتنا نتائج تمزقنا الوطنى مقبداً عظيماً
من القيمة الادبية اكثر مما افقدتنا منها نتائج الحرب المباشرة . فاذا لم يوجد
فى امد قريب قوى معلنة جديدة واذا انا برنا على ما فعلاه حتى الآن من
استئصال قوى شعبنا الفكرية والادبية فاننا نستنفد بغير اوان كنز حياتنا
الوطنية الثمين ونجعله قاحلاً غير قابل لاقاضة الخير .



القسم الثاني

قيادتي الجهة الشرقية

المكافحة لاجل بروسيا الشرقية

اشهار الحرب : إسناد قيادة الى

أن الهدوء الذي تمتعت به حياتي أتاح لي منذ عام ١٩١١ أن أقف
حياتي كلها بنام الارتياح على الاهتمام بشؤون العالم السياسية . وفي الحقيقة
إن الملاحظات التي لاحظتها اذ ذاك لم تكن داعية الى الارتياح . لقد كنت
بعيداً عن القلق ولكني لم أكن استطيع التخلص من بعض المواطنف
الموجبة لضيق الصدر . وكانت تخامرني فكرة مقتضاها إننا نترامي في
اقيانوس السياسة العالمية الواسع . بدون أن يكون مركزنا في أوروبا ناهضاً
على أقوى أساس . وعند ما كنت أرى السحب المتليدة في سماء مراکش
والنائم الزاحفة الى أفق البلقان كنت أشعر كما كان يشعر مثل أغلب أبناء
وطني بان الأرض الألمانية ملغمة . ولقد تواجدنا في الاعوام الاخيرة أمام
لجة طاغية من العهد الفرنسي يظهر أن طغيانها يتجدد بانتظام . وأساس
هذا العهد معلوم وقد بحث عن ظهيره ووجدته في روسيا وفي إنجلترا مع
اختلاف رجال هذه الدول الثلاث في الصفات وفي الاعمال وفي النزعات .
وما جهلت البتة الصعوبات الخاصة التي تعترض ادارة السياسية
الألمانية اذ من الممكن أن يلجس المرء بسده الإخطار الناجمة عن مركزنا

الجغرافي ومطالبنا الاقتصادية ولا سيما بقاينا المنتشرة على سائر تخومنا والتي يقطنها مزيج من السكان .

ولقد حشدت سياسة أحد الدول المعادية لنا المطامع الاجنبية ضدها ولم نحجج الى المهارة الفاتكة لنجاحها في تلك السياسة التي قادتنا من شؤم الطالع الى الحرب . وقد أبتنا أن نعاكس هذا الخطر . فلم يدر سياسة تحالفنا الا قانون من الشرف يتجاوز مطالب شعبنا ومركزنا بين دول العالم . وقد بلغ من قلة عنايتنا بسياستنا ان أحد الذين صاروا فيما بعد مستشارين للإمبراطورية الالمانية اعتبر عدم النظام المتزايد في شؤون حليفتنا الممالك الدانوبية كعلم طبيعي ولا يتصور العقل كيف لم تدرك سياستنا العواقب المنطقية المترتبة على تحييط تلك الحليفة في شؤونها .

وكنتم أشعر دائماً بعاطفة من الميل الذي لاحد له لآخواننا في العنصر وهم النمساويون الالمانيون . وكنا جميعاً على أشد الاهتمام بالمصاعب المحدقة بمركزهم في داخل وطنهم . ولكن هذا الشعور بحسب ما أرى قد استخدمته السياسة النمساوية الجريئة في مصلحتها الخاصة أكثر من اللازم .

فكلمة « اخلاص النيبيلونجين » كانت في الحقيقة كلمة في موضعها الحقيقي عند النطق بها . ولكن لا يمكننا ان نخدع أنفسنا من جهة كون الدولة النمساوية الجريئة اجتذبتنا بطريقة مفاجئة وبدون اتفاق سابق مطابق لمعاهدة تحالفنا الى الازمة البوسنيّة التي كانت قد أعطيت الكلمة بشأنها . والتي تطلبت منا فيما بعد تحمل عواقبها . ومن الواضح اننا لم نكن نستطيع التخيل في ذلك الوقت عن حليفتنا ، لان مثل هذا العمل من شأنه أن يقوى الكتلة الروسية التي لا تلبث على أثر تقويةا أن تسحقنا بكل تأكيد وبكل سهولة .

وأن عدم التوازن ما بين مطامع السياسة النمساوية المجرية وقواها العسكرية والداخلية كان من أهم ما بلغت بصرى بنوع خاص بصفتى جندياً . اننا ازاء التسليح الروسى الهائل وتجديد قواها على أثر الحرب الروسية اليابانية لم تأخر نحن الالمان عن تقوية وسائل دفاعنا واكتنا لم نطالب حلفاءنا النمساويين المجرين ببذل مثل الجهود الذى قمنا به . ومع ذلك فقد كان من السهل على هؤلاء الحلفاء عند ما نطالبهم بزيادة تسليح بلادهم ان يتسوسوا بالمصاعب الناجمة عن حالتهم الداخلية . ولكن لما ظلم نجد نحن الوسيلة التى نتوصل بها الى الاشتراط عليها أما ان تنصاع الى نصائحنا وأما أن تكف عن مطامعها ؟ ومع ذلك فقد كنا طامنين بتفوق خصومتنا فى عدد النفوس ومتادير الموارد علينا ! وهل كان من المستصوب أن ندع حليفتنا تهمل تسليح قسم كبير من قواها الوطنية لاجل الدفاع المشترك ؟ وما الفائدة من اتخاذ حليفتنا منفذاً لنا الى الجنوب الشرقى انا نحن هذا المنفذ معرضاً من جوانبه الاخرى للاخطار وليس فيه حماة أكفاء للدفاع عنه ؟

لقد كان يتراءى لى ان تعهد ايطاليا لنا بالسلاح تعهداً فعالاً مسألة تستدعى النظر . ان هذا التعهد مشكوك فيه حتى لو وثقنا بحسن ارادة رجال الحكومة الايطالية . وذلك لاننا وجدنا الفرضة التى مكنتنا من مشاهدة أوجه الضعف العظيم فى جوانب الجيش الايطالى أثناء الحملة الطرابلسية . ومنذ ذلك الحين لم تنصلح حالة هذه البلاد انصلاحاً تاماً بسبب النزاع الشديد الذى أصاب مآليتها . وبالاختصار لم تكن ايطاليا على استعداد لخوض غمار الحرب

كانت أفكارى وهواجسى منصرفه اذ ذاك نحو هذه النقط المختلفة . لقد بلوت الحرب مرتين من قبل . وكانت سياستنا فى كل مرة حازمة حتى ان أغراضنا من الحرب كانت بسيطة وممينة . ربما خشيت الحرب من قبل وما أخشاهما الآن . ولكنى أعلم ان فى جانب نتائجها السامية توجد النتائج المدمرة التى ينوء بها العالم الانسانى ولهذا كنت أعنى توقيها بقدر الامكان مدة طويلة من الزمن

ولكن الحرب لم تثبت أن أرسلت لهيئها علينا ! فاستحالة تفاهتنا مع فرنسا على البقعة الصادث التنازع عليها . وتلطيف الحسد التجارى الانجليزى ومناظرتها المقلقة، والتمكن من ارضاء مطامعها بدون فصم عرى اتحادنا مع النمسا كل هذه الامور حركت من مدة طويلة فى المانيا توتراً اديا شديدا حتى ان شعبنا عند ما اشتعلت نيران الحرب كان يتصور انه يتخلص من عبء باهظ كان يشغل كواهلها بلا انقطاع ويؤثر فى سائر مجرى حياته .

لقد أسرع الجيش الامبراطورى الالمانى الى امتشاق الجسام ! فبالله من قوة حربية عظيمة ! وقاما رأى العالمون مثلها ! وعند ما رأى الشعب الالمانى هذه القوة أخذ قلبه يهتف بقوة زائدة . ومع ذلك فلم يحدث استخفاف بهذه المهمة التى تنتظرنا لان بسمارك ومولتك لم يتركنا جاهلين ثقل مثل هذا الحمل الهائل الذى تلقينه على كواهلنا مثل هذه الحرب وكل رجل رزين عندنا أخذ يتساءل اذا كنا اكفاء من الوجهة السياسية والاقتصادية والعسكرية والادبية للاستمرار على تحمل اعباء الحرب . ومع ذلك فلم يكن تمت أدنى شك فى تغلب عاطفة الثقة على عاطفة النزاع ولقد نعى الى أيضاً نبا انطلاق الحرب من عقائنا وانا فى تلك الحالة النفسية وما بين تلك الأفكار . فتحرك الروح العسكرى فى بقوته المتسلطة

علي فهل لامبراطورى ومليكى حاجة بي ؟ لقد مرت الساعة الأولى علي من غير أن تصلنى اية اشارة رسمية في هذا الصدد . فيظهر ان قوى أنصر شبابا كانت مستعدة في عدد كاف . فوكلت أمرى الى القدر ولبثت مصطبرا على أحمى من الجمر .

في الجبهة

وقفت المانيا مصنمية وهى في حالة هياج . أخذت أنباء ميادين القتال تصل اليها كما تامل وكما تريد . فسقطت ليج واصبحت وقعة موهوز انتصارا لنا ، ووالى جناحنا الأيمن وقلبنا زحفهما في بقاع البلجيك . وتنسمنا أريج الاستبشار عند ما وصلت الى المانيا المعلومات الأولى عن معركة اللورين . وتماثلت من الشرق أصوات تشبه أبواق الانتصار .

ولم يبق مجال لتسرب الشكوك والهواجس الى الأفكار من أية جهة من جهات الحوادث الجارية .

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٢٣ أغسطس سئلت من المعسكر الاكبر المقيم به جلالة الامبراطور اذا كنت على استعداد لقبول وظيفة في الحال فكان جوابى : « مستعد »

وقبل ان يصل جوابى الى المعسكر العام استلمت تلغرافا آخر منه كانما هو واثق من قبولى الخدمة في ساحة المراك وفي هذا التلغراف انبثت بان الجنرال لودندورف سيأتى لمقابلتى .

وأخذت الحالة تتوضح امام بصرى شيئا فشيئا على أثر الاخبارات الواصلة الي من المعسكر العام بوجوب تشخوصى حالا الى الشرق بصفة

قائد عام لتلك الجبهة

وقصبت الحطة في الساعة الثالثة صباحاً على عجل من غير أن يتمكن من إتمام لوازم السفر وانتظرت فيها بضجر ساعة الارتحال وليس خولى سوى نور ضئيل ولم يتخل فكري عن مستقر أسرتي الذي اضطرت الى مغادرته فجأة الا عند ما دخل القطار المخصوص المختص برفاء الحطة . فنزل منه الجنرال لودندورف وقدم نفسه لي بصفته رئيساً لاركان حربي في الجيش الثامن .

والى هذه اللحظة لم اكن اعلم عن هذا القائد شيئاً ، اذ كنت لا ازال أجهل سلوكه الباهر الذي اتبعه في ليبج . فأول ما بدأ به اطلاعي على المعلومات التي تلقاها شخصياً في يوم ٢٢ اغسطس في المعسكر العام من رئيس اركان الحرب العام للجيش الحارب اللواء مولتك في كوبلنس عن حالة جبهتنا الشرقية . وحسب هذه المعلومات تكون حركات الجيش الثامن في بروسيا الشرقية حدثت على النسق الآتي : ترك رئيس هذا الجيش في بدء الحركات القليل المشيرين في أما كن احتشاده معزلاً بتماميات النقط المحصنة وبشكيلات اخرى من اللاندوهر وجعل مهمته حماية الحد الجنوبي من بروسيا الشرقية والقريبه من ابتداء القيستول الى منطقة بحيرات لوتزن . اما الكتلة الكبرى من هذا الجيش وهي مؤلفة (من القيلقين الأول والسابع عشر الماملين ومن القيلق الأول الاحتياطي والفرقة الثالثة الاحتياطية وحامية موقع كونيغسبيرج والفرقة الاولى من القربسان) فقد احتشدت في مخم بروسيا الشرقية وهاجمت هذه القوة في يوم ١٢ اغسطس بجهة ستاللينونين وفي يومي ١٩ و ٢٠ منه بجهة جوميسنين جيش النينمين الروسي القادم من الشرق بقيادة القائد

س ينسكاميف ووصلت معلومات أثناء معارك جوميينين تفيد ان جيش
الريف الروسى زحف على خط التخوم الممتد ما بين سولداووفيلنبرج الذي
كانت مسئولية عليه جنودنا بناء على الامر الصادر اليه من القائد سامسونوف
. فتخيل قائد الجيش ان من الواجب التسليم بان الروس سيحتازون
التخوم ابتداء من يوم ٢١ اغسطس . وعلى اثر هذا التهديد المنبعث من
الجهة الجنوبية والموجه الى مواصلاته ابطل القتال الذى كان حادثا في
جوميينين وافضى بحقيقة الحالة الى المسكر العام معلنا انه لا يستطيع
الاحتفاظ مدة طويلة بالبقعة السكائنة شرق القيستول .

ولم تكن من رأي الاواء مولتك هذه الخطة بل كان من رأيه وجوب
الاستمرار على المسكافة لتعطيم جيش الناريغ قبل التفكير فى التخلي عن
مركز الجيش الالماني فى بروسيا الشرقية ذات الاهمية العظيمة من
الوجهات العسكرية والاقتصادية والسياسية . فادى اختلاف الآراء
ما بين المسكر العام وقيادة الجيش الثامن الى حدوث تغير فى الاشخاص
فى القيادة العليا للجيش الثامن .

ويظهر ان مركز هذا الجيش كان فى هذه الآونة كما يلى : استطاع ان
يفلت من قبضة العدو . فكان الفيلىق الأول من الجيش العامل والفرقة
الثالثة من الاحتياط فى طريق الانتقال الى الغرب . بينما الفيلىق الأول
الاحتياطى والفيلىق السابع عشر من الجيش العامل يقا تلان مرحلة اثر
الآخرى فى تراجعها الى القيستول . وكان الفيلىق العشرون لا يزال موجودا
فى الاماكن الخيم بها فى الحدود .

وفى مدة وجيزة صرت على تمام الاتفاق مع رئيس اركان حربي على
الطريقة التى ستنبها لتلافي الحالة فى الميدان الشرقى . وقد تمكن القائد

لودندورف وهو في كوبلينس من اصدار الأوامر الابتدائية التي لا تستدعي اختلافاً في الرأي والتي انما يراد بها ضمانه استمرار الحركات الحربية في شرق القسطنطينية . فكان اول ما يجب عمله عدم التماذي في نقل القليق الأول الى جهة متناحية نحو الغرب بل تحويل وجهته نحو داوتش ايلواي في اتجاه العدو خلف الجناح الايمن من القليق العشرين.

وأما سائر القرارات الاخرى فلم يك من المستطاع ولا من الواجب اصدارها الا عقب وصولنا الى المعسكر العام للجيش الثامن في مارينبورج . ولم تستغرق محادثتنا اكثر من نصف ساعه . ثم عمدنا بعهد ذلك الى تلمس الراحة . على انني لم أعرف هذا الوقت الا فيما هو نافع .

فتنحن الانسين القائد لودندورف وانا اذن ذاهبان الى الأمام للملاقاة مستقبل مشترك وننحن على تمام الاقتناع بمخاطرة الحالة واكنتنا أيضاً على ثقة عظيمة بالله مولانا وبجنودنا الابطال وبجسدي عزيمة كل منا . فمن الآن وإلى عدة أعوام ستجتمع بيننا وحدة التفكير والعمل .

وأريد أن أذكر هنا رأيي في العلاقات التي كانت تصل بيني وبين القائد لودندورف رئيس أركان حربي في ذلك العهد والرئيس الاول للمعسكري العام فيما بعد . لقد طن الناس أنهم يستطيعون أن يقارنوا هذه العلاقات بما كان يوجد من مثلها بين بلوخر وجنايسيناو . واست في حاجة الى ايضاح وجه البعد عن حقيقة المبادئ التاريخية باتخاذ هذه المقارنة . لقد باشرت بنفسى مدة أعوام طوال كما أسهمت القول وظائف رئاسة أركان الحرب . فمهمته ازاء الرئيس المسؤول ليست معينة في الجيش الألماني كما تحققت هذا الامر باختبارى الشخصى وبقواعد نظرية . فطبيعة تساندهما في العمل والطريقة التي يتمان بها مهام شؤونهما المشتركة بينهما أمران

متمثلان بشخصيتهما. فحدود مناطق أعمالها المشاعة بينهما لم توضح بتفاصيل دقيقة . فإذا كانت علائق الرئيس الأعلى مع رئيس أركان حربه كائنة كما ينبغي أن تكون فإن هذه الحدود تختلط بسهولة بواسطة الشهور العسكرية والذوق الشخصي وكذلك بواسطة مزايا الاختلاق الحاصل عليها كل واحد منهما .

ولطالما وصفت أنا نفسي العلائق التي كانت تربطني بالقائد لودندورف بتشبيهها بقران سعيد . فكيف يريد أو يستطيع مشاهد هذا القران ان يمين بالتدقيق كفاءة كلا الفريقين ؟ فكلاهما ينتهي بالآخر في حلبة الافكار كما يلتقيان في مجال تنفيذ الاعمال . وغالباً ما تكون ألقاظ احدهما معبرة عن آراء الآخر وعواطفه .

وعند ما تحققت من عظم جدارة القائد لودندورف وهذا الامر تم بسرعة شديدة رأيت من أهم واجباتي ان أفسح له مجال العمل وإذا كان من الضروري أن أفتح الطريق لآرائه الجلييلة ولقوة العمل التي تكاد تتخطى المقدرة البشرية والرغبة في الاشتغال التي لا يكاد يطرأ على رئيس أركان حربي فيها أقل فتور . نعم أردت أن أترك له حرية العمل حسب المعنى الذي تتجه اليه ميولنا المشتركة ومقاصدنا المتحدة وهي : انتصار أعلامنا ، وسعادة وطننا ، والتوصل الى صلح جدير بالضحيا التي قدمها شعبنا .

يجب علي أن أحفظ للقائد لودندورف ولاء رفقة الحرب كما تلقيناه على عهد طفولتنا في تاريخ الشعب الألماني ، ذلك الولاء الحربي المتشعبة به فكرتنا الادبية . وحقبة أن عمله وارادته وكذلك بقية ميزاته الشخصية لاهل لهذا الولاء . ليصدر من بناء حكمه في هذا الصدد . كما ينبغي . انه

الوقت الذى يعرف فيه قدر هذا القائد كما تعرف فيه أقدار كثيرين من عظماء رجالنا بل اقدار أعظم أبطالنا لا يحين الا فيما بعد واذ ذلك ينظر الشعب بأسره اليه نظرات الإعجاب والإكبار وكل ما أتمناه الآن هو ان يستطيع أن يجد وطننا في مثل الساعات العصيبة التى يجتازها الآن مثل هذا الرجل الكامل الممتنع بقوة فى نفسه والذى مع الاعتراف بحفوته وتجههم وجهه صليب العود كاحسن ما ذكر التاريخ من أشداء الرجال للاضطلاع بسمل هائل عظيم .

وفى الحقيقة ان خصومه قد مقتوه وهم عالمون بقدره حق العلم !
ان اتحاد أنكارنا فى الوسائل التى تستخدم فى القتال ارتكزت على التوائم فى معتقداتنا الحربية والسياسية . وكل ما كان يعترضنا احياً من خلاف فى وجهة النظر كان يجد له حكماً طبيعياً يفصل فيه بدون أن يشعر أحدنا باحتياجه الى التنازل للآخر عن حق خاص ، ان قدرة رئيس أركان حربي على العمل أدخلت تغييراً فى آرائنا من جهة . وظيفة أركان حرب جيشنا ثم من جهة مهمة أركان الحرب العام الاكبر عندما ألفت الينا مقاليد . ان نفوذه ألغى الناس جميعاً ولم يستطع أحد أن يتخلص منه الا اذا تعرض للخروج عن المنهاج العام الذى يجب أن ينتهجه الجميع . وبأية طريقة أخرى كان من الممكن القيام باعباء مهمتنا التى لم يسمع بمثلا من قبل ؟ بل بأية وسيلة أخرى كانت تستطيع القوة الدافعة الى الامام أن تستمر على تأدية عملها ؟

لقد التفت حولنا نحن الاثنين مساعدونا متمسكين باقوى رابطة ومؤيدين واجههم ببساطة كما يجب على الجنود تأديته . وهم مبهتمون بنام الارادة وبحرية التفكير . وساحفظ لهم ذكرى الاخلاص فى أعماق قلبي الممتزج بحميل صنهم .

تأينبرج

في الساعات الاولى من بعد ظهر اليوم الثالث والعشرين من أغسطس بلغنا معسكرنا العام في مارينبورج وهكذا دخلنا البلاد الواقعة شرق القستول وهي ميدان عملنا في المستقبل . وكانت الحالة في الجبهة كمايلي : غادر الفيلق العشرون مواقعه على الحدود في جهة تايد نبورج مرتدأ الى جهة ايلجنبورج والمنطقة الشرقية . والحاميات المخرجة من موقعي تورن وجراودنر السقي كانت مرتبطة بذلك الفيلق من جهة الغرب استقرت على طول التخم الى شواطئ القستول . والفرقة الثالثة الاحتياطية المخصصة لانحجاد الفيلق العشرين وصلت الى اللينستين . وتقل الفيلق الأول الى داوتش ابلار بدى به ولكن مع تلكؤ والفيلق السابع عشر والفيلق الأول الاحتياطى وصلا بواسطة السير على مراحل الى منطقة جيرداوين والفرقة الأولى من الفرسان كانت موجودة في جنوب الستربورج قبالة جيش رينيكامبف . وحامية كوينجسبورج المرتدة نحو الغرب اجتازت الستربورج .

ومن المستغرب ان جيش النيمان الذى يقوده نينيكامبف لم يرسل الى الامام فيما وراء انخيزاب عناصر مهمة من المشاة . واحد فيلقى الروس الخيالة ظهر اثناء انخيزبورج والآخر في غرب داركهان . وجيش الناريف الذى يقوده سبامسونوف بلغ على ما يظهر بفرقة منه جهة اورنلسبورج . ووجب عليه احتلال جوهانسبورج بالمثل . ومن جهة اخرى فان الكتلة الكبرى من هذا الجيش كانت لا تزال على ما يظهر تحتشد في التخم مكونة الجناح الايسر في مالوا .

وقد وجد مستند في محفظة ضابط روسي قتيلا استخلص منه مقاصد القيادة المعادية . وهذه الرقعة تفيد استدارة جيش رينكلهوف من شمال بحيرات ما زوريك زاحفة على جبهة انستربورج - أنجيربورج . ويجب عليه أن يهاجم القوى الألمانية المقروض وجودها وراء الانحياز بينما يخترق جيش الناري فخط اورنلسبورج لوزن ويبلغت الألمانين من الجانب فكان مقصد الروسيين اذن تطويق الجيش الثامن ، ولكن جيش سامسونوف كان قد تطوح الى مدى شاسع يحول دون القيام بهذا الالتفاف وفق المرام

فما الذي كان يجب علينا بل ما الذي كنا نستطيع فعله ضد خطة العدو والخطرة جد الخطر علينا ؟ وهي خطة أقل خطراً في جرأة التدبير من القوة التي ستباشر تنفيذها والتي انما ميزتها على ما يظهر فيما بعد بكثرة العدد لدى العدو ولا يتفوق الارادة القوية . اذ قد أفلح الروسيون في سوق ٨٠٠٠٠ جندي و ١٧٠٠٠ مدفع الى بروسيا الشرقية أثناء شهرى أغسطس وسبتمبر في حين اننا لم نستطع أن نحشد في هذه الاثناء أكثر من ٢١٠٠٠ جندي الماني و ٩٠٠ مدفع للذود عن هذه الولاية .

ان خطتنا ضد الهجوم بسيطة . وأريد أن أبذل جهدي لجعلها ، في مجاريها العظيمة واضحة للقارىء حتى ولو لم يكن اختصاصيا . لقد وضعنا قبالة الكتلة الضخمة من جيش سامسونوف قلباً دقيقاً من جيشنا وأقول دقيقاً ولا أقول ضعيفاً . لان هذا القلب مؤلف من رجال قلوبهم قدت من الصلب واراقتهم أرهفت من الفولاذ وخلف ظهورهم مساكن اسراتهم تضم بين جوانبها نساء وأطفالا ما بين أباء وأمهات وأخوة وأخوات وكل ما يملكون ! وهؤلاء هم رجال الفيالق العشرين

أبطال روسيا الغربية والشرقية ! ومن الممكن أن ياتوى هذا القلب الدقيق تحت الجوع الروسية ولكنه لا يسمح باختراقه . ويدنا كان هذا القلب مشغلا بالقتال كانت مجموعتان قويتان تحتشدان على جناحيه للهجوم الحاسم وكذلك جنود الفيلق الأول الذين هم بالمثل من أبناء هذه الولاية المهتدة يعززهم جنود من اللاندوهر استدعوا الى الميمنة أى الى الشمال الغربى لساحة القتال وجنود الفيلق السابع عشر وجنود الفيلق الأول الاحتياطى مع لواء من اللاندوهر استدعوا الى الميسرة أى الى اتجاه الشمال والشمال الشرقى . وعساكر الفيلق السابع عشر المائل والفيلق الأول الاحتياطى كلهم كرجال اللاندوهر واللاندستورم هم أيضا قد تركوا خلفهم كل ما هو عزيز عليهم .

فلم يكن الواجب علينا احراز نصر بسيط على سامسونوف . بل الواجب علينا محق جيشه . لاننا لم تكن لنا سوى هذه الوسيلة لنصبح أحراراً فى أعمالنا وتتمكن من مواجهة عدونا الثانى وهو جيش رانينكامبف الذى كان مقدما على نهب روسيا الشرقية واحراقها . بل لم تكن لدينا طريقة أخرى نستطيع أن ننقذ بها روسيا القديمة اننا اذا حقيقةً تاما ، ونستطيع أن نتحصل بها على حرية العمل اللازمة لنا للاضطلاع بالمهمة التالية المنتظر منا القيام بها بنوع خاص وهى التداخل فى المعركة الشديدة الحاسمة المحتدمة فى غاليسيا وبولونيا بين الروسيا وحليفتنا دولة النمسا والمجر فاذا لم تصرطعتنا الأولى حاسمة فان الخطر يظل مهدداً وطننا كمرض خفى مستعص على الدواء ، وتلبث حوادث الاحراق والتفتيل بغير قصاص فى روسيا الغربية وتبقى حليفتنا فى الجنوب منتظرة معونتنا على أحر من الجمر !

فهذا هو العمل المنتظر قيامنا به وهذه هي تفاصيل ما يترتب على انجازه فلنتقدم اليه جميعاً ولاجل هذا وجب استخدام كل من يمكن استخدامه كيفما كان قليلاً عدده في الحرب المتحركة حينما وجد يسيرة او يمنة . فكل من كان لا يزال فيه بقية للحرب من انصار اللاندوهر من الحلفين وراء جدر جراودنز وتورن سيق الى ميدان الكفاح . ونحلي اللاندوهر يون الذين كانوا يغفلون حركتنا ما بين البحيرات المازوريه عن مراكز الدفاع في هذه المنطقة الى عسدد ضئيل من جنود اللاندستورم الشجعان وخرجوا من استحكاماتهم التي كانت مستقبلة الشرق وتقدموا الى الامام . فاننا فزنا في هذه المعركة فلا تبقى لنا البتة حاجة الى حصون تورن وپوزن ونخلص من اعباء المحافظة على معاير البحيرات .

ولم نبق لصبر رينيكامبف الذى يستطيع ان يتحدر علينا من الشمال الشرقي كالسيل الجارف الا فرقة فرساننا واحتياطى كونيغسبيرج العام ولواءين من اللاندوهر . واكثنا لاستطيع ان نعلم الآن اذا كانت هذه القوى كافية للوقوف في وجه ذاك القائد لانها لا تثل الا ستارا رقيقاً يستطيع بسهولة ان يمزقه رينيكامبف اذا تحركت جموعه كلها في آن واحد ، واذا زحفت تلك الفيالق الخيالة كما نتوقع ذلك ونخشاه . ولكنها ربما لا تتحرك : فحينئذ يظل الستار كافياً لحجب ضعفنا . فاذا شئنا الفصل في هذا الموقف وجب علينا ان نتذرع بالاقدام في جناحينا ومؤخرتنا لتنهياً القوة لجبهتنا . ربما ننجح ، ولنجعل هذا رجاءنا ، في خدع رينيكامبف ، بل ربما ينخدع هو من تلقاء نفسه . فوقع كونيغسبيرج المسلح القوي وحاميته وفرقة فرساننا ، هذه العناصر الثلاثة ربما كان لها في مخيلة عدونا اهمية اعظم بكثير من قيمتها الحقيقية .

ولكن اذا استسلم رينينكامبف لفائدتنا الى الاوهام الا تدفعه القيادة الروسية العليا الى زحف قوي يتجه به نحو الجنوب الغربي ليضربنا من الخلف ؟ والا نستجره الى مضمار الصدام صيحة استنجد من سامسوتوف ؟ بل لنفرض ان هذا الاستصراخ لم تلتفه المسامع أفلا ينتشر هدير رعد المعركة مخترقاً الآذان الى خطوط الروس الكائنة في شمال البحيرات بل الا يمتد تماوجه الى ان يبلغ آذان معسكو العدو العام ؟

اذن فن الحزم الحذر من جانب رينينكامبف ، واكتنا لا نستطيع ان نحمل الخسائر في سبيل هذا الحذر بترك مقدار عظيم من الجنود ازاءه لاننا بهذه الطريقة نصبح في ميدان الكفاح اضعف مما كنا عليه حتى الآن .

ولنقدر القوى المحتشدة في الميدان حاسبين بين جنودنا لواءي اللاندوهر القادمين من حرس شواطئ شلسويج — هولستين والذين لا يزالان يقطعان الطريق لانهما سيصلان في الوقت الذي يسمح لهما بالدخول في حومة الوغي ، ولنقارن بعد التقدير ما بين قوانا والقوى الروسية المحتمل وجودها في هذه الساحة : ان هذه المقارنة تدل على وجود فروق عظيمة ضد مصلحتنا حتى لو فرضنا ان رينينكامبف لا يريد التحرك ولا يتطلب النزال . وفضلاً عما تقدم فان عناصر عديدة من اللاندوهر ومن اللاند ستودوم يجب أن تقاوم في وسط وحدتنا الكائنة في الخط الأول : قطبقات عتيقة تصادم النضر الشبية الروسية ! وأخيراً لا يزال لدينا سبباً من أسباب انحطاطنا في مصاف الموازنة وهو : أن أغلب جنودنا — والموقف يحتم أن يكون هؤلاء الجنود هم الغائمون بالهجوم الحاسم — قد اجتذبوا خدشان معارك دموية قاسية ! وبما أنهم اضطروا

الى التخلي عن ساحة معركة جومينين للروسين فلم يكونوا متعشين بآية الحماسة التي يعتزها الجنود الظافرون ! ومع ذلك فقد تقدموا الى القتال يقابوب مبتهجة وعزم وطيد ! « أن الحالة الأدبية جيدة » هذا ما تقوله لنا التقارير ، فهذه الحالة تؤذن اذن بوجود ارادات جريئة ، وحيثما وجد شيء من الضعف كانت هذه الارادات الجريئة تتغلب عليه . لقد استمر الأمر على هذه الوتيرة طول الزمن فلماذا يتحول الى التقيض في هذه الايام ؟ ان انحطاطنا في النسبة الرقمية لم يكن له أقل تأثير في .

أن الذي لا تهمه من شؤون الحرب الا المقادير الواضحة للعيان يركب متن الشطط . ان قيمة الجندي الادبية هي التي تؤدي الى النجاح . وعليها اقيمت دعائم تقى ، وناجيت نفسى بما يلي :

« قد يستطيع الروسى ان يكتسح أرضنا ، وعند ما يلمس الارض الالمانية يستطيع قلبه ان ينفق بشدة ولكن هذه الارض لا نحوله الى جندي ألماني وأولئك الذين يقودونه ليسوا ضباطاً ألمانين . ففي معتركات منشوريا قاتل الجندي الروسى وهو متجمل بأحسن طاعة ولو أنه كان جاهلاً بالمقاصد السياسية التي تنوخواها حكومته على شواطئ الباسفيك (المحيط الهادى) . أما في حرب مشهورة على الدول الوسطى فان حماسة الجيش الروسى كانت اعظم لاجل الاغراض الحربية القيصرية فهذا شيء ليس مستحيلاً حسب الظاهر . الا أنني ارى ان الجندي والضابط الروسين لم يظهر في ميدان الحرب الاوربية كفاءة حربية أعظم مما أظهره في الجبهة الاسيوية ، واعتقدت على أثر ذلك اننى استطعت الاقتناع بان كفتنا في الموازنة بين القوى المتواجبة في الميدان يجب ان ترجح على سواها لا خطأ في الحساب الذى يقرر انحطاط نسبتنا العددية بل بالزيادة

التي تكسبتنا ايها قيمتنا الادبية .

هذه هي خطتنا وهذه هي الافكار التي كانت نخاضرها قبل نشوب المعركة وفيما نتوقعه لها . ولقد تلخصنا هذه الآراء وهذه الارادة في تقرير موجز ارسلناه في ٢٣ اغسطس من مارينبورج الى الممسكر الاكبر العام ، وهو : « احتشاد الجيش مقرر يوم ٢٦ اغسطس على مقربة من الفيلق العشرين لاجل القيام بهجوم التفاف . »

وفي مساء ٢٣ اغسطس قادتني جولة صغيرة قمت بها الى الشاطئ الغربي من مجرى النوجات . فترأيت لي من هناك الجدر الحمر من قصر الفرسان الفخم وشواجل اثر مشيد من الفرميد على النسق القوطي البلتي وهي تهدي الى البصر أبعد منظر تحت أشعة الشمس المؤذنة بالغروب . فامتزجت في ذاكرتي افكار مترامية الى عهد الفرسان المجيد بمسائل مختصة بالمستقبل المجهول . لقد زاد في خطورة تأثراتي مرأى أولئك اللائذين بأذيال الفرار من ولاية أسرتي عند مرورهم من أمامي . أنه لمنظر محزن ينذرنا بان الحرب لا تصيب الرجل القادر على الدود عن نفسه فقط بل انها مع استنصاها موارد الحياة التي يعتمد عليها الاناس المجردون من وسائل الدفاع تصير الداهية الدماء التي تتوالى مصائبها على الانسانية . وفي ٢٤ اغسطس تبوأنا نومويلا مع ضابط من أركان الحرب يشتمل بجانب قائد الفيلق العشرين وانطلقت الى المكان الذي ستكسب اسمه المعركة التي سينبثق عليها قريبا .

تأنيديريج ! انه لاسم بحرك ذكريات مؤلمة بالنظر لقوة الفرسان الالمانيين ، ويبحث هتاف الابتهاج للظفر السلافي ، وقد بقي منقوشاً في حوافظنا على الرغم من انقضاء اكثر من خمسمائة عام على ذلك العهد ! ولم

نظاً قدامي قبل هذه الآونة المسكان الذي بدأت منه المجهودات الفكرية الألمانية فتوحاتها الشرقية . وقد اقيم في هذا المسكان اثرأ وديماً يدل على مكافحة ابطالنا ووصولهم ! وقد توطن مركز قيادتنا على مقربة من هذا الاثر اثناء بعض الأيام التي توالى فيها بعد والتي في خلالها استاقت الاعداد جيش سامسونوف الى هزعة تامة .

ولقد تراكت ازاء أبصارنا على طول الخط الممتد من مارينبورج الى تانينبرج من اطر الشقاء الذي حل من جراء الحرب بسكان بروسيا الشرقية العديدين . كان جموعاً من الهاربين المحرومين من كل معونة اخذت تراحم وهي مسرعة بامتعتها وحيواناتها في الطرق وتمنع من آونة الى أخرى حركات جنودنا الزاحفين على العدو .

ووجدت في حياة أركان حرب الفيلق العشرين الثقة والارادة القوية اللتين هما الشرطان الجوهريان لنجاح خطتنا . وكذلك كنت حالة جنودنا في هذه النقطة من الجبهة التي تهمن في هذه الآونة أكثر من سواها ذات تأثير حسن داع الى الطمأنينة

ولم نستفد في هذا اليوم أقل ايضاح نهائى لاعن أعمال رينيكامبف ولا عن حركات سامسونوف . واتما شيء واحد على ما يظهر هو الذي تأكد . وذلك ان سرعة زحف رينيكامبف قد خفت بالتأكيد . واكتننا لم نستطع الوقوف على سبب هذا الطارىء . واما جيش الناريف فقد علمنا عنه انه يزحف بمعظم قواه على الفيلق العشرين الذي ارتد جناحه الأيسر تحت ضغط تلك القوى الهائلة . وهذا الارتداد الضروري لم يكن فيه ما يستوجب الانزعاج . بل بالعكس . فان العدو في مطاردة الجناح الأيسر أظهر بطريقة أخذت تزداد وضوحاً جناحه الأيمن لقوانا المتجمعة

على جناحنا اليسر للهجوم التي أصدرنا لها الامر في هذا اليوم بالزحف الى يشوفسبورج . واما حركات الاعداء التي ظهر انها موجهة ضد جناحنا الغربي وضد لاوتنبورج فاتها لم نرم الى ضربنا ولا الى اقلقتنا . فدار في خلدنا أن الروسيين يريدون الالتفاف حولنا ليحصروا قواتنا كلها جمه بمركات الالتفاف التي قررناها لاحتشادنا في الجناح الأيمن .

وقد ازدادت معلوماتنا في يوم ٢٥ أغسطس عن حركات رينيتكاميف الذي أخذت صفوفه تتقدم الى انجويراب جهة الغرب . انه يقصد كوينجسيبرج فهل صار العدول عن الخطة الروسية الاساسية ؟ وان القيادة الروسية سخذت بمركاتنا واعتقدت ان المجموع الاكبر من قوانا في الموقع المحصن وما جاوره ؟ وعلى كل حال فاننا لم نزد على أن تركنا ستاراً امام جموع رينيتكاميف العظيمة . وكذلك سامسونوف الذي اتضح تمام الوضوح ان حركاته مضطربة استمر في هذا اليوم على الاتجاه بمعظم قواه نحو القليلق العشرين . وجناحه الايمن زحف بدون ارتياب في اتجاهه نحو يشوفسبورج أي الى مواجهة فيلانتينا السابع عشر العامل والقيلق الأول من الاحتياط الذين وصلوا في هذا اليوم الى الجهة الشمالية من هذه القرية الصغيرة . وأخذت تتجمع حول ملافا قوى روسية أخرى على ما يظهر وكان يوم ٢٥ هذا هو آخر ايام انتظارنا واستعدادنا . فدفعنا القيلق الأول الى الجناح اليسر للقيلق العشرين . وعلى هذا فالهجوم العام يمكن ابتداءه من القد .

وكان يوم ٢٦ أغسطس هو اول ايام الصراع البموي المحتدم من لاوتنبورج الى الجهة الشمالية من قرية يشوفسبورج . فأبتدأ وقوع المفاجئة التي ينسبط منظرها على امتداد مائة كيلومترلا في جبهة معركة مجردة من الاماكن الخالية بل على شكل وقائع بين جموع ، لا يجمعها عمل

واحد بل تقتل في سلسلة ملاحم متناثرة .

ففي الجناح الايمن يقود القائد القون فرانسوا ابطاله جنود بروسيا الشرقية . فاقرب هؤلاء الشجعان من اوسداو ليستولوا عليها في الغداة . فملكوا بواسطتها مفتاح القسم الجنوبي من ميدان القتال . وكذلك فيلق القائد القون شولتز المدهش تخلص بالتدرج من قيود الموقف الدفاعي واتخذ خطة الهجوم . ومن ابتداء هذا اليوم اشتدت وطأة الكفاح حول يشوفسبورج . فقد قمنا في هذه الجهة الى أن سخم الظلام بعمل مستحسن . فبضربات قوية تمكن جنود ما كنزن ويلاف وهي المكونة (الفيلق السابع عشر العامل والفيلق الاول الاحتياطي ومعهما وحدات من اللاندوير) من سحق جناح سامسونوف الايمن واجباره على الارتداد الى أورتلسبورج . ولكن لم يكن من المستطاع تصور عظم نجاحنا . وكان قواد الفيلق يتوقعون دفاعاً شديداً في القيد في جنوب الميدان الذي حدث فيه وقعة اليوم . ومع ذلك فقد كانوا يرجون خيراً . ولكن ظهر خطر من جهة رينينكامب مهدد . فقد شوهد أحد فيالقه زاحفا الى انجيربورج . أفلا يجد له وسيلة توصله الى ساقية مجموعتنا المحتشدة في جناحنا الايسر للهجوم ؟ ووصلتنا فضلا عن ذلك أنباء مقلقة من جهة جنب جناحنا الغربي ومؤخرته . ففي جنوب الجهة التي يحتلها تتحرك قوة كبيرة من الفرسان الروسين . فهل تتبعها قوة من المشاة ؟ ليس من المستطاع الاهتمام الى حقيقة ذلك . لقد بلغت شدة المعركة الى النقطة النهائية . فتبادر الى ذهننا السؤال الآتي : ما الذي يؤل اليه أمرنا اذا اضطررنا الى الانتظار بضعة أيام أخرى في مثل هذا الميدان الواسع المائل ونحن أمام عدو متفوق علينا بكثرة عدده لتصل الى النتيجة

الحاسمة ؟ وهل من المدهش أن تتقلب الإنكار المزعجة على أكثر من عقل واحد ؟ وأن يختلج الريب النفوس التي لم تكن تعرف إلى هذه الساعة سوى أثبت العزائم ؟ وأن يندس التردد إلى رؤس كانت إلى اليوم على أنهم أفاع بصواب آرائها ؟ وهل يجب الاستمرار على ضرب سامسونوف ؟ والا ينبغي بالآخرى أن نعزق قوائم الكائنة أمام رينينكامبف وأن نقوم أزاء سامسونوف بعمل بسيط ؟ أو ليس من الأفضل أن لا نتفرغ لحق جيش سامسونوف حتى نتقد جيشنا نحن من الحق أو التلاشي ؟ لقد تعلمنا على هذه الازمة الداخلية وذهبتا مذهب الثبات في تنفيذ ما صحت عزيمتنا عليه من قبل ولبننا نطلب الفصل في هذا الموقف بموافقة الهجوم بجميع قوائمنا . وعلى أثر ذلك قررنا أن يستمر جناحنا اليمين زاحفا بشدة على نايدنبورج وأن جموعنا المحتشدة في الجناح اليسر « تكون على استعداد في الساعة الرابعة صباحا لاتخاذ خطة الهجوم بتمهي الاقدام » وهذا هو نص الامر الصادر منا تقريبا .

وقد علمنا في ٢٧ اغسطس ان الفوز الذي أحرزه القليلق الاول الاحتياطي والقيلق السابع عشر العامل بالامس في يدشوفسبورج صار فوزاً حاسماً . ولم يقتصر العدو على الارتداد إلى الخلف بل ولى الادبار من ساحة الصدام . ولوحظ من جهة أخرى ان رينينكامبف لم يزحف على ساقتنا الا في مخيلة أحد الطيارين . وفي الواقع انه استمر في الزحف على كوينجسبيرج بتؤدة . فهل لم يرد ولم يرد ان يرى ان الخطر كائن في توجيه زحفنا كله على جناح سامسون اليمين وانه لا يزال يزداد أيضاً ضد جناحه هو اليسر ؟ لان القائدين فرنسوا وشولتز استولوا للهجوم على مراكز الاعداء السكائنة في اوسداو وفي الشمال وضربوا خصمهم في

الجنوب . فليتقدم قلب العدو زاحفاً على اللينستان — هوييفستان —
هو بحر زفراً في هذا الزحف بل سيكون نصيبه منه الخسار ! ان
الموقف واضح لنا ، ولهذا أصدرنا أمراً في المساء بتطويق قلب العدو
وعلى الاخص فيلقية الثالث عشر والخامس عشر
واستمر الكفاح دامياً يوم ٢٨ بأجمعه

وفي يوم ٢٩ تلاثى قسم كبير من القوى الروسية الاساسية تلاشياً
تاماً . وبلغت جنودنا القادمة من الشمال اورتيسبورج ووصلت جنودنا
القادمة من الغرب الى ويلينبيرج . واجتذأت الدائرة تقفل حول الوف
والالوف من الروسين . وحقيقة ان العديدين من الابطال الروسين صمموا
على موالاة القتال في هذا الموقف الميؤوس منه في سبيل القيصر : ولقد
أعلوا شأن الحسام ولكنهم لم يكسبوا المعركة .

واستمر رينينكامبف زاحفاً باطمئنان على كونيغسبيرج . أما
سامسونوف فقد انتهى أمره فلم يعد يجديه عضد حتى لو علم زميله بحقيقة
حالته . لاننا صرنا قادرين من سحب جنود من جبهة القتال لتغطية اعمال
الحق التي نجريها في جميع ارجاء ساحة فايد ينبورج — فيلينبيرج —
باسينهايم الواسعة التي بحث فيها سامسونوف عن حتفه حينما شمله اليأس
ومن هذه الساحة خرجت صفوف الاسرى الروسين طويلة في متهى
الطول . ودلنا أمواجهم المتدفقة نحونا على عظم الظفر الذي احرزناه .
وأرادت المصادفة العجيبة ان استقبل احد قائدي الفيلقين الروسين
الذين سقطا في الاسر في اوستيرود أحد معسكراتنا في ميدان القتال بل
في نفس النزل الذي أقيمت به عام ١٨٨١ وانا ضابط شاب من اركان
الحرب في خلال سياحة التمرينات . وأما القائد الثاني مثل امامي في اليوم

التالي في مدرسة حولناها الى مكتب عمل .

وفي أثناء العراك استطعنا أن نختبر حالة الجندي الروسي الجمانية فإذا بقسم منهم جيد وقد اختارهم القيصر لجيشه . والذي يدلني اليه شعوري أنه يوجد بين هؤلاء الرجال عناصر قابلة للتعلم . ونحوتم بهذه المناسبة كما تبين لي في عامي ١٨٦٦ و ١٨٧٠ ان الضابط الالماني والجندي الالماني سرعى النسيان في عواطفهما الخصوصية وفي حكمهما على الأشياء فلا يتذكران أن خصمهما الاسير بين أيديهما الآن هو عدوهما القديم . فغضب الصراع لا يلبث أن يتلطف لدى رجالنا في منتهى السرعة ويتحول الى رحمة وطيبة انسانية . فلم تبق في القلوب نزعة غضب الا على القوزاق الذين يعتبرون كمرتكبي كل الفظائع الوحشية التي رزح تحت كلالها القادحة الشعب والوطن البروسيين الشرقيين . ويظهر ان القوزاق لم يكونوا مرتاحي الضمائر لانهم عند ما يشعرون بقرب سقوطهم في الاسار يعجلون بانزعج شاراتهم التي تدل على انواع الاسلحة التي ينتسبون اليها

وفي ٣٠ أغسطس حاول العدو من جهتي الشرق والجنوب أن يتحجم دائرة جنودنا بمهاجمتها من الخارج بجنود بعضهم جدد والبعض الآخر من المعاد تنسيقهم . فوجه العدو قوى جديدة زاحفة من ميسزيفيك أي من اتجاه ارسترولكا على نايدنبورج واورتلسبورج ضد جنودنا التي تمت استدارتها حول قلب الجيش الروسي والتي تكون ظهورها متجهة الى الجيش المهاجم الحديث . فانظر يهدونا بدرجة يمكن تقديرها بعد الوقوف على البناء الذي افضى به أحد الطيارين معلناً قدوم صفوف من الاعداء من جهة ملافايبلغ امتدادها خمسة وعشرين كيلومتراً أي ان القوة الزاحقة علينا هائلة . ومع ذلك فقد لبثنا مصممين على تنفيذ الخطة التي شرعنا فيها

وهي الخطة القاضية بحصر القوة الكبرى من جيش سامسونوف وافنائها . فألقى فرانسوا وما كنسين ما بقى بين ايديهما من القوى الاحتياطية الضئيلة في وجه العدو الجديد . فاقبلت المحاولة التي أراد بها الروسيون ان يلقوا من فداحة الكارثة التي حلت بسامسونوف ضد مصالحهم . فبينما كان اليأس يتغلب على الزعيم المحصور كان فقد الشجاعة يعرقل مسعى القوة القادمة من الخارج لانتقاذه . ان الحوادث التي تابعت في ساحة قتال تانينبيرج تؤيد من هذه الوجهة النظرية ايضا التجارب العسكرية والبشرية القديمة .

واخذت دائرة نيراننا تزداد تمكناً والتفافاً حول المجموع الروسية المنكش بعضها في بعض والتي تحاول أن تفتتح لها معبراً تارة من جهة وطوراً من جهة أخرى . ويظهر ان رينينكاميف أراد في هذا اليوم خط الدايمل في الجهة الشرقية من كونيغسبيرج ما بين لايباو وتايباو . فاقربت جوع فرسانه القادمة من وجهة لاندسبيرج - بارتينستين من ميدان معركة تانينبيرج . ولكننا عجلنا بحشد قوى متينة في اللينستين من الجنود المتحمسين بزهوة انتصارهم وان كانوا في منتهى التعب لمواجهة كل هجوم يطرأ بفتة :

ان يوم ٣١ اغسطس كان لجنودنا الذين لا يزالون يقاتلون آخر ايام الحصار وقيادة الجيش الثامن يوم التفكير في الاعمال الحربية التي يجب مواصلةا ولرينينكاميف يوم الارتداد الى خط دايمل - اللينبورج - أيجيربورج .

منذ يوم ٢٩ اغسطس سمع بحرى السواحل المتلاحقة بان انهى الى علم رئيسي الا على العظيم نبأ سحق جيش النازيف الروسى سقماً تاماً . فوصل

إلى شكر جلالته في نفس هذا اليوم وأنا في مضمار الوغى وهو الشكر الذي وجهه باسم وطننا . فتقلته وقلبي مقعم بالسرور إلى رئيس أركان حربي وإلى جنودنا الأبطال .

وفي يوم ٣١ أغسطس رفعت التقرير الآتي إلى امبراطوري وملكي « أنشرف بأن أنهى إلى علم جلايتكم بمتهى الاجلال أن الدائرة قد أقفلت بالامس على الشطر الاعظم من الجيش الروسى . وقد تلاشت الفيالق الثالث عشر والخامس عشر والثامن عشر من جنود الاعداء . وقد أسرنا حتى الآن أكثر من ستين ألف رجل بينهم قائدا الفيلقين الثالث عشر والخامس عشر . ولا تزال المدافع في الاجمات وستجمع . وأما الغنائم الحربية التي لا يمكن حتى الساعة تدوين احصاء عن مقاديرها بوجه التفصيل ففى متهى ما يمكن تصوره من الجسامه . وكذلك الفيلقان الاول والسادس اللذان أفلنا من دائرة حصارنا أصيبا بخسائر جسيمة وانهزما بغير نظام قارين إلى مالقاوميسزنيك . »

لقد قام الجنود ورؤساؤهم بعمل مجيد . والآن استقرت الفرق في معسكراتها حيث يتصاعد منها نشيد آيات الحمد على الفوز في ملحمة لاوشن ودخلت ونحن في معسكرنا المعام الجديد المقام في اللينستان الكنيسة الكائنة بقرب قصر الفرسان التيتونيين أثناء الحفلة المقدسة ، فرأيت الجنود الشبان وكهول اللاندستورم وقد جثوا جميعا على ركبهم عند مائلا للمرتل الدعاء الاخير وهم في أشد تأثر من الحوادث التي مرت أزاء أبصارهم وهم على قيد الحياة . وان هذا لتتويج شريف لبطولتهم الباهرة !

معركة البحيراب الماذورية

لم تكدم ثلاثى ضجة المذبذبة من معترك تانينبيرج حتى شرعنا في التأهب لمهاجمة جيش رينينكاميف . وفي مساء ٣١ اغسطس استلمنا الرسالة التالية الآتية اليها من المعسكر العام الاكبر :

« الفيلق الحادي عشر وفيلق الحرس الاحتياطي والفرقة الثامنة من الخيالة موضوعة تحت تصرفكم . وقد بدىء بنقلها . واول مهمة للجيش العشرين اجلاؤه جيش رينينكاميف من بروسيا الشرقية والمرغوب تتبع الخضم المهور بالقوى الزائدة عن الحاجة الضرورية لمطاردته الى فارسوفيا بالنظر للحركات العسكرية المتجهة من فارسوفيا الى سيليزيا .

وفكروا في توجيه الفيلق العشرين اذا ما سمجت الحالة في بروسيا الشرقية الى اتجاه فارسوفيا »

وهذا الامر يتفق تماماً مع موقفنا . فهو يوضح لنا الغرض الذي نرمي اليه ويفوض اليها تمام الحرية في التفاصيل التنفيذية . ولقد حسبنا ان لا يوجد من جيش سامسونوف القديم الا بقاياها وهي اما ان تكون قد اجتازت الناريه واحتمت به واما انها لا تزال سائرة في الطريق الموصلة الى هذا النهر . ومن الواجب حسابان اعاده تنظيمه في المستقبل . ومع ذلك فقد كان من اللازم مرور وقت طويل قبل اتمام تنظيمه . وارتأينا الا كثفاء في مراقبة بقاياها في هذه الآونة بجنود قليلة العدد مأخوذة من تخمنا الجنوبي . وكل الجنود الأخر يجب حشدهم للمعترك الجديد . واعتقدنا أنه ليس من الميسور لنا الآن ارسال قوى الى ما وراء نهري

التاريخ زاحفة في اتجاه الجنوب ولو بعد وصول الامداد القادمة من
الجبهة الغربية .

ان نقطة فارسوفيا الواردة في الفقرة الاخيرة من الامر الصادر اليانا
كان لها مدلول في منتهى الوضوح لدينا . فبمقتضى خطة الحرب المفهومة
يكون الجيش النمساوى المجرى قد تحرك من غاليسيا واتخذ خطة الهجوم
على القسم الشرقى من بولونيا الروسية موجها سواد جيشه في اتجاه لوبلن
بينما تكون قوى ألمانية قد تحركت من بروسيا الشرقية ومدت يمينها الى
حلفائها في جنوب التاريخ . وانها لفكرة بدیعة عظيمة الا أنها في الحقيقة
تكشف عن أوجه ضعف خطيرة . فهي لم تلتفت الى أن دولة النمسا
والمجر وجهت بحمى ضخم الى التخم الغربى ، والى أن الجيوس الروسية
الكاثنة على قدم الاستعداد التام تستطيع الوصول الى الحدود في بضعة
أسابيع من بعد اشهار الحرب ، والى أن ثمانمائة ألف مسكونى وضعوا
في خط القتال ضد بروسيا الشرقية ، بل لقد غاب عن هذه الفكرة أن
هذه الخطة التى وضعت من مدة قبل نشوب الحرب وصلت بتفاصيلها
في زمن السلم الى أركان الحرب الروسى .

والآن بعد ان حاول الجيش النمساوى المجرى الهجوم بجراة متناهية
على الجيوس الروسية التى تفوقه عدداً شتبك معها في وقائع متناهية في
الشدة على التخم الفاصل بين البلادين بدون أن يتيسر لنا في الوقت الحاضر
تعميده مباشرة باكثر من تجربتنا قوى هائلة من الاعداء من وسائل
الاشتراك في الكفاح . فالذى يجب على حليفتنا الآن هو اثبات على
المناضلة ريثما نقضى بالمثل على رينينكاميف . وفي هذه الحالة فقط يسعنا
أن نمدها بيد المساعدة ان لم يكن بمجموع قوانا فعلى الاقل بالجانب الأعظم منها .

لقد نطق رينينكاميف كما تقدم القول في خط دائم — النينبورج —
 جيريادون — انخيربورج — . على أننا نحمل كنه القوى المعادية الممكن
 اختباؤها في المنطقة الجنوبية الشرقية من البحيرات المازورية . وعلى كل
 حال فإن منطقة جراجيفويخشي منها . اذ الحركات منتشرة فيها بدرجة
 عظيمة . والتي أشد استدعاء للتخوف منها هي البقاع الكائنة خلف
 جيش النيمين . فقد أعلن حدوث تنقلات جملة متواصلة ما بين الجنود
 والعربات ويظهر أن حركتها متجهة نحو الجنوب الغربي أو نحو الغرب
 فرينينكاميف تصله امداد بالتأكيد . وفرق الاحتياط الروسي القادمة
 من الداخل مستعدة الآن للارتقاء في حومة الوغى . وفضلا عن ذلك فإن
 بعض القيادات الموجودة في بولونيا والتي ترى القيادة العامة أن لا حاجة لها
 بها في منازلة النمساويين تصير أيضا على قدم الاستعداد من الآن . فهل
 هذه النجندات مرسلة الى رينينكاميف أو الى الجهة المجاورة له لتعضيده
 مباشرة أو هي ووجهة لها جمعتنا مفاجأة في جهة غير معروفة لنا ؟
 والذي نستطيع ان نحكم به هو ان رينينكاميف يقود اكثر من عشرين
 فرقة من المشاة ، وهو مع ذلك ملزم جانب السكون ، وسيلزمه أيضاً
 ربما تصل فيالقنا القادمة من الغرب بالسكة الحديدية وتحشد امامه وتنازله
 لمساذا لا ينتهز الفرصة ويباغتنا في الوقت الذي نحن فيه اضعف الطرفين
 وجنودنا متعبة ومكدسة في ساحة تانينبيرج ؟ بل لماذا يدع لنا من الوقت
 ما يمكننا من اعادة تنظيم اجنادنا وتعديل احتشادهم ، وتزويدهم بالراحة
 واستفاد النجندات الكافية ؟ على ان هذا القائد الروسي محدود من
 خيرة القواد والجنود . وحينما كانت روسيا تحارب في الشرق الاقصى كان
 لهم رينينكاميف يذكر بنوع خاص في جملة القواد المترددة اسماؤهم على

الالسنه . فهل كانت السمعة التي احرزها حينئذ مقرونة بالإغراق أو ان هذا القائد فقد في المدة الكائنة بين الحربين كافة مزاياه الحربية ؟ كثيرا ما حدث ان المهنة العسكرية استأصلت بطريقة سريعة مدهشة مواهب فطرية سامية . فهناك حيث يوجد الذكاء الجريء والارادة المجددة للنشاط في وقت ما لا يرى في العام التالي الا منح تجذب وقلب خامد . وهذه هي النتيجة الفاجعة التي أصيب بها كثيرون من كبار العسكريين لقد فتحنا كتاب الاغلاط التي ارتكبتها رينينكاميف أثناء معترك تانينبرج فلنقله ولننتقل الآن الى التفكير في معسكره العام السكائن في اينستيربورج لا مؤاخذته ولكن لادراك حقيقةته

ان هزيمة سامسونوف أظهرت للقائد رينينكاميف ان السواد الاعظم من الجيش الثامن غير موجود في كونيغسبيرج كما كان يفرض ذلك من قبل . ومع ذلك فقد ظل معتقداً بوجود قوى جسيمة في هذا الموقع الحصين القوي . فالاقدام على المرور من امام هذا الحصن والاسراع في جهة اللينستين للاقتضاض على الجيش الالماني يعتبر في نظره تهور بل متعشى التهور . أو يعتبر هذا العمل على الاقل مغامرة غير مضمونة العاقبة وتراءى له صواب بقاءه في مراكزه الحصينة الدفاعية الكائنة ما بين كوريش - هاف والبحيرات المازورية . وفي هذه الحالة يعتمد الالمانيون الى طرقهم القديمة وهي الالتفاف والتطويق ليتمكنوا من هذه المراكز فاذا جاءوا من الشمال فانهم يصططدون بالاستحالة المؤكدة واذا أقبلوا من الجنوب لا قوا عراقيل هائلة ، واذا هجموا من الجبهة تيسر الانقضاض على جنودهم بالجنود الاحتياطية العظيمة التي لا تزال مستريحة في الخلف بينما يكون هؤلاء المتعرضون قد انهكتم نيراننا المنصبية عليهم من قبل .

وإذا اجترأوا وهذا غير محتمل على الاندفاع خلال مضائق البحيرات فان الانقباض يكون من الشمال على جانب صفوفهم اليسرى في أثناء تدفقها بينما تكون مجموعة من الحنشة حديثة قد انقضت من جهة جراجيقو على جانبيهم الايمن وعلى مؤخرتهم . واذا لم ينتج شيء من كل هذه الاعمال فما الذي يحدث الا شيء سوى الاثناء الى البقاع الروسية والامبراطورية الروسية واسعة الأرجاء . وخط النيمن الحصن قريب . ولا توجد أية ضرورة حربية تحم على رينينكاميف البقاء في بروسيا الشرقية . ان خطة الاشتراك في الاعمال مع سامسونوف قد حبطت وربما ان جيش ذلك القائد أريد في خلال هجوم كان الرجاء في نجاحه عظيماً فالأوفق من الآن فصاعداً هو ... الحزم والحذر .

ربما تكون هذه هي الافكار التي خامرت رينينكاميف . بل بعض الناقدين يزعمون انه فكر في هذه الأمور تماماً . وفي الحقيقة ان ليس بين هذه الآراء ما يستدعي الاهتمام الكبير . اذ هي كلها على شيء من التهور . ومع ذلك فان تنفيذها يمكن أن ينتج مضاراً لدينا في الحال ويحدث أثراً فعالاً في الموقف العام على الجبهة الشرقية . ان هذا التنفيذ وحده يجعل التفوق العددي الهائل الذي يتناز به جيش النيمن كافياً لمحو جيشنا الثامن على الرغم من الامداد الواصلة اليه . واما اذا انثنى رينينكاميف في غير الوقت المناسب من موقفه الحالي فان ثمرات عملنا الحربي الجديد يذهب بها هذا التراجع لانه يمنعنا مدة غير محدودة عن الزحف على قارسوفيل . وبهذه الوسيلة يحول دون سمكتنا من مساعدة النمسا

فيجب علينا اذن أن نكون حازمين ومقدمين في آن واحد . وهذا الشرط الزدويج يتطلب صفة خاصة للمشروع الحديث الذي اقدمنا عليه

والذى بدأت حركاته فى دور التنفيذ . لقد اتخذنا جبهة جديدة فى الدفاع المتسع المتراكمى ما بين ويلينبيرج وكوينتجسيرج . وفى يوم ٥ سبتمبر نفذ هذا المشرع بتفاصيله الجسيمة فابتدأ زحفنا الى الامام بمسير أربعة فيالق وهي (الفيلقان العشرون والحادى عشر العاملان وفيلق من احتياطي الحرس والفيلق الاول الاحتياطي) مصحوبة باحتياط كوينتجسيرج العام أى قوى مهمة نسبيا متقدمة الى خط انجيدبورج - دايم اى نحو جبهة العدو . وتقدم فيلقان وهما (الاول والسابع عشر) لعبور مضائق البحيرات بينما تكون الفرقة الثالثة الاحتياطية وهي السند الأيمن لخناحننا المكتنف تسعى الى جنوب البحيرات المازورية ، والفرقتان الخيلتان وهما الاولى والثامنة الواقعتان خلف فيلقى الميمنة استعدتا لان تنفجرا عند ما تفتح لهما معار البحيرات . هذه هي القوى المخصصة بالعمل ضد جناح رينيكامبف فوافقنا اذن معايرة لتلك المواقف التى أعدت لنا انتصار تانينبيرج . وما ألتأنا الى هذا الم شروع الا الحذر من قوى رينيكامبف الاحتياطية العظيمة فنسج عنه أن هجومتنا بقوة تبلغ اربع عشرة فرقة من المشاة شمل جبهة تجاوزت مائة وخمسين كيلو متراً . فهل يشطرها الخصم ؟

واقترنا فى يومي ٦ و ٧ من خطوط الدفاع الروسية وابتدأنا نرى مجارى الامور باتم وضوح . وأعان ظهور جموع جسيمة من الروسين فى جهتي اينستيربورج ووهلاو وربما ظهرت قوى أعظم منها أيضاً فى شمال نورد ينبورج . على انها لا تتحرك ولا تطلق حركات انتشارنا أمام جبهتها .

وابتدأ فيلقا الميمنة وهما الاول والسابع عشر ينتحان خط البحيرات يوم ٧ سبتمبر ، والفرقة الثالثة الاحتياطية منقت نصف الفيلق الروسى

الثاني والعشرين أرباً في كفاح باهر نشب على مقربة من بياالا . ودخلنا في دور الشدة من عملنا الجديد . والايام التالية ستعرفنا اذا كان رينيكامبف قد صمم على اتخاذ خطة الكر واذا كانت ارادته قوية على التعرض لهذه الحركة بقدر قوة الوسائل المهيئة له . وقد حضرت الى المعتزك ثلاث فرق احتياطية جديدة ممدداً للقوة المتفوقة علينا الموجودة تحت امره هذا القائد . وهل لا يزال الزعيم الروسي يتقرب نجيدات أخرى ؟ لقد حشدت روسيا اكثر من ثلاثة ملايين جندي في جبهتها الغربية ، وازاء هذه القوة الهائلة لا يوجد من قوى النموسيين والمجريين ومن قوانا الا ما يكاد يبلغ ثلث القوة الروسية عدداً .

وفي ٨ سبتمبر اشتد الالتحام على سائر الخط . ولم يطرأ ادنى تحسن في هجوم جبهتنا أما في ميمنتنا فالامور متحسنة . ففي هذه الجهة أفلح فيلقانا في اقتحام السدود المنتشرة في منطقة البحيرات وانطلقا في سيرهما نحو الشمال والشمال الشرقي . ففرضنا من الآن الاستيلاء على مواصلات الأعداء ، ويظهر ان جموع فرساننا صارت مطلقة السراح في هذه الجهة وفي يوم ٩ دخلت المعركة في دور الانسعار ، ولم تظهر نتيجة ذات شأن في الجهة الممتدة ما بين انجيدورج وكوريش - هاف ، وعلى تقيض ذلك في شرق البحيرات فقد حدث ثمت تقدم جرى من جانب جنودنا على الرغم من أن فرقتي فرساننا لم تستطعا أن تسجنا بكل السرعة اللازمة المقاومة غير المنتظرة التي عرضت لهما . وهزمت فرقتنا الثالثة الاحتياطية في جهة ليك قوة أعظم منها مرات في العدد واعتقنا نهائياً من التخوف من جهة الجنوب .

ولكن ما الذي حدث في الشمال ؟ يظن طيارونا انهم يسقطعيون

أن يؤكّدوا الآن وجود فيلقتين من الأعداء في اينستيربورج وفي غرب هذه المدينة وشوهد فيلق آخر قادماً عن طريق نياسيت . ماذا سيكون من أمر فيالقنا هذه التي انتشرت انتشاراً واسعاً جداً في قتالها من جهة الجبهة إذا ما باغتها قوة مؤلفة من مائة طابور روسي تقودها ارادة مفردة صادقة العزم ؟ وعلى الرغم من هذا كله فسيم ما الذي كانت تتضمنه آمالنا في عشية ٩ سبتمبر إذ كنا نفكر فيما يلي : « يا رينيكاميف لا تستجر جبهتك التي لم تتمكن من اقتحامها وتناول الكليل الفارع عند ما نهجم بقلب جيشك ! » فكنا حينئذ على أتم ثقة بأن نتزع منه هذه الاكليل الفارية بدفع ميمنتا المهاجمة بشدة الى الأمام . ولكن من سوء الحظ ان الزعيم الروسي أدرك نيتنا فلم يعزم على معارضتنا بالقوة واعترف بالغبلة لنا عليه .

وفي الليلة الواقعة ما بين يومي ٩ و ١٠ دخلت طلائعنا في جيرداوين وتحلّت خنادق العدو فوجدتها خالية . « لقد ارتد العدو ! » ان هذا التقرير تراءى لنا غير قابل للتصديق . فاراد الفيلق الاول الاحتياطي أن يتقدم على الفور من جيرداوين الى اينستيربورج . فدعواناه الى التبصر . فما وسعنا أن نصديق نبأ هذا الارتداد الا قبيل الظهر من يوم ١٠ وما كنا لتوقعه ولا كنا نريده . وفي الواقع ان العدو بدأ حركة تقهقره العام على الرغم من المقاومات التي يواجهنا بها هنا وهناك وان كانت قوية بل أحياناً كان يرسل علينا جموعاً قوية في هجمات غير متواصلة . فوجب علينا الآن أن توجه فيالق جناحنا اليمين وفرق قوارسنا مباشرة الى الشمال الشرقي نحو خطوط مواصلات الأعداء الممتدة من اينستيربورج الى كوفنو .

لقد ازدعمنا الى الامام افاذا كانت العجلة قد حذبت في يوم ما فاما
يكون تحييدها في هذا اليوم وفي هذا المقام ! اينثنى ريتنيكامبف بلا
اعتراض ! وهل تملكه الضجر هو أيضاً ! على ان ملكتنا كان يرمي الى
ادراك الفوز اما تعجله فيسبب الفوضى والاختلال

ان فبالق جيش النيمين مننية الى روسيا وهي متوزعة على ثلاثة
صفوف متلاصقة بعضها ببعض. وحركتها مستمرة على مهل وهي مستعدة
لان تواجه جنودنا الذين يضغطون عليها. ولكي يبلغ العدو هذا الغرض
عرض قوى كبيرة من جيشه للكفاح حتى ان يوم ١١ ستمبر انقلاب الى
يوم معارك دامية منتشرة على سائر الجبهة الممتدة من جولداب الى بريجيل
وفي مساء هذا النهار صار من الواضح لنا انه لم يبق علينا الا أيام
قليل حتى ننفذ مشروع مطاردتنا للعدو . ان التغير الذي طرأ على الحالة
العامة في ميدان القتال الشرق انتشرت انباءه في أعظم مظاهرها . وشعرنا
بأننا بالاحرى لن نخلص من الاعياء التي تنقل كواهلنا بواسطة الانباء
المؤكدة المنبهة بأن اعمال حليفتنا في بولونيا وغالبسيا أخفقت ! وعلى كل
حال فلم تفكر في الاندفاع الى ماوراء النيمين مقتفين أثر ريتنيكامبف .
ولكن لكي لا نعتز حركتنا الحربية في اللحظة الاخيرة كأنها أصيبت
بالاخفاق . في جدول الاعمال الحربية العام وجب علينا ان لا نتمكن جيش
العدو من عبور مجرى النيمين الا في حالة ضعف واختلال نظام تجعل
بمجموع وحداتنا الاكبر يستطيع أن يكون متأهباً للاشتراك مع الجيش
فتمسوى المجرى كما تتطلب الحالة ذلك بشدة

ودخلت الفرقة الثالثة الاحتياطية سريالكي يوم ١٢ سبتمبر أي
وطأت الارض الروسية . ولم يكذبك يفلت الجناح الجنوبي لجيش

ررينيتكامبف الابمشقة عظمى من التفاف فيلقنا الاول في جنوبه
ستالوبونين . ما كان أبعد ذلك التسابق الذي قام به بعض جنودنا في
هذا النهار وهم مزدفعون وراء العدو ! فكانوا يسرون ثم يقاثلون ثم
بماودون السير الى ان يسقط بعضهم من الاعياء على الارض . ومن جهة
أخرى سحبنا في هذا النهار نفسه فيلق الحرس الاحتياطى من الجبهة
البعده لاعمال جديدة

ووصل المعسكر العام لجيشنا في هذا النهار أيضاً الى اينستيربورج
التي عادت جنودنا الى احتلالها من يوم ١١ سبتمبر . وبعد السير في الطريق
الوطنية البروسية الشرقية الكبرى ، وبعد المرور من جانب جنودنا
الظافرة الزاحفة نحو الشمال ، ومن جانب صفوف الاسرى الروسين
المنحدرة نحو الغرب ، وصلنا الى معسكر رينيتكامبف العام القديم لا في
عالم الخيال بل في عالم الحقيقة . وقد وجدنا آثاراً لحالات الروسين النفسية
والعقلية غير الناضجتين في الاماكن التي غادروها . فالاربع الفواح المنبعث
من الارواح العطرة وروائح الجلد الروسي والسجائر لم تتمكن من التغلب
على بعض الروائح السكرية

وفيا أنا عائد في يوم أحد من الارتياض في بعض المصائد بعد مضي
عام كامل اجتزت اينستيربورج مرة جديدة . فحمل الاهالى أوتوموبيلي
على الانشاء الى ما وراء رحبة السوق لانهم كانوا يحتفلون بتذكار اليوم
الذي تخلصت فيه المدينة من الارهاب الروسى . فاضطرت الى الالتفات
بأوتوموبيلي حول هذه الرحبة . ولم يكونوا قد عرفوني وهكذا يدخل كل
الاسان في حيز النسيان !

وفي ١٣ سبتمبر بلغت جنودنا ايدكوهين وأمطرت وابلا من التذائف على الامواج الروسية المنحسرة الى الخلف . ولقد مزقت قذائف مدفعيتنا هذه الجموع المتضامة ولكن ادراك هذا القطيع جعلهم يعودون الى الالتئام مرة أخرى . ومن الموجب للأسف أننا لم نتمكن من الوصول في هذا النهاى الى الطريق الكبرى المقضية من ويربالين الى ويلكويسركى لان العدو أدرك أن استيلاءنا على هذه الطريق مؤد حتما الى محق الشطر الاكبر من صفوفه المحتل نظامها . ولكي يتقي هذه الكارثة قذف الى جنوب الطريق أمام وحدتنا المنهكة قواها كل ما تهيأ له حشده من الجنود التي قبلت أن تعود الى الكفاح . ولم يبق لنا سوى يوم واحد تقضيه في المطاردة . وبعد هذا النهار يتهيا لجنود رينينكامبف الاختفاء في منطقة المستنقعات والاحجاث الكائنة في الجانب الغربى من مجرى النيمى حيث تنهض مدن أوليتا وكوفنو وفيلنى ولا نستطيع أن تقتفي أثره في هذه الأرجاء . وانتهت المعارك في يوم ١٥ سبتمبر . فكان هذا اليوم هو آخر ايام معترك البحيرات المازورية الذى كانت خاتمته فوق الأرض الروسية . بعدمطاردة تجاوزت مائة كيلومتر قطعناها في أربعة أيام ! ولقد كان مجموع وحدتنا في نهاية هذه الوقائع لا يزال مستعداً للاضطلاع بابة مهمة جديدة .

ولا يسمنى هنا ان اعرض لتفصيل الاعمال الباهرة التي قامت بها فرقة اللاندوير التي يقودها القون ديرجولتز وبعض التشكيلات الاخرى . من اللاندوير سواء أمن جهة مهاجمتها قوى معادية تبلغ عدة امثالها في بقاع الحدود الجنوبية أو من جهة حماية جانبنا الايمن الممتد الى القيسستول تقريباً . وكانت المصادمات لا تزال ناشبة عندما غادرت قيادة الجيش

الثامن . وحينما انتهت تقدمت جنودنا الى سيدبخونوفو وبراسزنش
واوجوستوفو .

حملة بولونيا

مغادرتي الجيش الثامن

في مستهل سبتمبر علمنا من المعسكر العام للجيش النمساوي المجري
ان جيوشه تحت طائلة الخطر في منطقة لمبيرج ازاء قوى روسية متفوقة
عليها في العدد تفوقاً عظيماً وان زحف الجيشين الامبراطوريين الممكئين
الاول والرابع وقف .

ومن ذلك الوقت اخذنا نتتبع بتلق مجرى الحوادث المتعاقبة في
غاليسيا واخذت تصل الينا اتباء متزايدة في السوء . والاشارات البرقية
الآتية توضح حقيقة الحوادث الجارية هنالك اتم ايضاح :

« الى المعسكر الاكبر العام من الجيش الثامن ، يوم ١٠ سبتمبر ١٩١٤
يلوح لي انه من المشكوك فيه التغلب بوجه قاطع على رينينكامبف لان
الروسيين ابتدأوا اليوم حسب ما نظن بالتقهقر . وفيما يختص بمواصلة
الاجراءات الحربية قد تراءى حشد جيش في سيليزيا . فهل نستطيع
ان نعلم على وصول امداد جديدة قادمة من الجبهة الغربية ؟ نحن
نستطيع ان نقدم فيلقين » .

وقد ارسل هذا التلغراف يوم ١٠ سبتمبر اي في نفس اليوم الذي بدأ
فيه رينينكامبف على غير ما كنا نتظر يرتد نحو الشرق . . .

« من المعسكر الاكبر العام الى الجيش الثامن ، في ١٣ سبتمبر ١٩١٤
سيكون على قدم الاستعداد حالا فيلقان يصير قبلهما الى كراكوفيا » .

كرا كوفيا ! شيء مدهش جدا ! هذا ما جال في بالنا وما لفتنا شغافتنا !
فارسنا الاشارة البرقية الآتية ونحن نحت تأثير النهول الى المعسكر
الاكبر العام :

« المطاردة تنتهي غدا ! ويظهر ان الانتصار تام . والهجوم في اتجاه
الناريف بطريقة حاسمة مستطاع في بحر عشرة ايام . غير ان النمسا تطلب
المساعدة مباشرة بسبب موقف رومانيا بتحريك جيشنا الى كرا كوفيا
وسيليزيا العليا . والممكن توجيه لهذه المهمة اربعة فيالق وفرقة من
الفرسان . ان النقل بالسكك الحديدية يستغرق هو فقط عشرين يوما ويعقبه
سير طويل للالحاق بالجناح النمساوي الايسر . وعلى ذلك يصل المدد متأخرا
جدا . فالرجاء اصدار قرار حازم . وعلى كل حال فان الجيش يجب ان
يحفظ باستقلاله . »

وقد ارسل هذا التلغراف في نفس اليوم الذي ابتداء رينيكامبف يخفي
فيه بين برك النسيم من جراء خسارته جناحا بأكمله لعدة ريشات
فقط واشتداد وطأة الضغط على بقية جيشه .

فرد علينا المعسكر الاكبر العام بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٤١ بما يلي :
« العمل فيما يلي الناريف مع حالة النمساويين الحاضرة معتبر كان ليس
له نصيب من النجاح . وتغريد النمساويين بطريقة مباشرة لازم سياسيا .
والاعمال اللانم القيام بها في سيليزيا منظور فيها . . .
وفي حالة العمل بالاشتراك مع النمساويين يظل الجيش مستقلا . »
فليكن ما أريد !

يوجد كتاب عنوانه : « الحرب » لم يدخل البتة في عداد الكتب
المتينة ومؤلفة كلاوزيفيتز . وهو علم بشؤون القتال واطوار الرجال .

يجب علينا ان نصفي الى ما يقول وان نستمع الى نصائح المفيدة لنا .
فاذا ما عملنا على تقيضها لم نحزن سوى المصائب والارزاء . ان كلالوزيفينز
يحذر من الخلط ما بين السياسة ومجرى القتال . ولست أحاول اليوم بهذه
هستور ان اصدر حكماً قاضياً على الامر الصادر اليها في ذلك العهد لاني
اذا كنت قد استطعت الانتقاد بالقول وبالتفكير في عام ١٩١٤ فلما حدثت
ذلك قبل ما تلقيته مكلاً في مدرسة الحقيقة المرة وقبل اشتغالي بإدارة
حرب مشتركة ، ان التجربة تلتطف الانتقاد بل كثيراً ما تظهر بعده عن
الصواب ! وفي الحقيقة اننا في كثير من الاوقات اثناء الحرب كنا نفكر
فيما يأتي : « ما اسعد ذلك الذي يكون قلبه بصفته عسكرياً اخف من
قلبنا والذي يتغلب بسهولة اكثر مما تيسر لنا على الصراع القائم ما بين
معتقداته العسكرية والمطالب السياسية ! » وانها لا غنيات سياسية وما
هي الا اغان ممتوته . واما من جهة فتعلما طرقت اذني في اثناء الحرب نغمت
من هذه الاغان صادفت هوى في فؤادي العسكري . ولنتعشم بانه اذا
اقتضى حفظ وطننا التمس حرباً جديدة ان يكون اماس آخرون اسعد
منا حظاً من هذه الوجوه التي لم تتوفق فيها .

وفي ١٥ سبتمبر اضطرت الى مفارقة القائد لودندورف الذي تعين
رئيس اركان حرب للجيش الجديد الذي تكون في سيلييزيا العليا باسم
الجيش التاسع . ولكن من ابتداء ١٧ سبتمبر صدر لي أمر جلالة
الاميراطور بتولي قيادة هذا الجيش الحديث مع الاحتفاظ في الوقت نفسه
بقيادة الجيش الثامن الذي بعد أن ضعفت قوته بسحب القياق الحادى
عشر والسابع عشر والعشرين والفرقة الثامنة الخيالة منه وضمها الى الجيش
التاسع بقي موكولا اليه الدفاع عن برروسيا الشرقية . وعلى هذا لا يكون

الانفصال الذى حدث بين رئيس أركان حربي ويبنى الافسحة ما بين فصلين من رواية تمثيلية . وانما ألمت بهذا الحادث العرضي لان الاسماع تأنفته والأسنة تداولته فكبرته .

وقد غادرت اينستيدورج من مطلع شمس يوم ١٨ سبتمبر لاصل الى برسلو عاصمة سيليزيا التى بلغتها بعد يومين قضيتها فى الأثومويل مررت اثنائهما بمدينة بوزين . وقد كان مبدأ هذه السياحة فى ساحات القتال الذى حدث فى الامايع السالفة فحركت فى نفسى عواطف الشكر لجنودنا . فاجتزنا فى الأول نواحي مهجورة ومحرقة تم بعد قليل بقاعاً سليمة والتقينا بسكان الارياف وهم عائدون نحو الشرق مسرعين الى ديارهم المهجورة . فيا له من شعوب بدوي اقام الادلة على اخلاصه وما هو الا امتن قاعدة لتوتنا . ان افكارى تصحبه وهو ذاهب الى بتايا دوره المتهدمة والتي ربما سودها الدخان وهذا منظر اتقى رؤيته منذ اكثر من مائة عام ! فمضل قيمة جيشنا . ولبتنا فى تقدمنا الى الفيستول نمر يقرى ومدن ودعية يوجد فى بعض أماكن منها النذر الطفيف من آثار الرقى الفكرى الغربى العتيق ! وهذه هى أرض الاستعمار الالمانى التى لاجل استدرار خيراتها لم يقصر وطننا الالمانى المتتورة أعضاؤه فى بذل أقصى مجهوداته . وما كنزها الانفس الا لشغل سكانها وعقلهم . وهو شعب بسيط ذو أفكار متشعبة بالاخلاص . واني لا شعمر شخصياً بان دروس العلامة كانت عن القصيلة الآمرة لم تكن قد تلبت هنا فقط بل لقد فهمت بنوع خاص حق الفهم ونقلت الى عالم الحقيقة والابجاد .

أن كل المتاعر الالمانية تكاد تكون موجودة هنا تبذل جهودها فى عمل من أعمال المدنية عسير وطويل وقد قامت بانجاز ما خصها منه فى هدم

الفرصة وبهذه الإرادة الصخرية أدت لوطننا في أوقات عصيبة خدمة عديدة لا يمكن تقديرها .

أن هذه الافكار العظيمة وأمثالها كانت تدور في خلدي مدة سفرتنا ولم تفارقتي البتة فيما بعد طول مدة صراعنا الطويل المرعب . فيا أيها الألمانىون دعوني ألخص افكارى في التحذير الآتى :

« ارتبطوا جميعاً لا برابطة الاتحاد الذهبى التى تجمعكم على التقسام بالواجب الادبى والانسانى فقط بل أيضاً بالرابطة الفولاذية التى تجمع بين قلوبكم لتأدية الواجب الوطنى وهو ليس باقل من الأول شأنًا . ولتقولوا دائماً هذه الرابطة الفولاذية حتى تتحول الى جدار نحاسى تريدون أن تعيشوا محتمين به ، وهو الذى يسعه وحده أن يسمح لكم بالتواجد فى وسط العاصفة التى تكتسح العالم الاوروبى . صدقونى ، أن هذه العاصفة ستظل باقية ! فإنا من صوت انسانى بمستطيع أن يطلقها وما من معاهدة يشرية بمقابلة اتشارها والويل لنا اذا وجدت العاصفة منفرجا فى هذا الجدار ؟ فان الشعوب الارزىية الحائرة المضطربة تستخدمه كالة تصدع به المعقل الالمانى الذى لا يزال ناهضاً ! ومن الاسف أن تاريخنا علمنا هذا الأمر مراراً عديدة . »

اننى لم أودع فى هذه المرة أيضاً ولاية اسرتى بقلب مفتبط . على أن وداغا آخر كان اشد على نفسى فى ذلك اليوم من الاول وهو الوداع الذى وجهته الى الاستقلال الذى ظلت متمن بها الى هذا الحين .

فعلى الرغم من أن الفقرة الاخيرة من تلفراف المعسكر الاكبر العام ذات مدلول مطمئن من هذه الوجهة فانى مع ذلك كنت أشعر بالحالة التى تنتظرنا هنالك . وليست حوادث هذه الحرب الحاضرة التى تحرك فى نفسى

هذا الشعور لاننا حتى هذا الوقت لبنا متمتعين باوسع الحرية العسكرية :
الذهبية بل التي حركته في نفسى هي المعلومات التي تلقيتها عن الحروب
المشتركة التي حدثت فيما سلف .

الزحف

لقد ارتأينا أن أرجح الوسائل لمصلحتنا أن يمتد جيشنا في سيليزيا
الوسطى في جهة كراو زبورج . وفي تحركنا من هنالك تكون لنا الحرية
التامة للقيام بالحركات اللازمة ضد الجانب الشمالى من مجموع الجيوش
البولونية التي لم تكن استقرت حتى هذه الهنيهة في مركز معين « مستحيل ! »
لقد رغبتنا في أن تعضدنا قوى نمسوية بحرية جسيمة من شمال
القيستول الى مصب النان « مستحيل ! »

لقد أردنا أن يتمكن جيشنا من التقدم بحمل جناحه الايمن الى كييلس
(في بولونيا الوسطى) . مستحيل !

واذا كانت هذه الوسائل معتبرة مستحيلة التنفيذ فان كل العمل يكون
أو يمكن أن يصير اذن مستحيلا

أننا جئنا جنودنا وهى مؤلفة من (الفياق العاملة الحادى عشر
والسابع عشر والعشرين وفيلق الحرس الاحتياطى وفيلق فويرش
اللاندهوى والفرقة الخامسة والثلاثين الاحتياطية وفرقة بريدوف الاحتياطية
وفرقة الفرسان الثامنة) فى شمال كراكويا مع ايجاد صلة خاصة بالجناح
الابسر للجيش النمسوى الجرى كما أمر بذلك المعسكر الاكبر العام . وانتقل
معسكرنا العام احتياطيا الى يوتن فى سيليزيا العليا وفى أواخر سبتمبر
حركنا من منطقة الاحتشاد قلبنا ولم نحرك جناحنا الايمن زاحفين على

استقامة الى كيليس . واتجه المعسكر العام الأ كبر اتمسوى الجرى من كرا كوفيا الى الشاطئ الشمالى للقيستول وهو معسكر ضئيل مؤلف من أربع فرق من المشاة وفرقة من الخيالة فقط . وما كان بظن أنه يستطيع أن يحرك قوى أعظم من هذه الى جنوب النهر لأنه كان قاصداً أن يقوم بنفسه فى هذه المنطقة بهجوم حاسم . أن خطة حليفتنا مقرونة بالجرأة وهي تشرف برمتها مخطئها . والمدار الآن على معرفة ما اذا كان فى استطاعة الانسان أن يأمل أقتدار الجيش التمسوى وهو على ما فيه من ضعف شديد بالرغم من رجال النجدة الواصلة اليه على تنفيذ هذه الخطة . ولقد تلطفت مخاوى على أثر تصور أن الجيش الروسى حينما يتحقق من وجود الجنود الالمانية فى بولونيا يقذف علينا بسوادقواه فيتيج بذلك الظفر الحلفائنا .

أن الصووة التى كنا نستطيع أن نرسمها لتمثيل الحالة فى مبتدأ حركتنا لم تكن تامة الوضوح . والشىء الوحيد الذى كنا نعرفه بتأكده هو أن الروسين فى الأوقات الاخيرة لم يقتنوا آثار الجيش التمسوى الجرى المرتد فيما وراء السان الا بتردد وأرتياب . ومن جهة أخرى حصلنا على معلومات تدل على أن للروسين فى شمال القيستول ستة أو سبعة فرق من الفرسان الروسين وعدداً غير محدود من الألوية المجندة من الولايات . ويظهر أن جيشا روسيا فى دود التكوين فى ايفانجورود . وهو يتألف على وجه الاحتمال من قسم من الوحدات المأخوذة من الجيوش الموجودة أمام جيشنا .

فى بروسيا الشرقية ومن قسم آخر من قوى جديدة آتية من روسيا الآسيوية . وقضلا عن ذلك يفيد نبأ آخر بأن العمل جار حول فارسوفيا لانشاء مركز عظيم تتجه جبهته نحو الغرب . فالوقوف الذى سيتواجد فيه جيشنا ليس مما يدعو الى الطمأنينة التامة بل يجب توقع المفاجات .

رطأنا الارض البولونية الروسية وفي الحال أدركنا أهمية ما ذكره أحد القواد الروسوين فيما قصه عن الحملة الشتائية النابوليونية في عام ١٨٠٦ التي حضرها هو بنفسه من جعله العامل الاول في وضع الخطط الحربية لهذه البقاع فائما على ما فيها من الوحول ! فهذه الوحول المتكونة في سائر أشكالها لا تقتصر على منبسط الطبيعة فقط بل تشمل المساكن البشرية وسكانها أنفسهم . ويعد أن اجتزنا نحمنا دخلنا على القور في عالم آخر . فمرض لنا على غير ارادتنا هذا السؤال : « كيف تيسر على أرض أوروبية أن الحدود التي تفصل بوسنانيا من بولونيا ترسم خطا افتراق يمثل هذا الوضوح ما بين درجتين من مدنية عنصر واحد ؟ » في أية حالة من الشقاء الجسمي والنفسى والمادي أوجدت الادارة الروسية هذه البقاع وما أضعف عناصر المدنية التي أدخلها ترفه الأوساط البولونية العليا على الطبقات الوضيعة المستعبدة ! ومن تأملاتى الاولى ظهر لى أن من المشكوك فيه التمكن من مساعدة الكهنوت على انتزاع هذه الافواج من استخفافهم بالشؤون السياسية واجتذابهم الى عقد محالفة عسكرية معنا بمحض اختيارهم .

أن حركاتنا صارت في متتفى الصعوبة من جراء عدم قابلية الطرق للسير فيها ! وقد لاحظ العدو هذه الحركات واتخذ الخطط اللازمة ضدها فسحب من قسم جبهته المواجهة للتمسوين ستة فيااق بقصد قذفها أمامنا لجمعها . تمبر الفيستول الى الشاطيء الايسر عند أيقا نحو رود . وفي ٦ اكتوبر وصلنا الى القستول من طريق أوباتوف رادوم . وفي هذا السير أزعنا من امامنا كل القوى المعادية الموجودة على الشاطيء . الايسر من هذا النهر في المنطقة التي اجتزناها . ولكن في منطقة ايفانجورد

فارسوفيا نهض أزاء جناحنا الأيسر خطر يهدده ففي هذه الحالة استحال علينا وقتنا الاستمرار في حركتنا المتجهة نحو الشرق وعبور القيسطول في جنوب ايفانجورود . بل كان الواجب علينا قبل كل شيء أن نهزم بالعدو الذي ظهر في الشمال . لأن كل الحركات الأخرى تتوقف على نتيجة الوقائع المهمة التي تنتظرنا في تلك الجهة . لقد كانت ترسم في هذه الآونة لوحة حرية غربية . إذ بينما كانت فيالق من الأعداء تنحدر بسرعة من غاليسيا إلى فارسوفيا على الشاطئ الأيمن من القيسطول كانت فيالقنا تحاذيها في السير على الشاطئ الأيسر من هذا النهر . ولكي يعيق العدو تدفقنا على الشاطئ الأيسر قذف بقوى جسيمة إلى غرب النهر من ايفانجورود في المنطقة المحيطة بهذه المدينة فدفعنا هذه القوى إلى نقط عبورها بماء حامية ولكننا لم تكن في حالة تهوى لنا طردهم نهائيا من الشاطئ الأيسر . وعلى مسيرة يومين من فارسوفيا اصطدم جناحنا الأيسر بناء على أوامر صادرة إليه من القائد ما كثرز بقوات معادية متفوقة عليه وصدها في مكانها ولكن هيجومنا صد على مسافة يوم من حط الاستحكامات

وسقط بين أيدينا أمر روسي يتضمن مهمات حرية ذات قيمة عظيمة وجدناه في ميدان القتال الكائن في جنوب فارسوفيا وهذا الأمر يوضح لنا تماما القوات التي حشدتها العدو ونواياه . وبحسب هذا المستند يكون أمامنا في مصب السان إلى فارسوفيا أربعة جيوش روسية أي : ان ستين فرقة روسية تقريبا تواجه سبع عشرة فرقة نمسوية المانية . ومن موقع فارسوفيا وحده خرجت أربع عشرة فرقة معادية واشتبكت مع خمس من فرقنا . فتكون ماثا تابور وعشرون تابورا من الروسين ضد ستين تابورا من الألمانين فتفوق العدو علينا من جهة العدد لا يزال عظيما

ولا سيما ان أعداد وحداتنا المشاة لم يكد يبلغ النصف وأحيانا الربع من مجموع أعدادها في مفتتح الحرب وذلك من جراء الخسائر التي اعتورتها في الملاحم التي أجرتها في بروسيا الشرقية وفي فرنسا وعلى أثر المسافات الطويلة الشاقة التي قطعناها في الايام الأخيرة — وهى تبلغ ٣٠٠ كيلو متر في أربعة عشر يوما وفي طرق وعرة متخلدة مفعمة بالوحول — وازاء جثودنا هذه المنهكة قواها الى مثل هذا الحد توجد القيايق السبيرة ذات الجنود التي تعتبر نجبة مقاتلة التيسر وقد وصلت حديثا الى الجبهة واعادادها لا تزال بنامها .

وغرض العدو الذى يرمى اليه شو انزعانا من طول شواطئ القيسطول يدنا يكون بهجمة موجهة من فارسوفيا قد أجهز علينا . وهى خطة عظيمة أخطمها الجراتدوق نيقولا نيقولا يفيتش وهى أعظم خطة وضعها هذا الامير على ما أعلم بل هى فى نظرى أعظم الخطط التي وضعت لهذا الميدان قبل اضطرازه الى الذهاب الى القوقاز

فى خريف عام ١٨٩٧ على أثر المناورات الامبراطورية التقيت فى محطة هومبورج فون درهوى بالامير الذى استجرنى الى حديث أهمه مسألة استعمال المدفعية واكنى الآن فى بولونيا موجود امامه للمرة الاولى فى حالة كفاح لانه لم يقم فى بروسيا الشرقية إلا مدة قليلة على ما يظهر كان فى خلاها متترجا . فاذا ما نجحت خطته فان مصيبة دمء لا تقتصر على تهديد الجيش التاسع فقط بل تهدد كل الجبهة الشرقية بما فيها سيليزيا ووطنا بأجمعه أيضا . واكن لا ينبغي لنا أن نسترسل فى التفكير فى أمثال هذه التصورات القائمة بل يجب أن نبحت عن الوسيلة التي تنتهى بها الخطر الذى يهددنا . فقررنا الاستمرار على ملازمة خط القيسطول فى جنوب

ايضا مجرود واكن مع سحب كل القوى التي نستطيع أن نستغنى عنها من هذه الجهة وبضمها الى جناحنا الأيسر الذي سنقذف به على القوات المعادية السكائنة في جنوب فارسوفيا لضربها قبل أن نستطيع جموع أخرى الوصول الى هذه الجهة اذن لا ينبغي أن تذهب لحظة واحدة سدى ! وعلى أن ذلك طلبنا من التمسنا والمجر أن توجه الى فارسوفيا من شاطئ القيسطول الايسر كل القوى التي نستطيع حشدتها وكان المعسكر العام الاكبر للجيش النمساوى المجرى يدرك بالتاكيد خطر الموقف واكنه أبدي اعتراضات قليلا ما ترتبط بهذه المسألة . ان التمسنا والمجر التي أسعفناها في أسرع ما يمكن مستعدة لضميدنا واكن بتمكننا فقط من سحب الجنود التي تركناها على شاطئ القيسطول وهذه طريقة بطيئة التنفيذ جدا واستغرق وقتا وباتباع هذه الخطة يمكن بالتاكيد منع اختلاط الوحدات الألمانية بالوحدات النمساوية المجرية واكن أعمالنا كلها تكون معرضة للاخفاق . فاعترضنا واحتججنا واكن على غير جدوى . فخضعنا حينئذ لرغائب التمسنا والمجر .

التهقري

حدث ما كنا نخشاه . فقد أخذت جموع جديدة تندفق على التوالي من فارسوفيا ومن جهة أخرى وعبرت القيسطول أفواج أخر فيما يلي هذا الموقع . وأخذت تنتشر على طول خطوط القتال الممتدة فيها جنودنا قوى الاعداء المتفوقة علينا في العدد وهي مستمرة في الاستطالة نحو الغرب ومهددة جناحنا الايسر بالانقضاض عليه . ان هذه الحالة لا يمكن ولا ينبغي أن يطول أمدها فان كل الأعمال التي شرعنا في تنفيذها بالاشتراك

مع النمسا لم تعد معرضة لخطر التزعزع فقط بل لخطر التلاشي أيضاً وفي الحقيقة انه من الممكن القول بأنها قد تلاشت فعلاً لأن الفوز الذي كان معقودة به الآمال على شاطئ القيسطول الاعلا في غاليسيا لم يتحقق وذلك لان العدو جلب الى تلك الجهة جماهير قرية ضد جيشنا التاسع الذي أصبح بهذه الطريقة ضعيفاً على مرأى من حلفائنا . والنتيجة انه يجب علينا اتخاذ هذا القرار الشاق وهو أن نقبل قبل كل شيء على الرغم من ارادة جنودنا التخلص من حركة الالتفاف التي تهددنا والبحث عن وسيلة أخرى للتوقي من هجوم العدو . لقد تركت ساحة قتال فارسوفيا في الليلة الواقعة ما بين ١٨ و ١٩ أكتوبر للعدو . واكني لانتخلي من الآن عن أعمالنا استقبلت جنودنا التي تقابل امام فارسوفيا تحت أمرة ما كنزن في موقع رافا - لويكر الكائن على بعد سبعين كيلو مترا تقريبا غرب فارسوفيا وقد أملنا أن يسرع الجيش الروسي على هذه الجبهة التي تحولت وجهتها الى الشرق . فقدفنا حينئذ نحو الشمال بالتيالق التي جلبناها من جنوب ايفانجورود حيث حل النمسيون محلهم ورجونا أن تتمكن هذه الطريقة من ضرب أقوى قسم من مجموعة الجيوش الروسية ضربة قاضية عند أعظم منطقة في نهر القيسطول والشروط المتتضاة لتنفيذ هذه الخطة هي أن تتحمل جنود ما كنزن صدمة الجماهير الروسية وأن تشتيت الجنود النمسية المجربة المتوطنة على شاطئ القيسطول بأما كنها جهد المستطاع لتكون للهجوم الذي صممنا عليه غطاء متينا كافياً لصد أى هجوم يحاوله الاعضاء من جناب الشرق . لقد تراءى لحلفائنا أن هذه المهمة الاخيرة المسندة اليهم سهلة التنفيذ ما داموا متمتعين بقوة موقفهم على شاطئ القيسطول واكن القيادة النمسية أخطئت تعيننا في مهمتها برغبتها في أن تؤدي ضربة

بالغة من جبهتها وهو أمر مستحسن في ذاتها لو قرن بالنجاح . فقررت التخلي
عن معابر القيستول في إيفانجورود وفي الشمال ثم الانقضاض على صفوفه .
الاعداء أثناء عبورها . خطة جريئة طالما كانت لها في وقت السلم منزلة
عظمى في تنفيذ وانتقاد التمرينات على الخريطة وفي أوقات المناورات وقد
نفذها بالفعل المارشال بلوخر وزميله الخلف جينسيناو على بحرى
الكاتنوباخ بطريقة باهرة . لكن مثل هذه المأامرة تظل دائماً عرضة للخطر
ولاسيما عند ما لا تكون القيادة على اتم ثقة بجنودها . وعلى ذلك فقد نصحننا
بالمدول عنها . إلا أننا عشنا نحاول ! فقد اجتازت القوى الروسية في
جموع كثيفة نهر القيستول عند إيفانجورود فقرنت الكرة التسوية الحجرية
عليها بالفوز الاول واكتننا لم تلبث أن أصيبت بعوامل الارتباك ثم تحولت
أخيراً الى انهزام . وماذا عسى أن يفيدنا الآن اخفاق الهجمات الروسية
الاولى على جبهة ما كنزن الجديدة ؟ لقد انكشف الجناح الايمن من قوة
هجومنا المقرر على أثر ارتداد حليفتنا فيجب علينا المدول عن حركتنا .
يلوح لي صواب جنوحنا الى حريتنا في العمل باستمرارنا على التراجع
لنتمكن من القتال في مكان آخر تتوفر فيه ميزات جديدة إن هذا القرار
الذى ارتسم في عقلي وأنا في معسكرى العام وأنا ببلدة رادوم لم يكن اذ
ذاك سوى مجرد فكرة ساححة واكتننا كفاية الوضوح لاتخاذ قاعدة للعمل
الواجب القيام به . فالتخذ رئيس أركان حربى الحيلة اللازمة وإن قوته
التيتانية (قوة الجبارة) لتنفيذ ما صبحت العزيمة عليه وأنى على يقين
من ذلك .

وفي الحفية فإن ما عزمنا على اجرائه يثير فى نفسى أنا أيضاً اعتراضات
خطيرة فما الذى نقوله ببلادنا اذا كان جنودنا في رجوعهم القهقرى يقتربون .

من حدودنا ؛ وهل من المدهش ان ترأى سيليزيا هالمة ستتحرك في سيليزيا. ذكرى حوادث الارهاب والتدمير التي اجتاحتها الروسيون في روسسيا الشرقية ، ذكرى حوادث السلب والالام التي قاساها أناس مجردون من وسائل الدفاع وهم يتسحبون على الطرق وقد ألت بهم سائر أنواع الشقاء الاخرى . أن ولايتنا السيليزية الغنية بمصادرها المنجمية المستثمرة استثماراً عظيماً منظم مع صناعتها الفخمة الباهرة ليتوقف عليها مجرى الحرب توقفاً على توفر الخبز اليومي ! فالاعمال الحريسة لاتدار بالاعتصار على وضع اليد فوق الخريطة وقول : « سأنحلي عن هذه البلاد » إذ لا ينبغي الاكتماء بالنظر في الشؤون الحربية عند اصدار القرارات بل يجب أيضاً الالتفات الى الشؤون الاقتصادية . وقد دخلت في جملة حسابنا أيضاً أفكار انسانية عليها مسحة من الاسى . وكانت هذه الافكار هي أشق ما يمكننا التغلب عليه

بدأ تراجعنا في اتجاه كزينتوخا يوم ٢٧ اكتوبر . فوجب احداث ائتلاف هامة في سائر الطرق والسكك الحديدية لتعطيل الجماهير الروسية التي تضمهط عايتنا من قرب الى أن يصيباً لنا التخلص منها تماماً والى أن يتوفر لنا من الوقت ما يمكننا من القيام بحركة جديدة . وتمكن الجيش من الارتداد الى ما وراء نهري الويرا فكا والفارنا فحل جناحنا الايسر في جهة سبيراز وانتقل معسكرنا العام الى كزينتوخا . وتبعنا الجيش الروسي وهو مقترب منا جد الاقتراب ثم أخذت مسافة ما بيننا تزداد اتساعاً وعلى ذلك فقد اذنت حالتنا الى وقت ما بعد أن بلغت من الخطر أشد مبالغ

وبما نسبة هذه التهمزى لا أستطيع الامتناع عن القول بان عدم التبصر

الذى لا أعرف له كنهها من جانب الروسيين بل السذاجة التي تغلبت عليهم في طريقة استعمالهم للتلفراف الاثري مكتنمين أن نشعر في الوقت المناسب بالخطر الذي يهددنا بتلاوة الرسائل التي كان يتداولها الاعداء تخيما بينهم فلم نكن لنعرف فقط أوامر التال بل كنا نعرف أيضا نوايا خصومنا وعلى الرغم من هذه المناسبات الموافقة لنا جد الموافقة كانت الحوادث العسكرية وعلى الاخص كان التفوق العظيم في العدد لدى العدو يلقي على كواهلنا نحن هيئة القيادة أعباء باهظة داعية إلى تهريج الاعصاب . غير أنني كنت أعرف كيف أقبض بحزم على عنان القيادة وكانت تفتي لا حد لها في أن يقوم جنودى باتيان كل ما يستطيع العنصر البشرى أن يأتيه . فهذا الاشتراك العام ما بين القيادة والجنود في العواطف والارادة جعلتنا تتغلب على أخرج المواقف . ومع ذلك فهل لا يلوح في هذه المرة أن هزيمة النهائية إنما تأجلت إلى أجل مسمى ؟ لقد تعالت أصوات الإتهاج من جانب أعدائنا حتى أصبحت متنوعة . وأصبحوا يروننا قد حققت علينا الغلبة النهائية ، وربما كان هذا الاعتقاد هو السبب في نجاحنا لاننا التقطنا بتاريخ أول نوفمبر رسالة تلغرافية لإسلكية روسية تتضمن ما يأتي :

« بعد مطاردة العدو مسافة ١٢٠ فرسيت جان الوقت لترك المطاردة إلى الخيالة لأن المشاة متعبون وزويد الجيش بالمؤونة عسير . »
فاستمعنا حينئذ أن تنسم نسم الاطمئنان وأن نفكر في خطط جديدة .

وفي أول نوفمبر عيني جلالة الامبراطور قائداً عاماً للقوات الألمانية

المنتشرة على سائر الجبهة الشرقية فأمتدت دائرة عمل قيادتي على سائر
البقاع الألمانية التي في حدودنا الشرقية . وظل القائد لودندورف رئيساً لركن
حربي . وانتقلت قيادة الجيش التاسع الى أمرة القائد ماكنزن . فتخلصنا
بهذه الطريقة من الاشتغال بإدارة أعمال هذا الجيش مباشرة ، ولسكن
أشرافنا على مجموع الجيوش الشرقية . صار أعظم من الأدلة . فتخبرنا بوزن
لنكون مقر معسكرنا العام . وقبل وصولنا الى هذه المدينة وضعنا نصبها
نهائياً في يوم ٣ نوفمبر في مدينة كزانتوخاو يتضمن حركة جديدة أو بمعنى
أوضح وادق أن مقاصدنا الجديدة أخذت شكلها النهائي .

كـرتنا

إن خطتنا الجديدة قائمة على الاعتبارات الآتية : إذا أردنا ونحن على
استعدادنا الحالي أن نصد عن الجبهة هجوم الجيوش الروسية الاربعة
المائلة أمامنا فإن المعركة التي نفتحها ضد عدو له علينا التفوق الساحق يكون
خطها كمنصب معركة قارسبوقيا . وليس بهذه الطريقة يمكن انقاذ
سيليزيا من الفارة الشعواء . أن حل هذه المسألة لا يمكن أن يوجد الا في
الهجوم . وإذا وجهنا هجمة على جبهة خصمنا المتفوق علينا في المددات قلبت الى
كسرة ببساطة وسهولة فيجب إذن السعي الى توجيه هذا الهجوم ضد
الجنب المكشوف أو الذي يكون فقط ضعيف الحماية من جيوش الاعداء .
وقد دلت اشارة تطويق بذراعى الايسر أثناء مناقشتي الاولى على حقيقة
فكرى فاذا اردنا اصابة الجناح الشمالى للعدو في جهة لودز فيجب تقديم
قوة هجرمتنا الى ضواحي تورن . فيكون إذن ما بين هذا الموقع وجنيزين
حشد قوتنا الجديدة . وبأتباعنا هذه الطريقة نتمد مسافة شاسعة عن

الجناح الايسر التمسوى الجرى . ولم نشأ أن ندع في جهة كيزينتوخاوا إلا قوات ألمانية قليلة منها فيلق ويريش اللاندوهرى الذى أصيب بنقص فادح من جراء خسائره . ولتحقيق تسحبنا نحو اليسار كان من اللازم أن يستقدم المعسكر العالم الى كبر التمسوى أربع فرق من جبهة الكاربات التى لا يهددها شيء الى جبهة كزيتو توخاوا لتحل مكان جنودنا الواجب تقديمها الى الشمال .

على أراضنا فى منطقة تورن-جنيزين توزعت القوى التمسوية الألمانية على ثلاثة أقسام : القسم الاول مكون من الجيش التمسوى الجرى الراكب ومستقره على شواطىء القيستول الاعلا . والقسمان الآخران مكونان من الجيشين الثامن والتاسع الالمانيين . ولا يمكننا أن نضع فى الفرجات الكائنة ما بين هذه المجموع الثلاثة قوات ذات شأن جدى من الدال . وفى البراح الواسع الكائن ما بين التمسويين والجيش التاسع . وامتداده ١٠٠ كيلومتر اضطررنا لأن نضعه فى الخط وحدات جديدة التكون . وهذه الوحدات التى ليس لها فى حد نفسها سوى قوة هجوم ضعيفة كانت بحكم الضرورة ممتدة ازاء قوى روسية ذات تفوق عظيم عليها جعلتها لا تعتبر إلا كستار رقيق . فاذا لم يكن تمت اعتداد الا بالتفوق العددي فما على الروس حينئذ الا أن يزحفوا على سيليزيا ويكتسحوا فى طريقهم قوة المساومة الضعيفة التى تمترضهم . ولم يكن لنا فى المسافة الكائنة ما بين الجيش التاسع الخيم على مقربة من تورن والجيش الثامن الخيم فى بقاع الجهة الشرقية من بروسيا الشرقية غير جنود من اللاندستورم تمضدها عساكر تورن وجراودز من طبقة الاحتياطى البنامي . ويقابلها مجموع من القوى الروسية مشتمل على نحو أربعة فيالق ومبرت فى شمال فارسويا على شاطئى النارييف الاين

وعلى شاطئ القيسنول . فاذا دفعت القيادة الروسية هذا المجموع نحو الشمال في اتجاه ملافا فان الحالة التي كانت في آخر أغسطس قتل معركة تانينبرج تنشأ من جديد . فمؤخرة الجيش الثامن اذن على ما يتراءى صارت مهددة مرة أخرى والذي يجب هو أن يكون هجوم الجيش التاسع من وجهها في اتجاه لودز ضد الجانب الضعيف غطاؤه من الكتلة الروسية الأساسية فتتخلص بروسيا وسيليزيا من هذه الحالة . ومن الواضح أن هذا الجيش اذا لم يسرع بالهجوم فانه يستجر اليه من سائر النواحي الجماهير الروسية وهذا الخطر كان في درجة من الجسامة تجعل من المستحيل تلافيه باستحباب قوى من أية نقطة من الجبهة لتقوية نقطة أخرى هجمت عليها جموع من القوى الروسية الهائلة أو للقيام بهجمة قوية على تلك الجموع الحاشدة أو للتغريب بها في إحدى الجهات المكتظة بها كمعطقات القيسنول أو كشمال القسم المتوسط من هذا النهر ومع ذلك فلا بد لنا من الهجوم على الرغم من ذلك الخطر الجسيم بكل جنودنا ومن كل النواحي . إلا أنه من الخطأ المضر اقامة صروح غالية من الآمال على سلوك هذه الطريقة .

ان كل الوحدات المتينة القادرة على الهجوم والتي يمكن الاستغناء عنها يجب أن تستقدم لتكون امداداً للجيش التاسع . لان هذا الجيش هو الذي يجب أن يضرب الضربة الحاسمة وعلى الرغم من أن الجيش الثامن لا يزال مهدداً فقد أعار الجيش التاسع فيلقين . وحقيقة أنه ليس من المستطاع في مثل هذه الاحوال الدفاع عن الحدود بما فيها روسيا الشرقية نفسها المحررة من وطأة الاغارة منذ مدة وجيزة والتي انما يكون الدفاع عنها حينئذ عند الانحياز وفي منطقة البحيرات وهو أمر عسير . وبفضل مجموع الوسائل التي أوضحناها صار مجموع قوة الجيش التاسع نحو خمسة

فيالتي ونصف فيلتي وخمس فرق من الفرسان اثنتان منهما قدما من الجبهة الغربية وعلى الرغم من الاحتجاجات القوية الصادرة من طرفنا فان المعسكر الاكبر العام أظهر عدم استطاعته امداد هذه الجبهة بقوى أخرى لأنه كان لا يزال على اعتقاد باحراز نتيجة مرضية في معركة ابر . لقد عادت صعوبات الحرب الى الظهور مرة ثانية على الجبهتين في آن واحد مع كثرتها وخطورة شأنها . فوجب علينا في هذه المرة أيضاً أن نستعيض عن القوى المقاتلة التي تنقصنا بالسرعة والجرأة في تنفيذ خططنا . واما على يقين من أن توادنا ورجالنا سيقومون من هذا القبيل بفعل كل ما يستطيع المجهود البشري أن يفعله . لقد أصبح الجيش التاسع ابتداء من ١٠ نوفمبر مستعد للهجوم وفي يوم ١١ شرع في حركته فامتد جناحه الايسر على طول القيسطول وجناحه الايمن الى شمال الوارنا . وقد حانت الساعة الكبرى اذ جاءت الانباء معلنة معاودة العدو أن يتخذ هو أيضاً خطة الهجوم . ودللتنا إحدى رسائل العدو الإثيرة على السراياقي : يجب على كل الجيوش الروسية المنشرة في الجبهة الشمالية الغربية أى كل القوى المحتشة ما بين البلطيق وبولونيا أن ترحف الى الامام يوم ٤ نوفمبر لتتفعل في داخلية المانيا . لقد انزعنا سر الاعمال من القيادة المعادية التي عندما شرعت في يوم ١٣ بحركتنا لم تجرباً على تنفيذ هجومها العظيم ضد سيليزيا بل ألقت بكل القوى الحاضرة لديها امام هجومنا . وبهذه الطريقة نجحت سيليزيا مؤقتاً ، ان الغرض الاول من حركتنا تكمل بالنجاح فهل نستطيع بعد ذلك أن نحرز فوزاً مبنياً ؟ ان تفوق العدو جسيم جداً ! غير ان أملي عظيم في النجاح انني أنحطى دائرة هذا الكتاب اذا شئت أن أصب فيه جميع الملاحم المعروفة باسم « معركة لودز » .

فان هذا الصراع المتمثل في الهجوم والدفاع وفي الالتفاف والتهدد بالالتفاف وفي الاختراق وفي التهديد بالاختراق يرسم منه أعجب منظر وقعت عليه العيون وهو منظر بوحشيته المفزعة يفوق مناظر سائر الوقائع التي حدثت الى هذا العهد في الجبهة الشرقية !

لقد توفقتا بالاتفاق مع النمسا والمجر الى صد أمواج نصف القارة الاسيوية ! ان وقائع هذه الحملة البولونية لم تنتد عند لودز بل اتبعها كل من الجانبين قوات جديدة . ولقد وصلت اليها نجدات جديدة من الجانب الغربي والقليل منها حديث التألف وأما أغلبها فمع كونه متمسكا بقوة الارادة واكتمه لم يكن الا على نصف قابلية للعمل . لان الكثيرين من جنود هذه التجديدات مستجرون من وقائع في مثل ملاحنا من الشدة بل ربما كانت أشد منها أيضاً وعلى الاخص معتك ابر . فقد حاولنا أن ندفع الى الخلف بمعونة هذه التجديدات الامواج الروسية التي صددتنا تدفعها . ولبننا شطراً من الزمن نتخيل أننا ستوصل الى هذا المرام وأخيراً حدث لنا كما طراً علينا في ملاحم لودز من قبل أن صارت قواتنا غير كافية لمعالجة التفوق العددي الذي قولنا به في مضمار الكفاح . ولقد كانت كفتنا ترجح لو أن التجديدات لم تأتينا نقطة نقطة ولو استطعنا أن تدفعها على التعاقب الى ميدان القتال . وكما كلما حاولنا تحريك الكتلة السلافية الهائلة نحو الشرق لم تفرح الا مسافة قصيرة ثم ترسخ في مكانها الجديد فنضبت موارد قوتنا . وفي الحقيقة أن هذه القوى لم تتوضع في المصرة فقط بل في البرك والمستنقعات أيضاً .

أن بحىء فصل الشتاء هو الذي شل نشاط الخصمين فقط . فالجليد والثلج يعطيان خطوط المعركة التي كانت قد صارت غير قابلة للسير فيها .

توجد نقطة صارت من الآن موضوعاً لتساؤل وهي أى الخصمين سيكون البادي، فى ايقاظ خطوطه من سباتها خلال الاشهر المقبلة ا

١٩١٥

كيف يتها الفصلى فى الامر

أن الحملات التى قامت بها ألمانيا وجيشها فى ١٩١٤ لا يمكن تقدير قيمتها فى كل مجدها العظيم الا متى عادت الحقيقة والانصاف الى الانطلاق، فى مجال حريتهما ومتى ارتفع القناع عن وجه دعوى المدو التى ضللت الرأى العام فى العالم أجمع ومتى وجد النقد الالماني الذى يهتك حجاب كل شىء، مكاننا من العناية ومن التدبير فيه . ولست بمرتاب فى تحقيق هذا كله يوماً من الأيام .

على أن العمل العظيم الذى قمنا به فى عام ١٩١٤ بالدافع الذى حملنا على القيام به على الرغم من عظم حملتنا التى أعددتها لأنجاح ذلك العمل لم يتكفل بالفوز النهائي الى مختتم تلك السنة . فانا لم نتجح حتى ذلك الحين الا فى أنقاذ وطننا وقتياً من غير أن نخرج نصرأ مبنأ . وما الحصول على الفصل فى إحدى جبهاتنا الا احتقار الدرجة الاولى من السلم الذى نتوصل به الى ذلك النصر فن الواجب علينا أن نتخلص من التطويق العسكرى والسياسى والاقتصادى الذى يخرجننا ويهددنا أيضاً باختناقنا أدبياً . أن الاسباب التى أستوجبت عدم حصولنا على فوز حاسم الى هذا الوقت كانت موضوع المناقشات العديدة وستظل كذلك . ولكن كان يوجد فى هذه المسألة شىء مؤكد : وهو أن معسكرنا الالكبر يرى أنه مجبر على سحب قوى من الجبهة الغربية فى غير الوقت المناسب مع أنها الجبهة

التي يجب الفصل فيها ليوجهها الى الجبهة الشرقية . ولست أريد أن أبحث لأعرف اذ كان للاتصارات المحرزة الى هذا الوقت والمبالغ فيها دخل كبير في هذا التصميم وعلى كل حال قد نجم عنه اتخاذ نصف الوسائل المبتغاه : فقد صار العدول عن أحد الغرضين والغرض الآخر لم يتيسر ادراكه . وفي خلال عدة محادثات جرت مع بعض الضباط الذين لهم الملم بمجرى الحوادث التي وقعت في شهرى أغسطس وسبتمبر من عام ١٩١٤ من الجبهة الغربية أخذت أكون في نفسى رأياً غير مغرض عن الحوادث المشؤومة التي تتابعت في الملاحمة المسماة « بوقعة المارن » . اننى لا أظن أن حيوط خطتنا الكبرى للخرب وهي الخطة التي من غير أدنى شك وضعت على أتم أحكام كان الباعث عليه سبب واحد . بل لقد تتابعت سلسلة حوادث غير موافقة لمصلحتنا : واني لأسرد من بينها ضعف الفكرة الاساسية في خطتنا التي تقضى بتحتيم اجتماع جيشنا مع تكوين جناح يمين له قوى جداء ، واختفاق جناحنا الايسر المؤلف على أقوى تركيب وهو الاختفاق الذى نجم عن فكرة خاصة غير مناسبة للوقت صادرة من القيادة المروسة وتجاهل الخطر الذى ينتظر من جانب باريس بصفتها الموقع المنيع المحصن تحصينا عظيماً وأكبر نقطة لللتقى الخطوط الحديدية ، وعدم تداخل معسكرنا العام الأكبر بطريقة كافية لترتيب حركات جيوشنا وأخيراً ربما ينضم الى ماتقدم عدم تقدير بعض أعضاء القيادة في ساعة الفصل في المعركة موقف جيشنا تدبراً دقيقاً مع أن ذلك الموقف في حده نفسه لم يكن غير موافق . ان المؤرخين والناقدين سيجدون في هذه المسألة مادة فياضة يستقون منها مباحثهم .

واني لأصرح علنا بأنه اذا كان حيوط خطة أعمالنا الاساسية في الجبهة

الغربية قد عرض ألمانيا لخطر جسيم فلم ينتج عنه مطلقاً أن مواصلة القتال صارت عديماً لجدوى لألمانيا . ولو لم أكن مقتنعا من فائدة مواصلة الحرب لكنت وجدت من واجبي منذ خريف سنة ١٩١٤ أن أبرئ الامر الى المراجع العليا بل الى رئيسى الاعلى الميجل . ان جيشنا أظهر من الصفات الباهرة السامية بما يرفع قدره على جيشوش الاعداء حتى أننى لا أرى انه كان لا يزال فى وسعنا مع جمع قروانا بطريقة موافقة للحصول على أمر فاصل ولو على الأقل فى احدى ساحاتنا الجربية وهذا على الرغم من التفوق العددي المزايد المختص به اعداؤنا .

ايكون العمل الفاصل فى الشرق أم فى الغرب ؟ هذا هو السؤال العظيم ، وعلى الاجابة عليه يتوقف مصيرنا . وبالطبع أن المعسكر العالم الاكبر لا يستطيع الاعتراف لى بحق الاجابة على هذا السؤال . لان النتيجة كلها واقعة على كاهله . ولكنى أرى أن لى الحق على الاقل بل على الواجب فى أن ابسط وجهة نظرى فى حل هذه المسألة وان ادافع عنها علنا وبحرية .

أن السواد الاعظم من الشعب الالماني يتطلب بحسب عادته التقليدية الحصول على النصلى فى الامر من طريق الجهة الغربية . لان هذا الفصل يمكن التوصل عنه بانه شعور وطنى : نفى الغرب يوجد العدو الذى لا تدعنا حزاة حقدة فى وقت السلم تنعم بالراحة . وفى الغرب أيضاً يوجد الآن الخضم الذى نحن مقتنعون بانه يعد القوة التى يدفعها لتدمير ألمانيا . وعلى تقيض ذلك كان الشعب عندنا يرى دائماً ان رغبة روسيا فى امتلاك القسطنطينية معقولة ، وهو لا يحمل عملة الجذب معاً معها . فى روسيا الشرقية والغربية .

فالاعضاء المكلفون فى ألمانيا بإدارة الحرب يستطيعون اذن عندئذ

محاولتهم الفصل في هذه الحرب في الجبهة الغربية ان يكونوا على ثقة من تعضيد الروس التي تدبر شؤون الامة بل من تعضيد القسم الاعظم من الراى العام . ويوجد في هذا الامر عامل ادبي لا ينبغي الاستخفاف به . ولا أجزأ على هذا القول بأن هذا العامل كان له تأثير في تصرفات معسكرنا الاكبر ولسكنى أعلم حق العلم بان فكرة إنهاء الحرب في الميدان الغربي طلبت منا آلافاً من المراسل شغوباً وكتابة . وفيما بعد عند ما أسندت الى مقاليد الاعمال الحربية أقترح على أناس بأن أهمل الروسيا نهائياً بل كانت الآراء متجهة غالباً الى أنه من الممكن التفاهم بطريقة ودية مع هذه الدولة وان هذا التفاهم يتم بسهولة . وكذلك كان القتال الحاسم في الجبهة الغربية وهو القتال الذى يرمي الى الانتصار النهائي عندى ، انا الوسيلة الوحيدة لابرام الصلح ولكن لا ينبغي ان نلجأ الى هذه الوسيلة الاخيرة الا بعد ان نصرع الروسيا . وهل من السهل صرع الروسيا ؟ لقد أجاب القدر على هذا السؤال بالاجاب واكن بعد مضى سنتين اي بعد ان فانت الفرصة المناسبة لان حالتنا كانت قد تغيرت تغيراً تاماً فى بحر هذين الحولين : إلفان عدد وقوة خصومنا الآخرين قد باغ من النمو مبلغاً جسيماً وحل محل الروسيا خصم جديد وهو امريكا الشمالية المملوءة سباباً وقوة ذات المواد الاقتصادية العظيمة .

ولقد اعتقدت فى شتاء ١٩١٤ و ١٩١٥ استطاعتى الاجابة بالتأكيد على السؤال الآتى : « هل يمكننا التقلب على الروسيا ؟ » ولا أنال الى اليوم أؤيد رأيي هذا . وفى الحقيقة ان هذا الفرض لا يدرك بمركبة كبرى وحيدة لسيدان هائلة لم يسمع لها بمثل وانما يدرك بسلسلة انتصارات من أمثال ما أخرزناه فى معترك سيدان وفى هذا الصراع كان انحطاط قيمة

المعسكر العام الأكبر الرومى أو على الأقل قيمة قيادات الجيوش الروسية عاملاً موافقاً لنا كما أظهرت ذلك الحوادث التى تناهت فى ذلك الميدان وقد قام الدليل على ذلك فى ملحمة تانينج ، وكما كانت وقائع لودز قد تقيم الدليل عليه بأرقام أعظم من أرقام الأسرى الذين وقعوا فى أيدينا فى ذلك المعترك ولو لم نأخذ على عاتقنا اعباء الاعمال الحربية فى بولونيا حيث حصرنا مجبرين على منازلة مقادير متفوقة علينا جداً فى العدد وحيث اضطررنا إلى التوقف عن متابعة انتصارنا ونحن فى منتصفه بسبب نقص القوى الحاربة اننى ما بنحست الروسين قدرهم على الاطلاق . اذ من الخطأ فى نظرى عدم اعتبار روسيا إلا بلاد استبداد واستعباد وتقص وغباوة وغلطسة فقد توجد فى روسيا قوى أدبية قادرة مهذبة تعمل لرفعها ولكن هذه القوى محصورة فى بعض الاوساط الممتلئة فقط . ان حب الوطن والابتكار والجلد على العمل والاسراع لم تكن مجهولة تمام الجمل لدى الجيش الروسى والا فلو كان الامر على عكس ذلك لما استطاعت هذه الكتل الهائلة أن تتحرك من مكان الى آخر ولما استطاعت البلاد والجنود أن ترضى عن أمثال تلك المجازر البشرية ؟ ان الروسى فى عامى ١٩١٤ و ١٩١٥ ليس ذلك الروسى الذى كان على عهد زورندورف والذى كان يسلم نفسه للذبح من غير مقاومة كما يفعل البهيم ، ولكن الذى ينقص مجموع الشعب الروسى اما هو حصوله على تلك المزايا الانسانية والعقلية المنتشرة لدينا بوجه عام سواء لدى كافة الشعب أو سائر الجيش .

ان الممارك التى نازلنا فيها جيوش القيصر أكسبت ضباطنا وعساكرنا الشعور بتفوقهم الذى لا يجد على هؤلاء الخصوم . وهذا الشعور الذى يشترك فيه كمولنا اللاندستورميون وجنودنا الشبان يوضح أسباب استطاعتنا

أن نقذف في المعركة الشرقى وحدات لا تسمح لها قيمتها الخربية الضعيفة باستخدامها في ميدان الجبهة الغربية الا في حالات مخصوصة . وهذه الاستطاعة كانت لنا بمنزلة ميزة عظيمة لاننا كنا في الخطاط عدوى هائل عن أعدائنا ! وفي الحقيقة اننا لانستطيع أن نستخدم هذه الوحدات إلا الى حد معين بسبب ما يقتضيه الميدان الشرقى من الجهود العظيمة التي تتطلب جنودا قديرين على صلابة المقاومة وسرعة التفتلات العسكرية فالسواد الاعظم من القوى يجب أن يكون دائماً مؤلفاً من فرق ذات مقدرة عظيمة على الهجوم فاذا لم يكن من المستطاع الحصول على الفرق اللازمة للاعمال الخربية الحاسمة بانشاء وحدات جديدة كان من الواجب في رأي الحصول عليها بانتزاعها من الجبهة الغربية ويجب لاجل هذا العمل اخلاء قسم من البقاع المحتلة .

ولست هذه الاعتبارات نتيجة خطة وضعت بعد تجربة ولا بعد انتقاد صائب . وقد اعترض على ما ذكرته بان الروسيا تستطيع دائماً أن تسحب جنودها في حالة الاقتضاء الى داخلها يطلقون عليه لقب الامتداد الذي لا نهاية له من هذه الامبراطورية العظيمة فتأخذ قواها في الانعطاف شيئاً فشيئاً مدة المطاردة حتى تقف عن متابعة الهجوم . واعتقادي هو ان الذين يذهبون الى هذا الرأي واقعون تحت تأثير عظيم جداً من ذكريات سنة ١٨١٢ ولم يحسبوا أدنى حساب للتغير العظيم الذي طرأ على شؤون الامبراطورية الروسية من الوجهتين السياسية والاقتصادية منذ ذلك الحين وكذلك لم يفكروا بوجه خاص في انتشار السكك الحديدية . فتابوليون لم يتفعلوا اذ ذاك إلا في جانب يعد ضيقاً بالنسبة للبقاع الروسية المتزامية الاطراف . وكان ذلك الجانب اذ ذاك قليل السكان يكاد يكون على الفطرة .

من الوجهة الاقتصادية وفي لجنة النحاس من وجهة السياسة الداخلية .
فما أعظم الفرق ما بين هجوم اليوم وهجوم الامس مع المستنظاظات ووسائل
الحديثة وثمان بين ما يلاقيه هجوم اليوم داخل تلك البلاد وبين ما كان
يلاقيه هجوم الامس فيها

وهذا التباين في الآراء هو الذي تكون منه أخيراً أساس الامة التي
حدثت اذ ذاك ما بين المعسكر العام الاكبر الالماني وأركان حربي . ولقد
تداولت الاسلحة قصصاً شتى في صدد هذا الاختلاف الذي لم ينته الى
أى حادث مكدر على الرغم من الاهتمام العظيم الذي وجهته الى هذه المسألة .
وإني أدع الى العلماء الناقدين المتنايئة باصدار حكم عادل في هذا الموضوع ،
ولكنني مقتنع بانهم لن يتوصلوا الى حل يرضى الجميع . وعلى كل حال
فاني لن أعرف هذا الحل لاني لن أكون حينئذ من أهل هذا العالم .

وقائع الجبهة الشرقية واعمالها

لأستطيع الان ألم بالحوادث الواقعة في خلال ١٩١٥ بالجبهة الشرقية .
لم تحدث الوقائع الحربية في القسم الذي نشغله الا على أثر الاوامر التي
أصدرناها اذ احتدم الصدام بشدة متناهية . ولم نحمد نيران هذا القتال
نحوذاً تاماً في يوم ما . ومع ذلك فلم يبلغ القتال الى مثل درجة الانسعار
القصوى التي حدثت في جبال الكاربات التي أستدعيت اليها الجيوش
الامباطورية الملكية لحماية المجر من الغارة الروسية . ولقد أرسل أيضاً
رئيس أركان حربي للاقامة مدة من الزمن في الجبهة النمساوية عند ظهور
الخطر . والاسباب التي دعت الى اصدار هذا القرار لم تكن معلومة لدي .
فيبحث عنها في الدوائر المختصة وطلبت من صاحب الجلالة أن يفيدني عن

اسباب هذا القرار فنكرم على باجابه سؤلى وعادالفائدلودندورف بعد قليل من الزمن بعد أن أجرى عدة تجارب هامة وبعد أن درس حالة الوحدات النموسية المجرية درسا محكما .

ان فكرة العزم على القيام بمعمل حاسم فى الجبهة الشرقية مما يوجب الارتياح بنوع خاص لدى المعسكر العام الاكبر النموسى . اذ كانت هذه الفكرة مهمة لا لاسباب عسكرية فقط بل لبواعث سياسية أيضا . فلم يعد يخفى عليها توالى الانحطاط فى قيمة قواها المقاتلة . فانه من الواضح أن الحرب كلما طال أمدها ازداد ضعف قيمة الجيش النموسى أكثر من ازدياد الضعف الحادث فى جيش الخصوم . ويجب أن يضاف الى ما تقدم ما يقلق الحكومة النموسية عند افتكارها أن سقوط برزيميسل المتوقع حدوثه قريبا يزيد فى خطورة الحالة لا من جهة جيوشها فقط بل من الوجهة الداخلية أيضا لما يحدثه سقوط هذا الموقع الحصين من التأثير الذى بدأت علامته تظهر بقلقلة بناء الحكومة وتلاشى الامل فى الحصول على نتيجة محمودة للحرب . ومن جهة أخرى فقد بدأت النمسا تشعر بالخطر الذى يهددها من الخلف أى من جانب ايطاليا . فلا يغير مركز هذه الدولة من الحالة السيئة التى هو فيها الا هجوم قوى مصحوب بالظفر فى الجبهة الشرقية .

وقد استتجر فى درس هذه الحالة الى أن أكون على رأى الفائدفون كوزناد حينما أقترح على المعسكر العام الاكبر الألماني القيام بتنفيذ الاعمال الحربية الفاصلة فى الميدان الشرقى . الا ان معسكرنا العام الاكبر رأى انه لا يستطيع أن يقدم لى القوى التى أحسبها لازمة للوصول الى هذا العمل الحاسم . وهذا هو السبب فى أن أحدمشروعات الهجمات الكبرى المحتوية عليها الخطة

التي عرضتها أمكن تنفيذها في منطقة عمل قيادتي وهي التي حدثت في
بروسيا الشرقية .

وقد وصلت إلينا في مفتتح العام أربعة فيالق من الجبهة الغربية
ومن الداخل بطريق السكة الحديدية. فنزلت في بروسيا الشرقية واستخدم
بعضها في تقوية الجيش الثامن والبعض الآخر في تكوين الجيش العاشر
المسندة رئاسته إلى اللواء فون أنجهورن . وبعد الاحتشاد تقدم هذا
الجيشان إلى الامام ليكونا جناحين في مركزنا الكائن على خط لوزين
كومينتي الذي كان ضعيفا. وكانت خطتنا ترمي إلى تطويق الجيش العاشر
الروسي الذي يقوده القائد سيديفيس بمجموعتين قويتين على شكل
جناحين تطبقان عليه من كل النواحي بطريقة تجعله محصوراً بينهما
ويتمكنان حتى من ظهره في الأرض الروسية ولا يتركان أثر حتى لبقاياه
الآخرة . ومن ابتداء ٨ يناير أخذنا ونحن لا نزال في معسكرنا العام في
لوزين نوضح لقواد جيوشنا الهكرة الأولى من قواعد حركتنا الآتية في
الامر الآتي :

« أريد أن اطوق جناح العدو الشمالي بالجيش العاشر الذي يسير
جناحه الأيسر في خط تيلسيت — فيلكوفشكي ، واقتلاع العدو من
الجبهة بفرقة كونيغسبيرج اللاندويرية والجناح الأيسر من الجيش
الثامن ويجعل الجناح الايمن من الجيش الثامن يهاجم خط اريس —
جوهانيسبورج ويهجم كذلك على الجهة الجنوبية . »

وقد أرسل امر الهجوم الإلهامي في ٥ فبراير من إينسبرورج حيث ذهبنا
إليها لإدارة المعركة . وتضمن هذا الامر شروع ابتداء من ٧ فبراير
في حركة كتلتي الجناحين وأشار إشارة خفيفة إلى انقصارنا العظيم الباهر

في معركة سيدان. فاصيب الجيش العاشر الرومى في جهة اوغستوفو في النهاية بما أصيب به الجيش الفرنسوى في سيدان . إذ تمت في ١٢ فبراير حركة احداقنا الواسعة بهذا الجيش وانقضضنا عليه فخرجنا من المعركة باكثر من مئة ألف أسير أرسلوا الى ألمانيا . وكانت قتلى الروسين في هذا المعترك أعظم من عدد الاسرى بكثير جداً .

وقد اطلق على مجموع هذه الملاحم بامر جلالة الامبراطور اسم «معركة الشتاء المازورية» . ولقد براد منى وصف هذا المعترك . فلست أدري ماذا عساني قاصاً من جديد ؟ ان اسمه يذهب بالفكر الى الزمهرير الثلجى والى جمود الموت . ان الانسان الذى يكون قد شاهد المعترك بعد ان ينعم النظر فى دراسة حوادثه يتساءل فى نفسه اذا كان لا يجب أن يتمثل ازاء الافكار هذا السؤال وهو : هل هم فى الحقيقة رجال من التفصيلة البشرية اولئك الذين قاموا بتلك الاعمال . أو ان كل ذلك المعترك لم يكن سوى قصة تسبيح بالحيلة فى ليج الاوهام أو أشباح تترأى للفكر فى آفاق الاحلام ؟ أليست هذه المسافات الشاسعة التى قطعها الجنود سيراً على الاقدام تحت اذيال الظلام فى ليالى الشتاء الطويلة القارس بردها ، وهذه الخاتمة البالغة منتهى الهول التى رزى بها العدو فى اوغستوفو ، أليست هذه الاشياء كلها هى ثمرات القرائح الانسانية المتجاوزة حد التهيج فقط ؟

على الرغم من الظفر القنى العظيم الذى تتوج به هذا المعترك الشئوى فاننا لم نحزن منه آثار الفوائد الحربية التى كنا نتوقعها نتيجته . وقد استطعنا ان نسحق جيشاً روسياً بأكمله تقريباً ، ولكن قوات جديدة من ضمن الإعداء آتية من جهات اخرى لم ينزع منها من قبل شىء . حلت مكان

الجيش المسحوق في أقرب وقت . وعلى هذه الوتيرة لم يكن في وسعنا الوصول في الجبهة الشرقية الى أية نتيجة نهائية بالوسائل التي بين ايدينا في هذا الوقت . ان تفوق روسيا في العدد متفوقاً كل حد وغاية .

وأجابت روسيا على تركنا الشتوي بقيامها بحركة هجوم التفاف حول جزء جبهتنا الأمامي الكائن على حدود روسيا القديمة . فأرسل علينا رئيس القيادة الروسية كتلة قوية ذات كثافة هائلة ، كل واحدة منها أعظم حجماً من مجموع كل قوانا المحشودة في هذه الجبهة . ولكن قوة الإرادة الألمانية تلقت أيضاً هذا الدب الباهظ . وأخذت أنهار من الدماء الروسية تجري الى مستهل الربيع في الوقائع الهائلة الناشئة في شمال التاريف وفي غرب النيمان ، ونحمد الله كانت على الارض الروسية ! ما أعظم الجيوش التي لدى القيصر والتي لا تؤثر فيها كل هذه المجازر الهائلة ! على ان القوى التي ذابت أمام خطوطنا ظهر تأثيرها لدى القيادة الروسية فيما بعد حينما ابتدأ الهجوم النمساوي الألماني العظيم هنالك على بعد في الجنوب فزعزع كل الجبهة الروسية .

لم يكن القتال مقصوداً على الملاحم الدائرة في بقاع الحدود الروسية في هذه الاثناء بل كان شاملاً أيضاً ساحة جبال الكربات . فهناك حاول الروسون ان يقتحموا الحدود الحجرية من غير ان ينتظروا نهاية الشتاء وكيف كانهم هذا الاقتحام من الثمن . فتد كانوا يرون وانهم على صواب في رأيهم ان اندفاع اللجة الروسية في بلاد الجر يضع حداً فاصلاً للعرب ، لان الامبراطورية الدانوبية بعد هذه الهزيمة لا تستطيع ان تنهض أبداً . وهل يمكن الارتياح في ان أرل قنبلة تنطلق من مدفع روسي قاصفة في

(١٠)

السهل الجرى نجد صدها متردداً في جبال إيطاليا العليا وفي جبال الألب. الترانسيلفانية. ان الجرانديوك الروسي يعرف حق المعرفة الغرض السامي الذي يسعى لادراكه بمطالبة الجيوش القيصرية ببذل هذه الضحايا الهائلة في ميادين منطقة الكربات الجبلية الشاقة. فالخطر المحدق بالحالة الجربية في الكربات وما يتجم من تأثيره في الموقف السياسي كان يحتم الحل السريع لهذه المشكلة. فتوفق المعسكر العالم الاكبر الالماني الى هذا الحل وهو ان اخترق في الأيام الأول من شهر مايو الجبهة الروسية في غاليسيا من الشمال. وهاجم من الجنب ومن الخلف جبهة العدو في المعترك المواجهة للحد الجرى .

ولم تشترك الجنود التي نحت قيادتي في بادئ الأمر الا في جانب غير مباشر في الاعمال الحربية الكبرى التي ابتدأت بالقرب من جورليس . وكانت مهمتنا في برنامج هذا المشروع الهائل في مبدئها انتزاع قوى عظيمة من الاعداء من أماكنها . ولأجل هذا الغرض قامت جنودنا مبدئياً بهجمات في المنطفات الكبرى من الفيستول على ممرية من فارسوفيا وفي نخم بروسيا الشرقية على اتجاه كوفنو ، ثم فتحنا ميدان زال من الطراز الاعظم اذ اقتحم فوارسنا ليتوانيا وكورلاند وابتدأت عملية هذا الاقتحام يوم ٢٧ ابريل . وهذه الهجمة التي باشرتها ثلاث فرق من الفرسان تمزجها ثلاث فرق من المشاة أصابت جبهة قتال العدو في نقطة حساسة . فأدرك الروسيون من أول وهلة ان تقدم جنودنا في هذا الاتجاه يمكن ان يؤدي الى تهديد السكك الحديدية ذات المتزلة العظمى التي تصل ما بين جيوشهم وقلب وطنهم تهديداً جسيماً . فألقوا بقوات عظيمة نحو القرعة التي تلمناها في جبهتهم . فلبثت الوقائع ناشبة على الارض

الليتوانية الى الصيف . وقد اضطررنا الى استقدام قوات جديدة الى هذه البقعة للحفاظ على الارض التي افتتحناها ولنستمر على الضمط الذي أصبنا به العدو في هذه الانحاء التي لم تكن الحرب قد مستها الى هذا الحين . وبهذه الطريقة بدأ تكوين الجيش الجديد الذي أطلق عليه اسم «جيش اللينين» شيئا فشيئا ، وهذه النسبة رجع الى أهم نهر في هذه الناحية . ليس لدي مكان متسع بين دفتي هذا الكتاب لبسط تفاصيل هذه الحملة التي كان مبدؤها في ٢ مايو في غاليسيا الشمالية وأخذت تستغرق جبهتنا شيئا فشيئا حتى انتهت في الخريف الى شرق فيلنا . وكما ان قطعة الجليد المرعية من قمة الجبل تتكون من عناصر بسيطة في الظاهر وتستجر في طريقها المكثح على المتوالي عناصر دأماً متجددة كذلك هذه الحملة ابتدأت بهجمة محدودة ثم اتسعت دائرتها شيئا فشيئا حتى وصلت الى حد من الاتساع لم يكن معلوما من قبل ولم ير له مثيل فيما بعد . ولقد اجتذبتنا الى الاشتراك فيها مباشرة عند ما تكمل بالنجاح مشروع احداث نفرة في جهة المبرج . فقامت الجيوش الالمانية اذ ذاك بحركة استدارة في جبهاتها لتصل الى ما بين البوج والقيستول في اتجاه الشمال . ليتصور المرء منظر الموقف كما يلي : ان النصف الجنوبي من الجبهة الروسية مشطورة وهي تكاد تكون مزعزعة الاركان ، وأما النصف الشمالى الذى لم تغير وجهاته الغربية والشمالية الغربية فقد جعل وجهته نحو الجنوب ما بين القيستول وبرك برييت فهي اذن جناح جديد دفاعي قوى . ولقد كانت تحمل مجموع الجيش الروسي نكبة كبرى لو توصل جنودنا الى احداث نفرة جديدة بالمقدارهم من الشمال ووصولهم الى مؤخرة هذا الجيش .

لقد تمثلت لعقولنا من جديد الحركة الحربية التي أدت بنا الى معركة

الشتاء المازوريه ، ولكنها ربما أخذت من الاتساع في هذه المرة أعظم من تلك ويجب أن ينطلق هجومنا في هذه الدفعة ذاهباً من بروسيا الشرقية في أوجز مسافة وفي الاتجاه الذى يؤدى الى أعظم النتائج أى في اتجاه اوسوفييتز وجروندو . ولكن منطقة المستنقعات البويرية تحول في هذا القسمل أيضاً دون استمرارنا في الزحف الى الامام ، وهذا شئ عرفناه لان مدة الامطار من فصل الشتاء الماضى علمتنا اياه . فلم يبق علينا الا أن نتخير بين أحد أمرين : إما أن نهاجم من جهة هذه المنطقة الشرقية وأما من جبهة الغربية . ولكى نتمكن من ضرب خط دفاع العدو في أعماق أغواره وأربد أن أقول في الجهة التى يوجد فيها قلب الجيش الروسى يجب جعل اتجاه الهجوم للجهة المناخمة تماماً جروندو من الشرق . لقد عرضنا هذه المخططة ودافعنا عنها . فلم ينكر المعسكر العام الأكرما في هذا الهجوم من المزايا ولكنه استصوب مباشرة الهجوم من الجهة الغربية لانها أقصر مسافة واعتدنا اننا نستطيع الحصول في هذه الناحية أيضاً على نتائج جلية . فهو اذن يأمرنا بالهجوم عن طريق الناريى الأسفل . فرأيت من الواجب على العدول موقتا لاجل المصلحة العامة عن مناهضتى هذا المشروع مستظراً نتيجة هذا الهجوم ومآل هذه الاعمال الحربية . ومع ذلك فان القائد لودندورف بقى مصراً فى نفسه على التمسك بخطتنا الاولى ، على ان اختلافنا فى وجهة النظر لم يكن لها أقل تأثير على آرائنا أو على أعمالنا التالية أو على القوة التى نفدنا بها فى منتصف يوليى قرار المعسكر العام الاكبر المسؤول وحده عن مجرى الاعمال الحربية العام . وتقدم جيش جالليفتر من جانبي برزاسنيسكر متتحيا صوب الناريى . وذهبت بنهضى الى ميدان القتال لمباشرة هذا الهجوم لا بالتداخل فى الشؤون الفنية لهذه الاعمال الحربية

التي أعرف كيف أديرها يسد استاذ حاذق ولكن لجرد علمي المؤكد فما يتوقعه المعسكر العام الاكبر من الاهمية الحاسمة المترتبة على النجاح في الثغرة التي أمر بفتحها في جبهة العدو . أردت ان اكون في مكان الوقعة لأتمكن عند الاقتضاء من التداخل في الحال اذا احتاج قائد الجيش لاجل اتمام مهمته الشاقة الى وسائل اخرى اضافية تستدعي اصدار اوامر من قبلي . واقمت في الجيش يومين استطعت ان احضر اثناءهما الهجوم على برزايسنيسكر التي تبادلتها الايدي عدة مرار وكذلك حضرت الوقعة التي نشبت للاستيلاء على البقعة الكائنة في جنوب هذه المدينة . ووصل جاليفتر الى التاريف في ١٧ يولييه . وتحت ضغط الهجوم النمساوي الالمانى المنبعث من سائر نقاط خطوطه اضطر الروسيون الى التراجع شيئاً فشيئاً على سائر خطوطهم آخذين في التخلص بتؤدة من حركة التطويق التي تهددهم . فتحولت مطاردتنا اياهم الى مصارعة بين الجبهتين حالت دون تمتعنا باجتناء ثمرات هجماتنا الدامية المتوالية بغير انقطاع . فعدنا على اثر ذلك الى فكرتنا الأولى واردنا بالنظر للشكل الجديد الذي آلت اليه الاعمال الحربية ان نرحف على فيلنا من طريق كوفنولكي نلقى الجماهير الروسية الوسطى في برك برييت ونقطع عليها سبل اتصالها بقلب بلادها . ولكن خطة المعسكر العام الاكبر تقتضى ان نوالى مطاردة العدو مباشرة وهو عمل يستنفد مجهود الهازم اكثر مما يستنفد مجهود المهزوم .

في هذا الوقت نفسه تم الاستيلاء على نوفو جورجييفسك . وهذا الموقع الحصن على الرغم من تنظيمه على راس القنطرة الحزبية لم يعرقل البته الى ذلك الحين حركاتنا ، واما الآن فان استيلاءنا عليه جعل له نزلة هامة لنا لانه يسد الخط الحديدي الممتد من مالتا الى فارسوفيا . وقبل

سقوط هذا الحصن في يوم ١٨ اغسطس استقبلت امبراطورى امام
الحصن ودخلت معه المدينة بعد ذلك . وكانت لا تزال النيران مشتعلة فى
الكهانات والمباني العسكرية الاخرى التى احرقها الروسيون . وكانت
جموع كبيرة من الاسرى مجتمعة حول هذه المباني . ومن المدهش ان
الروسين قبل تسليمهم ذبحوا كل خيولهم لانهم يعلمون ما لهذه الحيوانات
من القيمة الفائقة الحد فى أعمالنا الحربية على الجبهة الشرقية . ان خصمتنا
يستعمل دائما وسائل متطرفة ضدنا ولا سيما فيما يتعلق بتدمير كل الادوات
والمواد الغذائية التى من الوجهة الحربية يمكن أن يكون لها ولو نفع طفيف
لدى أعدائهم المتغلبين عليهم .

ولكى نحصل على الاقل على حرية عملنا فى الزحف فيما بعد على فيلنا
جعلنا وجهة جيش النيسن التابع لنا من منتصف يولييه ياخذ سمت
الشرق . وفى منتصف اغسطس استطت كوفنو تحت ضربات الجيش
العاشر . فاصبحت طريق فيلنا مفتوحة ولكننا لم نكن لدينا القوات
الكافية لتحقيق فكرتنا الحربية العظيمة . ولبثت قوانا مرتبطة احتياطيا
بمطاردة تقوم بها جبهتنا . ومرت بضعة اسابيع قبل وصول التعجلات
المرسلة إلينا . غير ان الروسين استمروا خلال هذه الفترات يتراجعون
نحو الشرق ، ولم يحجموا عن التخلي عن كل شيء حتى فارسوفيا فى سبيل
التمكن من انقاذ السواد الاكبر من قواهم .

لم يتهيأ لنا الزحف على فيلنا الا فى ٩ سبتمبر . وربما استطعنا أن
نحصل على شيء من التنازع الكبرى فى هذا الاتجاه . لقد سقط بين أيدينا
مئات الالوف من اسارى الروسين . اذا كانت قد اجتمعت الآمال العظيمة
مع الضئير والقلق فى قلب رجل ما فى يوم واحد فيلا شك انه قلبى فى

تلك اليوم . ا يكون وصولنا بعد افلات الفرصة ؟ وهلا نزال أقوياء ؟ ومع ذلك فما الذي يهمننا ! فلنواصل زحفنا على فيلنا ثم نجه بعدا الى الجنوب ! برثمت تضع أفواج فرساننا ابدنها على شريان التمرين الروسى . فلو قبضنا عليه لم يهلك السواد الاكبر من قوى الاعداء . فأدرك خصمنا الخطر وبذل كل مستطاعه لصرفه عنه . فحدث صراع هائل فى اجوار فيلنا . وكانت كل لحظة تمر على العدو يتمكن فى خلالها من انقاذ قسم عظيم من جيوشه التى اخذت جموعه تنحسر نحو الشرق . فاضطرت فرساننا الى الانثناء امام القوى المرتبة عليها . فاذنت تحت الطريق ثانية امام الروسين الى عاصمة بلادهم . لقد وصلنا بعد فوات الوقت وبعد اضمحلال قوانا . ولست واحدا اذا اعتقدت ان اختلاف الآراء فى مشروع المعسكر العام الاكبر وشروعنا سيكون له شأن تاريخى . ولكن يجب فى البحث الانتقادى فى خطط المعسكر العام الاكبر عدم اغفال منظر مجموع الحرب . اما نحن فلم نكده نرى فى ذلك الوقت سرى جزء من هذا المنظر . فهل كنا نخطط غير تلك الخطة ونندم على غير ذلك العمل لو كنا مطلعين على الحالة العامة . فمن وجهتها السياسية والحربية ؟ هذه مسألة لا يمكن البحث فيها .

لوتزن

أريد أن أنخطى خطارة النار بين الآراء لاصل الى الجانب الارفه من حياتنا الحربية التى قضيناها فى عام ١٩١٥ باستمادة ذكرى لوتزن الى مخيلتى .

أن هذه المدينة اللطيفة الصغيرة الناهضة فى وسط بحيرات واجمات وقلع متناثرة قد اتخذناها معسكراً عاماً لنا عندما ابتدأت معركة الشتاء

المازورية . فاستقبلنا سكانها الذين تخلصوا من الخطر والترويع الروسيين استقبالا وديا مؤثرا فلهمنا لا أزال أتذكر الأوقات التي قضيتها في بعض الضياع المجاورة للمدينة التي كنت أصل إليها في أقصر مدة كلما «محت» إلى الحالة الحربية بساعات أخذ فيها إلى الراحة والترويض . ولم تكن رياضة الاصطياد النبيلة أقل الملاذ قيمة عندي ، فبفضل كرم أخلاق صاحب الجلالة ترامت قذائف بندقيتي فاردت طرائد متوفرة الجسم في المصادر الملكي بمجة نيمونيين على شاطئ كوريشيس — هاف .

وحينما أخذت السكنية تنتشر بالتدرج على جبهتنا أثناء فصل الربيع لم نخل من زيارات خصصنا بها زوار من كل القئات . ولقد حدث مثل هذا فيما بعد خلال فصل الصيف : فكان بين الزائرين أمراء ألمانيايون ووزراء واقتصاديون وموظفون من سائر الإدارات وكلهم أقبلوا لمقابلتنا مدفوعين بالاهمية التي أحرزتها الولايات الشرقية منذ نشوب هذه الحرب مع أنها قليلا ما كانت تزار من قبل . وأقبل إلينا كذلك رسامون لتخليد ذكرنا القائد لودندورف وأنا باللات رسمهم وهو شرف أيدينا عن طيبة خاطر ان تتقبله على الرغم من التلطف والبراعة اللذين أظهرهما هؤلاء الأفاضل استفيد بساعات فراغنا القصيرة . ولم تتأخر البلاد المحايدة عن إيفاد ضيوف إلينا . وهذه المناسبة هي التي مكنتني من معرفة سفين هيدبن الرحالة الاسيوى المشهور جداً والصدى الحميم لألمانيا وإيفائه حقها من الحفاوة والاكرام .

وبين الوزراء الذين زارونا في لوتزن أخص بالذكر المستشار في ذلك الوقت بيتان — هولويج والاميرال الاكبر فون تيريتز . وقد سنحت لي الفرصة من قبل أثناء الشناء المتداخل في عامى ١٩١٤

و ١٩١٥ بان اسلم في معسكرى العام ببولونيا على المستشار . وكانت زيارته متأية من مكارم أخلاقه على الاخص لا بباعث سياسى . ولا أتدكر أننى خضت معه فى موضوع سياسى فى المحادثات التى دارت بيننا حينئذ . واكنى اعتقدت اننى أمام رجل حازم ذى ضمير قوى . وكانت أفكارنا على تمام الاتفاق فيما يختص بمقتضيات الحرب وعلى سائر النقط الجوهرية فى ذلك الحين . وكان يستخلص من كل تصريحات المستشار شعور شديد بالتبعات الكبرى الملقاة على عاتقه . والى هذا الشعور أعزوما عرانى من اعتقاده فى الحالة العامة بصفتى جندياً اذ داخلنى شىء لا يستخف به من القلبى ثم فيما بعد شىء من قلة الثقة .

ان التأثير الذى شعرت به فى بوزن تأيد فى لوترن .

وذلك ان القائد البحرى العظيم القون تيربيتز الذى كان فى ذلك العهد مرشحاً فى الغالب لان يكون الخلف المقبل لبيتان هولويج وهو ذو شخصية من طراز آخر أفضى الى فى أننا . رياضة خلوية طويلة بكل الآلام التى يعانىها قلبه المقعم بالوطنية المثلبة ولا سيما بصفته قلب بحار . فهو يجد من الفضاضة على نفسه أن يبصر السلاح الحربى الماضى الذى صرف فى صنعته أجمل أعوام حياته جامداً فى الثغور الالمانية . حقيقة انه كان من الصعب جداً على أسطولنا ان يتخذ خطة الهجوم ولكن هذا الموقف لا يمكن أن يتحسن مع مرور الوقت . ومن رأى أن الشهور المتناهى فى شدته التى تأثرت به الثغور البريطانية من اعتقادها بامكان ازال جنود المانية على السواحل الانجليزية كان مبرراً للقيام بحركة عظيمة من جانب أسطولنا بل أقول انه يبرر تقديم ضحايا عظيمة . فحمل القيادة الانجليزية على ابقاء مقادير جسيمة من جنودها محافظة على شواطئها من الإغارة المتتظرة

والتوصل بهذه الطريقة الى ايجاد تخفيف عظيم عن كواهل جيوشنا كان في رأبي نتيجة لما يمكن انتظاره من حمل أسطولنا على اتخاذ خطة الهجوم. لقد قيل اذ ذاك ان سياستنا أرادت أن تحتفظ بما استطاعت بان يكون لها أسطول سليم اذا حدث شروع في التوسط لاجل عقد الصلح . ان مثل هذا التقدير فاسد برمته لان آلة الكفاح التي لم تعرف مزينة استعمالها أثناء الحرب هي بالمثل عامل لا شأن له أثناء مخبرات الصلح .

وفي ربيع عام ١٩١٦ تحققت أمنية القائد البحري الكبير . فظهرت معركة سكا جيراك باهر ايضاح مبلغ كفاءة اسطولنا .

ولقد قال لي القون تريبيتر أيضا ما يعتقد في مسألة حرب الغواصات . فكان من رأيه اننا استعملنا هذا السلاح آلة تهديد في غير الوقت المناسب واننا فيما بعد حينما توجسنا خيفة من موقف رئيس الولايات المتحدة عمدت كذلك في غير الوقت المناسب الى القاء هذا السلاح الذي أرهفناه في وسط الصيحات الجريية العالية التي صرحناها . والتصريحات التي افضي الى بها اذ ذاك هذا القائد البحري الكبير لم يكن لها أقل تأثير في الموقف الذي اتخذته فيما بعد في هذه المسألة . لقد مر عام ونصف عام على هذا الحديث قبل ان يطلب رأبي القطعي في هذا الصدد . وفي خلال هذه الفترة الزمانية كان مركزنا الحربيين من جهة قد طرأ عليه تغير تام ضد مصلحةتنا ومن جهة اخرى فان الاعمال التي كان ينتظر قيام اسطولنا بها من جهة غواصاته قد أربت على التضعف كثيراً .

كوفنو

انتقل معسكرنا العام في اكتوبر ١٩١٥ الى كوفنو في بلاد الدندو المحتلة.

واضطرب رئيس اركان حربى ان لا يقتصر على تأدية عمله المعتاد فقط بل ان يشتغل كذلك بسائر المسائل المختصة بإدارة البلاد التحتية وإعادة تنظيمها واستثمارها لاجل تموين جنودنا وشعبنا وسكان هذه البقاع . ان ترتيب هذه المسائل كاف لان يستغرق بمفرده قدرة اى انسان على العمل . الا ان القائد لودودورف اعتبر هذه الاعمال الجديدة كمهمة إضافية على عمله المعتاد ، فاضطلع بها بقوة ارادته على العمل التى لاتهن والتى هي مميزة خاصة به .

وقد عنت لى الفرصة التى اجوب فى خلالها غابة بجالوفجيس فى فصل الشتاء الهادى المتداخل بين عامى ١٩١٥ و ١٩١٦ . الا ان طرائد الصيد كانت لسوء الحظ قد اصابها عنت الحرب . فان الجنود العابرين والفلاحين المعتدين على المصائد قد افنوا الشطر الاعظم منها . وعلى كل حال فقد استطعت خلال رياضة صيدية بديدة فى يناير من عام ١٩١٦ استغرقت اربعة ايام فى المركبات وفى الزاحفات ان التصيد خمس طرائد . وكانت ادارة هذه البقعة الحظوة بالاجمات موكولة الى عهدة مفتش الغابات البفارية ايشيرنج الحارب الحبير فعرف بمهارته الفائقة ان يستفيد من موارد هذه الغابة الخشبية القياضة بدون ان يصبها باقل ضرر .

وفى خلال هذا الشتاء نفسه تنقذت بالمثل غابة اوغوستوفو . فأعدت لى حفلة صيد ذئاب انتهت لسوء الحظ على غير جدوى لان الذئاب آثرت ان تلجأ الى الاماكن التى لا يصل اليها مرمى بندقيتى . ولم أر من آثار معركة شهر فبراير الماضى الاختناق . وفيما عدا ذلك فقد ازيلت من الغابة أو على الاقل من القسم الذى وجدت به كل معالم القتال . واحتفلت فى ابريل ١٩١٦ فى كوفنو بمرور خمسين عاما على التحاقى

بالخدمة فقد عن لى ان أحمد الله واشكر امبراطورى ومايكى — الذى
منحتنى بهذه المناسبة تذكاراً لطيفاً — اثناء تفكيرى فى نصف القرن الذى
استطعت فى اثنائه ان أخدم مليكى ووطنى سواء فى وقت الحرب أو فى
زمن السلم .

فى غضون صيف ١٨١٢ عبرت فصائل عديدة من الجيش الفرنسوي
نهر النييمن عند كوفنو وهى متجهة نحو الشرق . فحركت ذكرى هذا
الماضى والحائمة التى انتهت بها تلك الحملة الجريئة فى نفوس أعدائنا الامل
فى ان يروا جنودنا مصابين هم أيضاً بالجوع والبرد والأمراض فى وسط
هذه البقاع الواسعة الخائبة بالأجسام والمستنقعات كما أصيبت تلك الجيوش
المجيدة التى يقودها ذلك الكورسكى العظيم . وربما كان أعداؤنا يتوقعون
لنا هذه المجاعة لهدئة جماهير عوامهم الذين لا يستطيعون تحريك عقولهم إلى
مثل هذا الصدد أكثر من اعتقادهم هم أنفسهم بإمكان حذرهم . وعلى كل
حال فان متاعب مسألة تموين جنودنا فى الشتاء المتداخل بين عامى ١٩١٥
و ١٩١٦ لم تكن من البساطة الى حد القائها فى زاوية التسيان . وهل لم
نكن نعلم فى أية بقاع مقفرة بالنسبة لنيها على الرغم من اتساع نطاق المدينة
وفى اية بقاع مطروقة غالباً بالامراض المعدية نحن مقدمون على قضاء فصل
الشتاء ؟

سير القتال من 'بداية ١٩١٦ الى نهاية أغسطس

الهجوم الروسى على الجبهة الشرقية الالمانية

لم تاتهِ سنة ١٩١٥ على اركان حربنا باصوات الظفر المتمنى العذبة
المطربة . فان النتيجة النهائية للاعمال الحربية والملاحم التى حدثت فى

العام المنقضى لم تنلنا جميع مقاصدنا . لقد أفلت الوبى من الشباك
التي كننا نريد اقتناصه بها ، وإذا كانت دماؤه قد سالت من أكثر من
جرح واحد فان الطعنات التي أصابته لم تكن قاتلة . لقد استأننا في
الانصراف وهو ينهال علينا بيلكمات وحشية . فهل أراد افهامنا بهذا العمل
أنه لا يزال حاصلا على قوة كافية للاستمرار على ازعاج حياتنا ؟ لقد
مثلت ازاء عقولنا اذ ذاك الفكرة الآتية وهي أن الخسائر التي دبت بها
الروسيون في الرجال والادوات وسائر الاشياء المادية بلغت من الحسامة
مبلغاً يجعلنا نظل مطمئنين مدة طويلة على جبهتنا . وبسبب التجارب
التي اكتسبناها من الحوادث الماضية لم تلق هذا الرأي الا بعدم الثقة
وقد اظهرت الحوادث المتعاقبة فيما بعد ان الارتياح الذي ابدنناه كان
في محله .

أنتا لم نستطيع أن نقضى فصل الشتاء نفسه في هدوء مناسب . لقد
رأينا الروسى يفكر في كل شيء بدلا من اخلاذه الى السكون . فعلى امتداد
كل الجبهة الالمانية بل وأبعد منها أيضاً تحق الجنوب كانت الحركة العظيمة
مستولية بغير انقطاع على خطوط الاعداء بل على مؤخراتهم أيضاً . ولقد
استحل علينا في بادىء الامر أن نرفع ولو طرفاً يسيراً من النقاب عن
وجه النوايا التي تنوى القيام بها القيادة الروسية . ومن رأيي ان جهات
سمورجوى ودونا بورج بريفا كانت أشد خطراً علينا من سواها لان
الخطوط الحديدية الروسية ذات المواصلات العظيمة تنتهى الى هذه
الانحاء . ولكن لم تبد علامات من مدة طويلة تدل على رغبة العدو في
القيام بهجمات من هذه النقط الثلاث .

ان حركات العدو في مؤخراته كانت شديدة الوضوح وظلت دائماً

كذلك . فقد بدأت أعمال التمرد والعصيان من جراء الطريقة القاسية التي عوملت بها الفرق المسحوبة من الجبهة لان الجنود كانت تفقد قلوب قوت من الحديد .

وفي فترة الهدوء حدثت مقارنة بين القوى المتقابلة في الميدان على اختلاف أنواعها فكانت النتيجة في منتهى السوء بالنسبة لنا . اذ كانت كل فرقة من الفرق التي على جبهتنا (وهي مؤلفة من تسعة طوابير) تقابلها فرقتان أو ثلاث فرق من الروسين (أي من اثنين وثلاثين طابوراً الى ثمانية وأربعين طابوراً) . فلا يوجد ما يدل اوضح دلالة على مقدار الجهود التي تتطلب من جنودنا القيام بها كهذه الفروقات الهائلة التي تجعل مجهودات جنودنا اضعاف مجهودات جنود الاعداء . وهذه الفرق لها بالطبع شأن عظيم لا في ساحة القتال فقط بل ايضاً في الاعمال التي يجب ان يؤديها جنودنا يومياً . وما اعظم ما اتسمت دائرة هذه الاعمال على اثر الاتساع الهائل الذي شغلته جبهاتنا في ميادين الصدام ! فانشاء المعقل والطرق وتشيد المتكلمات والمخازن الخشبية والاعمال التي لا تحصى التي يستدعيها تموين الجنود بالمواد الغذائية وامدادهم بالمواد الحربية وادوات البناء الى غير ذلك ، كل هذه الاعمال تتطلب مجهودات عديدة هائلة حتى ان لفظة « راحة » لم يكن لها اي مدلول في اغلب الاحيان لدى ضباطنا وعساكرنا . ومع ذلك فان حالتنا جنودنا النفسية والصحية كانتا على غاية ما يرام . فاذا لم تكن الخدمة الصحية عندنا قائمة بواجباتها خير قيام لما تمهيا لنا للاسباب المتقدمة ان نواصل القتال كل هذه المدة الطويلة . وعندما يدرس مجموع المستندات درساً علمياً محكماً فان عمل القسم الطبي لدينا مدة الحرب سيظهر في شكل صحيفة بحد خاص بالعمل العقلي الالمانى وسيكون

دليلاً قطعاً على ثباتها في القيام بعمل جليل ، وهذا العمل يمكن استخدامه ان ذلك على وجه الاحتمال في فائدة الانسانية جمعاء .

ومن منتصف فبراير بدأ نشاط واضح يظهر في جهة بحيرة نارووكز وجهة بوسنافي . فتجهزت العدو للهجوم الذي ينوى القيام به في هذين الجبهتين من الجبهة بدأت تستخلص بوضوح اتم على التوالي من المعلومات التي تلقاها . ولم ارد ان اصدق في بادىء الامر ان الروسيين يتخيرون لها جمتنا امثال هذه الجهات المتناحية من اهم خطوطهم التحديدية وفضلاً عن ذلك فانها جهات لا تضمن لجيوشهم الا ما كن الواسعة التي تستطيع ان ترد فيها بمتبى السهولة ولا تدع للقيادة الروسية بسبب طبيعة الارض الا قليلاً من حرية العمل من الوجهة الفنية العسكرية . والحوادث التالية عرفتني كيف يتأني غالباً حدوث ما لم يكن متوقفاً حدوثه .

فبينما الروسيون مجهزون معداتهم لم يكن احدهم يتدبر حق القدر طوفان احتشادهم الهائل . فما كان يخطر لنا على بال اننا بالسبعين طاووراً التي استطعنا أن نجتمعها بالتدريج في جهة بحيرة نارووكز سنتمكن من مقاومة كل المجموع الروسي الذي احتشد امامنا ومتسدره ثلاثمائة وسبعون طاووراً . ولكن هذه المنازلة الماثلة بين اعداد الطواير لا تبدي سوى صورة غير واضحة للحالة الحقيقة كما يدل على ذلك بيان دقيق لهذه المعركة وضعت قواعده على التصريحات المستمدة منا مباشرة ، فالولا ان مجموع عساكر كل جانب لم يشترك دفعة واحدة في اليوم الاول من المعركة ثم ان الفرق الروسية لم تهاجم القوات الالمانية بقوة واحدة متساوية في سائر الجبهة بل تجمعت على الاخص في شكل مجموعتي هجوم قويتين امام جناحي فيلق الفون هوتير . فاما المجموعة الشمالية فتألف من سبع فرق من المشاة

وفرقتين من الفرسان ممتدة ما بين موسهايك وفيلاني ازاء قطاع بوسناف الذي لم يكن غمياً باربعة طوابير الماشية ، ومجموعة الجنوب كان همها أن تخترق بمان فرق من المشاة وقوزاق الاورال السد الكائن ما بين بحيرة ناروكز وبحيرة فيسزليز وهو السد الذي تقوم على حراسته فرقانا ٧٥ لاحتياطية والتاسعة من الفرسان . فتدل المقارنة على ان القوات المتقابلة في ميدان القتال مائة وثمانية وعشرون طابورا من الروسين ازاء تسعة عشر طابورا المانيا .

وابتدا الهجوم الروسي يوم ١٨ مارس بعد تمهيد بالمدفعية لم تر الجبهة الشرقية له مثيلا في الشدة من قبل ، ثم اندفعت الافواج الروسية كمد من الامواج لانهاية له هاجمة على معارقلنا المحتلة احتلالا ضعيفا . ولقد كان من العيب ان تدفع المدفعية الروسية والمدافع الروسية الرشاشة المشاة الروسين نحو الخطوط الالمانية ، بل من العيب ان تحصد جنود الاعداء الاحتياطية خطوطهم المتقدمة عند ما تراجع هذه او تطلب النجاة من السنة نيراننا المهلكة . وتراكم الموتى والجرحى من الروسين امام جهتنا في شكل ربوات حقيقية . وفي الحقيقة ان الجانب المدافع اضطر هو أيضا بالمثل الى بذل مجهودات لم يسمع بمثلا . وقد ذاب الجليد فلا الخنادق بالماء وحول المترايس التي كانت تستر ازمة الى وحل سائل : وبهذه الطريقة تحولات ساحة القتال بأمرها الى برهة متواجسة الامواه . وشعر الجنود المدافعون وهم مغمورون في خنادقهم بالمياة الثلجية بتورم سيقانهم واصابتها بعطل كبير يكاد يمنعها من الجرائد . ولكن هذه الاجساد لبثت تحتفظ بالمقدار الكافي من قوة الحياة ومن الرغبة في الكفاح لدفع هجمات العدو المتوالية بغير انقطاع . بل لقد كان من العيب ان يستمر العدو على تمهيد

هجماته وتقديم هذه الضحايا الجديدة : واستطعنا ان نجيب بدافعنا
الابطال في معترك بحيرة ناروكز حينما وثقنا بالظفر ابتداء من ٢٥ مارس .
وصدر بلاغ في اول ابريل ١٩١٦ اشتركتنا في تحريره يتضمن انتهاء
المركة على الوجه الآتي :

« ان الامر الآتي الصادر بتاريخ ٤ (١٧) مارس رقم ٥٣٧ من القائد
العام للجيش الروسى الخيمة في الجبهة الغربية يوضح أي غرض عظيم
أراد ان يحصل عليه ذلك الرئيس من الهجوم الذى قام به .
« ياجنود الجبهة الغربية !

« لقد عرفتم مسعى العدو في زحفه الى الامام منذ ستة أشهر حينما
كنتم لا تملكون الا النذر الطفيف من البنادق والرصاص ، وبعد أن منعت
تقدمه فى قطاع مولوديتشينو حينما أراد اختراقه حلتم فى مواقعكم الحالية .
« فخلالة القيصر والبلاد ينتظرون منكم اليوم عملا جديداً أمن أعمال البطولة
وهو أن تطردوا العدو من أراضى الامبراطورية ! فحينما تصبحون غدا على
استعداد للقيام بهذه المهمة فاننى مقتنع بناء على الوثوق بشجاعتكم واخلاصكم
للقصر وبمحبة الشديدا لوطنتنا بانكم ستؤدون واجبكم للقيصر وللبلاد وتحذرون
احوانكم من نير الاعداء الثقيل الذى يتألمون منه . ليؤيدنا الله فى مهمتنا
المقدسة ! »
مساعدة القائد العام

« الامضاء ابغيت »

وفى الحقيقة ان كل انسان يعرف البلاد الروسية بمجد من المدهش
حدوث هذا الهجوم فى فصل ينتظر فيه من يوم الى آخر ان يطرا على هذا
الهجوم ما يعرفه من ذوبان الجليد . فيوجد حينئذ ما يحمل على الفئان القيادة

الروسية باختيارها هذا الوقت لم تعمل بمحض ارادتها بل انصاعت لحكم الضرورة القاضى باسمه ف حطيفة في حلة الحرج والبؤس .
وفي مستهل ابريل اعلنت المصادر الروسية الرسمية ان تعطيل الحركات الحربية ناجم عن تغير طبيعة الطقس فقط : وهذا التصريح لم يمتو الا على نصف الحقيقة . والخسائر التي أصيب بها العدو مرجعها الى هزيمته أكثر مما ترجع الى ذوبان الجليد . وتباغ هذه الخسائر ١٤٠٠٠ رجل . وكذلك كان بلاغ المعسكر العام الاكبر الروسى يصير أقرب الى الحقيقة لو أنه بدلا من قوله أن الهجوم الروسى العظيم أخفق في البرك قال انه غاص في مياه البرك وبرك الدماء .

وأني لمورد هنا الجملة الآتية كخلاصة لما تقدم وهي مستمدة من رسالة خاصة وضعها ضابط ألماني عن وقائع ربيع سنة ١٩١٦ :

« لم يكدمضى شهر على استعراض القيصر الروسى في جبهة بوستافى فرقه المعدة للهجوم حتى أقبل المارشال هندنبورج الى الجبهة لشكر آلاياته الظافرة . لقد عطف المارشال على جهات نخيرنجاكى وكوماي وجودوفزى وسفيرانى وكويلنيك على بضعة كيلو مترات تكاد تكون مطار عصفور من المكان الذى تم فيه الاستعراض القيصرى ليخطب في وفود الجنود الناسلة من سائر أنحاء الجبهة وليوزع على ذوي الجدارة أوسمة الصليب الحديدى . وقد التقى الرئيس الكبير ورامى القذائف اليدوية البسيطة هنيئة وجيزة ووجه كلاهما متهلل في وجه الآخر ويد احدهما في يد الثانى والعيون تنساظر وقد امتلأ عينا كلاهما من الآخر ثقة . وكانت شمس الربيع الضاحكة تنير مواقع المارشال هندنبورج كما كانت تضيئها شمس الانتصار الباهر . . . »

فهذا كل ما كان نصيبى من الاشتراك فى مشترك بحيرة ناروكر .

الهجوم الروسى على الجبهة النمساوية الشرقية

« فردان ! » من ابتداء فبراير كثر تردد هذا الاسم على الألسنة عندنا فى الجبهة الشرقية ! ولم يجرأ أحد على التلفظ به الا بصوت خافت ، وفى الخفاء ! وكانت اللهجة التى ينطق بها يتخللها الشك والبعد ! ومع ذلك فان الاعتقاد فى الاستيلاء على فردان لم يزل عظيماً فاخذ فردان هو تثبيت دعائم مركزنا فى سائر الجبهة الغربية . بل هو القضاء على خط الضغط على أهم نقطة حساسة وقابلة للانثلام فى جبهتنا . أن الحصول على هذا الحصن يتيح لنا وسائل فنية جديدة تفتح لنا طريق الجنوب وطريق الغرب . ومن رأى أن أهمية هذا الموقع الحربى فى المكانة التى أوجبت محاولة اقتحامه . وكان من السهل جداً وقف العمل الحربى فى الوقت المناسب اذا أثبت أن سقوط هذا المكان الحصين مستحيل أو ان الضحايا التى يتطلبها هائلة جداً . ثم ألم نغز مراراً عديدة منذ ابتداء الحرب فى أمور كانت ادعى الى الجرأة وأبعد عن احتمال الحدوث من القيام بهجمات على مواقع محصنة ؟

ومن أواخر فبراير لم يعد النطق باسم فردان من الامور السرية بل صارت الافواه تنطق به بصوت جهورى مشوب بالإعجاب . وفى وقعة فردان هذه كان اسم دواومون يتلأأ كنبراس للبطولة الالمانية ، نبراس يستضاء به من الجهات القصية فى الجبهة الشرقية ، اذ زاد فى شجاعة أولئك الذين يتبعون بحيرة وجزع نماظم الحوادث الجارية حول بحيرة ناروكر . ومع ذلك فيجب الاعتراف بان مهاجمة فردان كانت تنبهه فينا شعور التألم :

لأنها تدلنا على العدول نهائياً عن السعى للبت من الوجهة العسكرية في الجبهة الشرقية .

وفي بحر الاشهر التالية صار النطق باسم فردان مقروناً بنوايا متباينة . فبدأت المعارضات تتقلب شيئاً فشيئاً ولكن لم تحدث المجاهرة بها الا نادراً . ويمكن تلخيصها باليجاز في الاسئلة الآتية . لماذا الاستمرار على هجوم يتقاضى ضحايا لا تحصى ، وهي ضحايا اظهرت بنفسها عبث هذه المجازفة ؟ والم يكن من المستطاع بدلا من هذا الهجوم الجبهي الموجه ضد الشطر الشمالى من جبهة الدفاع عن فردان ، وهي جبهة مرتكزة على اعمال خالدة القيام بعمل حربي قطاعي نستخدم فيه خط جبهتنا الكائن ما بين الاريجون وسان ميشيل ؛ أن المستقبل وحده هو الذى يستطيع أن يقول بعد الاستقراء العادل اذا كانت هذه الاعتراضات على أساس .

وفيما بعد انضم الى اهم فردان اسم آخر وهو اسم « ايطاليا » الذى تداولته الألسنة لأول مرة بعد حركة بحيرة تاروكز . وكان التلغظ بهذه اللفظة مشفوعاً بالارتياب ، بارتياب أعظم بكثير وأقوى من الريبة التى كانت تصحب كلمة فردان ، بل كانت تلتفظ بالانزعاج القطيع العظيم لا بالارتياب فقط . أن خطة الهجوم النمساوى المجرى على ايطاليا جريئة ومن هذه الوجهة يمكن الادعاء بان الهجوم قرن بالتجاذع العسكرى ، ولكن الذى يجعلنا نفقد أن هذه الخطة متجاوزة حد الجرأة هى قيمة الآلة التى يصير تنفيذ الخطة بها . فاذا ما رامت أعظم الجنود النمساوية المجرية التى ليست النمسا والجر هما فقط اللتان تنظران اليهم نظرات الثقة والاعجاب بهم بل تشاطرها فى هذه النظرات المانيا فى الاغارة على ايطاليا ذا الذى يبقى لصد روسيا ؟ أن هذه الدولة لم تكن قد تضعضعت كما كان يظن

ذلك في أواخر عام ١٩١٥ . فعلى ضفاف بحيرة ناروكن تراهى من جديد
الاقدام الروسى في أقوى مظاهره مصحوباً بالخسونة والصلابة اللتين
ظهرت أمامهما وحدات نمسوية بحرية عديدة مختلطة اختلاطاً شديداً
بعناصر سلافية في مظهر قلة المقدرة على المقاومة .

وأخذ قلقنا يزداد من يوم الى آخر على الرغم من تقارير الانتصار
الواردة من إيطاليا . والحوادث التى حدثت فيما بعد في جنوب البرييت
دللتنا على ان هذا القلق في محله . ففي ٤ يونيو تداعت أركان الجبهة النمسية
المجرية الكائنة ما بين فولهينيا وبوكوفينا تحت تأثير الصدمات الروسية
الاولى . فبدأت أخطر أزمة حدثت على الجبهة الشرقية . وهذه الأزمة
أعظم خطراً أيضاً من أزمة سنة ١٩١٤ . لانه لم يكن موجوداً في هذه
المرة في أية جهة من الجهات جيش المانى ظافر مستعد لان يتوسط هذه
المعصنة لتلافى الحالة ، اذ في الجبهة الغربية كان الكفاح مستمراً حول
فردان ، وفي السوم يهددنا هجوم جديد .

لقد امتدت أمواج هذه الازمة حتى بلغت جبهتنا ولكن من حسن
الحظ لم يكن وصولها اليها على شكل هجوم روسى . بل اقتصر على اضطرابنا
الى ارسال نجدات الى أشد النقاط خطراً

ولم يخفف الروسيون قواهم امام الجبهة الالمانية لانهم أحرزوا أول ظفر
في جنوب البرييت لا يتقدمهم جموعاً كثيفة كما هم بل بقوات ضئيلة . » ان
خطة بروسيلوف يجب اعتبارها كمجرد استطلاع جرى على جبهة عظيمة
وما هو هجوم يرمى الى غرض محدود . . . ان مهمة بروسيلوف قائمة
على عجم عود الصلابة المتشعبة بها خطوط الاعداء على جبهة تمتد الى نحو
٥٠ كيلو مترا بين البرييت ورومانيا . ويشبه بروسيلوف في عمله هذا

رجلا يقرع جداراً ليتبين الاماكن المشيدة منه بالصخور والاماكن الخائر بناؤها . « فهذا هو الوصف الذي نعت به أحد الجانب المعركة التي افتتحها بروسيلوف في أول يوم نشبت فيه . وقد قال هذا الاجنبي الحقيقة المؤكدة .

على ان الجدار المسوى المجرى لم يكن فيه الا القليل من الصخور الصلبة ، فقد انبجج تحت طرقات مطرقة بروسيلوف وامتدت أمواج الجماهير الروسية مرتية في الثغرة المنبججة . ففى هذا الوقت فقط انتزعت هذه الجموع من امام جبهتنا وانتقلت نحو الجنوب . فأن يمكن وقت سيرها ؛ لم يبق في وسط هذه البركة سوى دعامة واحدة ناهضة . وما هذه الدعامة إلا جيش الجنوب الذي يقوده قائد بارع وهو الكونت بوتمر . وقد امتزجت في هذا الجيش العناصر الالمانية والنمسية والمجرية امتزاجاً متيناً وتشبعت بالنظام والطاعة الباهرين .

كل القوى التي أمكن اقتطاعها من جبهتنا الشرقية الواسعة نقلت بالسكة الحديد الى الجنوب واختفت في أفران سباحات القتال المنتشرة في غاليسيا ولكن الحالة شاءت بالمثل في الجبهة الغربية . فقد أخذت قوى انجليزية فرنسية أغزر منا تندفع من جانبي السوم على خطوطنا الضعيفة وتتغلغل في جبهتنا ! بل لقد كنا مهدين مدة من الزمن بالانشطار التام !

ولقد استدعانا هليكي الجليل مرتين رئيس أركان حربى وأنا الى معسكره العام في بليس لاستشارتنا في حالة الجبهة الشرقية . ففى خلال المرة الثانية أى في آخر يولييه صار البت في تجديد ترتيب القيادة في الميدان الشرقى . فباسم التعويض عن المساعدة التي أدیناهل للنمسا والمجر على الرغم من نشوب معتركى فردان والسوم تطلب المعسكر العام الاكبر الالمانى من هذه

الدولة ادخال أحسن نظام على قيادة الجبهة الشرقية . ولقد كان محققاً في طلبه . فنجح عن هذا الامر ان امتدت منطقة قيادتي الى جهة بروديا في شرق ليمبيرج وبذلك دخلت أعداد كبيرة من الجنود النمساوية المجرية تحت امرتي .

وفي الحال زرنا قواد الجيوش الجدد الذين صاروا تحت امرتنا وقبولنا أحسن استقبال من أعضاء القيادة النمساوية المجرية الذين اقرؤا بصراحة بجوانب الضعف فيهم . ولكن هذا الاعتراف لم يكن عاماً ولم يصبح بحماسة تساعد على ناعاش قوى الضعفاء . ومع ذلك فان هذا الجيش المختلفة عناصره كان في اشد الحاجة لان تقوده ارادة مطلقة ومشيتة فردة وبغير ذلك فان الدماء الذكية تتدفق عبثاً في هذه الشرايين العاطلة التي تتدفق دماؤها هي أيضاً عبثاً .

ولقد دعاني اتساع نطاق قيادتي الى نقل معسكرى العام الى الجنوب واقامته في بريست ليتوفسك . فهناك صدر لي أمر جلالة الامبراطور في يوم ٢٨ أغسطس بالشخص حلاً الى المعسكر الاكبر وقد قال الى رئيس المكتب العسكري اجلالته وهو يحاطبني بالتلفون توضيحاً لهذا الاستدعاء « ان الموقف خطير . »

فوضعت الساعة واما افكر في فردان وايطاليا وروسياولف والجبهة النمساوية وفي انبأ النواصل الينا حديثاً وهو : « اشهار رومانيا الحرب علينا . » يجب أن تكون الاعصاب قوية .

القسم الثالث

من تعيني رئيساً لأركان حرب الجيوش

المحاربة الى تلمين الروسية

تعيني في القيادة العليا

رئيس أركان حرب الجيش المقاتل

ليست هذه أول مرة استدعاني فيها امبراطوري ومليكي اليه لمباحثي في الحالة العسكرية وفي خصائص الاعمال الحربية .
لقد ظننت ان جلالته استدعاني هذه المرة أيضاً الى بليس لاوضح له رأيي الشخصي في مسألة محدودة . ولاعتقادي بانني لن أقيم في المسكر العام الا كبرالامدة قصيرة لم استصحب سوى ما مست اليه الضرورة من الامتعة .

ووصلت في صبيحة ٢٩ اغسطس الى بليس ومعى رئيس أركان حربي . فاستقبلني على المحطة من قبل الامبراطور ورئيس المكتب العسكري . وكان أول ما أنباه الي ان جلالته عازم على اسناد وظيفتين ساميتين اليه

القائد لودندروف وأنا .

والتقيت امام قصر بليس برئيسى الأعلى الجليل : وكان في انتظار جلالة الامبراطورة القادمة من برلين والتي تصل الى بليس بعد قليل من وصولي . فسلم على الامبراطور في الحال وهو يلقينى برئيس أركان حرب الجيش المقاتل ، وسلم على القائد لودندروف بتلقيه برئيس المعسكر العام . وكذلك قدم المستشار من برلين ولم يكن أقل من دهشاً عندما أعلمه صاحب الجلالة أمانى بتعيينى رئيساً لأركان الحرب . وإنما ذكرت هذه الامور لغرض الألسنة في شأنها كثيراً .

وبعد قليل سلم لي الاعمال سلمى القائد القون فالسكهناين وعند ذهابه صافحني قائلاً : « ليساعدك الله وليعضدك الوطن ! »

لم يعلمنى جلالة الامبراطور لا حين استلامى اعمالى ولا فيما بعد . بسبب هذا التعيين الفجائي لانه كان لا يزال حافظاً أجمل ذكرى لسلمى . وما حاولت ان اتعرفها لاني لم أعود على مثل هذه الابحاث التي ليس لها سوى فائدة تاريخية ، وبالأحرى اننى كنت اذ ذاك أحوج الى وقت اقضيه في العمل بدلا من قضائه في امثال هذه المسائل لان الاوامر كانت تتابع لا ما بين يوم وآخر بل ما بين ساعة وأخرى .

الحالة العسكرية في آخر أغسطس ١٩١٦

كانت الحالة العسكرية كالآتي عند استلامى شؤون وظيفتي : كانت الحالة مستوجبة للقلق على الجبهة الغربية . فان فردان لم تسقط . وكما نظن ان قوة فرنسا العسكرية ستضطرب على الاقل في قوس النيران الحامية الملتف حول جهتي فردان الشمالية والشمالية الشرقية : الا أن هذا

الأمل لم يتحقق . وظل حظ هجومنا في النجاح غير مؤكد ، واكتنا لم نعدل عن هذه المغامرة . والصراع مستحكم على السوم منذ شهرين : ونحن نتماوى فيه ما بين وهدة وأخرى . وخطوطنا تحت خطر الانتلام الدائم . وبلغ الهجوم الروسي في الميدان الشرقي قمم الجبال في جنوب الكربات . وبعد الوصول الى النتائج التي حدثت الى هذا العهد كان من المشكوك فيه استطاعة القوى الموجودة في تلك الجهة الثبات أمام هجمات جديدة والاحتفاظ بما تبقى من البلاد المجرية . وكذلك كانت الحالة في منتهى السوء فيما أمام بلاد الكربات الشمالية . فع أن الهجوم الروسي خف فيها فلا أمل في بقاء هذا السكون مدة طويلة . وقد خفت وطأة الهجوم النمساوي المجري في التيرول الجنوبي على أثر تداعى الجبهة الغاليسية . فانتقل الايطاليون الى خطة الهجوم على جبهة الايسوزو . والمكافحة في هذه الجبهة أضعفت قوى الجيش النمساوي بدرجة هائلة لأنها قتلت في اخرج مواقف قوات متفوقة عليها عدة مرار فكان لهذه المكافحة نصيب عظيم من المجد .

وأخيراً فإن لحوادث البلقان أيضاً شأنًا هامًا سواء من جهة الحالة العامة أو من جهة الازمة الحالية . فبعد الانتصارات المحلية التي أحرزها البلغاريون في هجومهم في مقدونيا على الجنرال سيراييل بناء على طلبنا اضطر الى التوقف ، لان الغرض الذي كان مقصوداً من هذا الهجوم سياسياً وهو منع رومانيا من الدخول في الحرب قد أخفق . فاعدأنا مصممون من كل جانب على القيام بأعمال حربية . فمن المنتظر أن يبذلوا كل ما في وسعهم لاحتفاظهم بتفوقهم . فالمظاهر التي تبعث فيهم الاعتقاد بانتهاء الحرب قريباً مع احرازهم الظفر جعلتهم يحدون في سائر الجبهات

بأكبر الجهود وأعظم الضحايا . فكل شيء كان معداً لضرب الدول الوسطى الضربة القاضية بينما كانت رومانيا تقزع جرس الانتصار المزمع حدوثه ! ان القوى الاحتياطية التي كانت حينئذ لدى المانيا والنمسا ضئيلة ولا سيما على تخوم رومانيا والمجر التي هي في هذه الآونة أدعى الى الخطر من سواها ، اذ لم تكن هنالك سوى نقط ضعيفة للخفر أغلبها تابع للمصالح المالية والجرمكية ! وكانت توجد في داخل ولاية ترانسلفانيا بعض فرق نمسوية مستريحة . واكتنفا أخذت وانهكت ، قواها في المعركة فاصبح معظمها بقايا لا تصلح للعمل . والوحدات التي تم تأليفيها والجاري تأليفها في هذه الولاية كانت اعدادها قليلة فلا تكفي لصد الغارة الرومانية . واما الحالة على الشاطئ الجنوبي من الدانوب فكانت موافقة لنا . وكان جيش مؤلف من وحدات بالمغارية وتركية والمالية يتجمع على حد بلغاريا من جهة دوبريجه وعلى شاطئ الدانوب ، ومجموعه سبع فرق تقريبا من قوى شديدة الثباين .

هذه هي كل القوات التي كنا حشدناها الى هذا الحين في أخرج مكان من ميداننا في الحرب الاوربية وهي التخوم الرومانية . وللحصول على موارد احتياطية أخرى كنا في اضطراب لسحب فرق من جبهات أخرى او الالتجاء الى الفرق الخارجة في حالة اعياء من المراك ومحتاجا الى الراحة او لتكوين فرق جديدة . ولكن من هذه الوجهة الاخيرة لم تكن حالتنا احسن من حالة أعدائنا : ان مسألة الامداد من الرجال مرجحة للقلق اذا استمرت جبهتنا على هذا الامتداد واذا ازداد اتساعها . وفوق ذلك صارت مقادير المؤن والذخائر اللازمة لنا هائلة جداً من جراء استمرار المعارك المحتدمة على سائر الجبهات حتى اننا صرنا مهددين بعدم المقدرة على موالاة الاعمال

الحرية لاجل هذا السبب وحده وساعد فيما بعد الى حالة تركيا

الحالة السياسية

من الضروري أن لا اقتصر على وصف تأثراتى الاولى من الحالة العسكرية بل اعمد الى وصف تأثراتى الاولى من الحالة السياسية العامة ايضاً . وابدأ بحالة وطننا الداخلية .

عند ما تسلمت أزمة الاعمال لم تكن حالة الشعب الالماني الادبية على ما يظهر لي قد انحطت ولكنها كانت على الاقل مهددة بالانحطاط . فما لاشك فيه ان الحوادث الحرية الأخيرة قد أزلت أرهاق الكثيرين من رجالنا . وزادت هذه الحالة صعوبة التموين اليومي . وكانت الطبقة الوسطى أشد تألماً من هذه الحالة التي اضرت بها ضرراً بالغاً . فالحزبون من المواد الغذائية أخذ يشتد نقصا والحصول الآتي بدت عليه علامات الهبوط الى المتوسط . وجاء اعلان الحرب من رومانيا بعقب جديد تتحمله عزيمة شعبنا للتمكن من متابعة الحرب . ومع ذلك فقد كانت بلادنا مستعدة للتشبث بحالتها الادبية ولكن لم يكن من المعلوم الى أية مدة وإلى أى حد من القوة . فمجرى الحوادث المقبلة سيكون له من هذه الوجهة الأثر الفعال وفيما يختص بعلاقات المانيا مع دول التحالف الرابعى الاخرى فاذا صدق ما تذيعه الصحافة الاجنبية المروجة فاننا نكون الرؤساء المطلقين لحلفائنا : فقد زعموا اننا قبضنا على أعناق النمسا وبلغاريا وتركيا واننا على وشك أن نخنقهم اذا لم ينفذوا ارادتنا . وليس ما هو أبعد عن الحقيقة من هذه المزاعم ، لان انحطاط المانيا عن انحطاطها لا يظهر فى أى وجه أوضح من ظهوره لدى المقارنة بين نفوذها الذين تستخدمونها للتأثير من الوجهة

السياسية في حلفائهما . فلو اجترأت الهيئة الرسمية في ايطاليا مثلاً على اظهار رغبتها بغير رضا بريطانيا في ابرام الصلح ألم تكن انجلترا تهددها بقطع موارد التموين عنها لتلجئها الى البقاء على سياستها الاولى . وكذلك مركز انجلترا ازاء فرنسا فقد كان شديداً مصحوباً بالتحكم . فالروسية هي الدولة الوحيدة التي كانت تتمتع باستقلالها التام ، على أن هذا الاستقلال الذي تتمتع به دولة القياصرة لم يكن مطلقاً من الوجهة السياسية ازاء انجلترا لاسباب اقتصادية ومالية . فإعظم ما كان مركز ألمانيا غير موافق من هذه الوجهة : فاية الوسائل السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية التي كنا نستطيع أن نقاوم بها كل محاولة فجائية خالفة لمصلحتنا من قبل أية دولة من حلفائنا ؟ لم تكن لدينا أية وسيلة نحمل بها هذه الدول على البقاء في صفنا اذا لو لم تكن شاعرة بارتباطها بنا بمحض ارادتها أو بما يهددها من خطر الضياع اذا التزمت عزلتها لتزكتنا وسأنا . ولم احجم عن تأكيد هذا الامر الذي لا جدال فيه لانه سبب اساسي لضعف مركزنا العام . فلننتقل الى كل من حليفائنا .

لقد تقافمت الحالة السياسية الداخلية في النمسا والمجر في صيف ١٩١٦ وقبل وصولنا الى بليس بيضة أسابيع لم تخف الحكومة النمساوية عن حكومتنا انها لا تتحمل تقاوم الحالة التي يسببها الفشل العسكري والسياسي . فحجبت الامل الناجم عن أخفاق الهجوم على ايطاليا الذي كان مصحوباً بوعود متجاوزة الحد كان ذا تأثير شديد جداً . وانحطاط المقاومة بسرعة على جبهة غاليسيا وفولينيا أنتج تشاؤماً لدى الشعب بلغ صدهاء الى البرلمان . ومن الواضح أن الاوساط النمساوية العليا تأثرت بهذا التشاؤم . وفي الواقع ليست هذه أول مرة اضطربت فيها هذه الاوساط الى درجة

وصلتنا أبنائنا . فالثقة بالنفس ضعيفة جداً في هذه الاوساط . وإذا ما تجاوزنا عن هذا الحكم فاني لا أنكر أن مشا كل النمسا السياسية أعظم بكثير من مشا كل وطننا . فسألة التموين خطيرة في النمسا أيضاً . والقسم النمساوى الالماني أشد معاناة لآلام الشظف . ومن رأي أن لا حق لنا في الارتياح في اخلاص النمسا لئحالفنا . ومع ذلك فلا بد من اتخاذ وسائل التخفيف عن النمساوين بأسرع ما يمكن .

أما حالة سياسة بلغاريا الداخلية فعلى غير حالة النمسا : ويمكنني أن أقول أنها أمتن من الوجهة الوطنية . وهذه البلاد إنما تكافح لا لنضم اليها كل ابناء عنصرها فقط بل لتحرز تفوقها النهائي في البلقان . فالعاهدات التي ابرمتها بلغاريا مع دولتي الوسط وتركيا والانتصارات العسكرية التي احرزتها جعلتها تعتقد بان آمالها العظيمة ستتحقق برمتها . ولكنها عندما دخلت ميدان الحرب العامة كانت لا تزال منهوكة القوى من الحروب البلقانية الاخيرة . ومن جهة اخرى فان حماسة البلغارين عند اعلان الحرب سنة ١٩١٥ لم تكن كحماستهم سنة ١٩١٢ . ففي ١٩١٥ كانوا مدفوعين الى القتال بسياسة الحكومة أكثر من اندفاعهم بياث النعرة الوطنية . ولهذا فان الشعب البلغارى بعد ان وضع يده على البقاع التي كان يطمع فيها ارتاح بالهوا أظهر قلة استعدادة لبذل مجهودات أخرى . فهل تردد البلغارين في اعلانهم الحرب على رومانيا — ولم يكونوا قد اعلنوها عندما وصلت الى بليس — مرجعه الوحيد الى حالة الشعب البلغارى الادبية ؟ من المسموح لي ان اظن مرتابا في هذا التعليل الى اليوم . أن حالة بلغاريا من جهة التموين الغذائي كانت احسن من حالة ألمانيا . وبالجملة فقد كنت احسبني محقا في الظن بان تحالفنا مع بلغاريا قد ينتج لنا في

يوم ما تخفيفاً من الوجهة العسكرية .

ان ثقتي بتركيا لم تكن أقل قدراً من نفثي بأية دولة أخرى . فان السلطنة العثمانية تقدمت الى الكفاح بدون أقل مطمع في توسيع دائرة نفوذها السيامي فالرؤوس التي تديرها وفي طليعتها أور باشا أعلنوا جبهة ان حيدة تركيا ليست من المسائل التي ينظر فيها في الحرب التي اشتملت نيرانها عام ١٩١٤ . فلم يكن من المعقول ان روسيا والدول الغربية تستظل محافضة أبد الدهر على الوسائل الدقيقة المرتبطة باستعمال البوغازين (الدردنيل والبسفور) . فدخول الحرب بالنسبة لتركيا كانت مسألة حياة أو موت ، وهي تكاد تكون أوضح لها مما هي لنا . وقد أدى لنا خصوصنا بخدمة بتصر محمهم بالحقيقة علنا وبصوت عال في مبدأ الحرب . لقد أظهرت تركيا في هذا الصراع قوة أدهشت للعالم أجمع فالأقدام الذي أدارت به القيادة الاعمال الحربية أذهل الاصدقاء كما أذهل الاعداء ، اذ عطلت في سائر الساحات الاسيوية قوى عظيمة من الاعداء . وكثيراً ما أؤخذ المعسكر العام الاكبر في المانيا على تفريطه في وسائله الخصوصية لتقوية القوة الحاربة في تركيا . ولكن اولئك الذين يذهبون الى هذا الرأي نسوا ان تعضيد تركيا مكنها من ابعاد عدة مئات الالوف من خيرة مقاتله خصوصنا عن ميادين الاعمال الحربية في اوربا الوسطى

الادارة العسكرية العليا للتحالف الرباعي

ان تجارب ربيع ١٩١٦ وصيفها أظهرت الحاجة الى إيجاد هيئة قيادة وحيدة ومسؤولة ومكلفة بادارة الجيوش الالمانية وجيوش حلفائنا معاً . فانشئت ادارة عسكرية عليا برضاء رؤساء حكومات التحالف الرباعي وعهدت الى جلالة امبراطور المانيا . وجول رئيس أركان حرب الجيوش

الامانية الحق « بالانتداب من هذه الادارة العسكرية العليا » في اصدار الاوامر الى رؤساء أركان حرب الجيوش المتحالفة وفي عقد اتفاقات معهم . وللاعتقاد بما ينطوى عليه رؤساء أركان حرب الجيوش المتحالفة من روح التوافق والتساند المعقول فضلاً عن كونهم أقران لم يكن لدى ما أستعمل فيه حقوق الجديدة إلا ما تمس اليه الحاجة من القرارات العسكرية ذات الاهمية الخاصة . ولم تختص الادارة العليا بالمسائل السياسية والاقتصادية ذات المصلحة العامة .

ومهمتي قائمة الاساس على اصدار أوامر عامة الى الحلفاء عن مجموع سير الاعمال العسكرية وعلى جميع ما لديهم من الوسائل والمجهودات لادراك الغرض الذى تتطلبه جميعاً . واذا كانت الادارة العليا للحرب لم تهتم بالمصالح الخاصة بل اذا كانت قد ضحكت عند الاقتضاء ببعض المسائل ذات الاهمية الثانوية من الوجهة الحاسمة فنالت بهذه الطريقة فوزاً حاسماً فى احدى الساحات الحربية فان مصالح سائر الحلفاء قد استفادت من هذا الظفر . ولكن طبيعة حربنا المشتركة وهي الطبيعة التى لا يمكننا أن نغير شيئاً منها والتي كثيراً ما استخففت بمسائل ذات أهمية من سائر الانواع كثر ما خلقت مشاكلاً للادارة الحربية العليا . فكل انسان يعلم ان المانيا منحت حليفاتها فى هذه الحرب أكثر مما أخذت منها . ولكن لا يمكن ولا ينبغي اتخاذ هذا المستند دليلاً على استطاعة المانيا مقاومة هذا الصراع الذى لم يسمع بمثله من غير تمضيد حليفاتها . وكذلك يعتبر جهلاً بحقيقة الواقع ودليلاً على التحيز والمغالاة التصريح بان المانيا لم تستند الا على حلفاء عرج وقائل هذا ينسى ان حلفاءنا كثيراً ما استجروا اليهم قوى معادية تفوق قواتهم فى كثرة العدد . واذا القيت الآن نظرة على الماضى لا عمتدت بان الشطر

الأصعب في إدارة الحرب العليا لم يكن إدارة الأعمال الحربية الكبرى بل
 إيجاد وسائل تحكيم بين مصالح حلفائنا المتعارضة . ولا أريد البحث عما
 إذا كان أغلب هذه الاختلافات ذات تأثير من الوجهة السياسية أعظم
 من تأثير الوجهة العسكرية المحضة . ان اختلاف جيوش الحلفاء المتباينة
 كانت من أكبر العوامل المعاكسة لاحتكام خططنا واصدار قراراتنا . ولم
 أتوصل الى معرفة ما يمكنني أن أنتظره وأطلبه من جانب حلفائنا الا
 بالتدريج بعد أن تولت إدارة أركان الحرب العالم الأكبر . ففي خلال
 الحملة البولونية عندما اشترك الجيش النمساوي مباشرة مع جنودنا عرفت
 لأول مرة قوة النمسا العسكرية . ولم تك اذ ذلك وحدانها تستطيع بذل
 الجهود التي اعتدنا على طلبها من جنودنا . وبما لاجدال فيه ان تناقض
 قيمة الجنود النمساوية أساسه الزعزع الحازق للمادة الذي اعترى الجيش
 النمساوي من جراء الهجوم الجبهي الحض الذي قام به في بولونيا وغاليسيا
 عند ابتداء الحرب وهو الهجوم الذي انعته بتجاوزه حد الجرأة . لقد
 رأينا ان هذا الهجوم أنتج كسر الوتة التي أوشكت أن تنهار الجوع الروسية
 ولم يكن كان من الميسور الحصول على هذه النتيجة بوسائل أقل تهوراً
 وبخسائر أقل فداحة مما حدث . وعلى كل حال فقد انتظم الجيش الروسي
 ثانية على الرغم من خسائره ، وأما الجيش النمساوي فلم ينتظم بتاتا وروح
 الهجوم النمساوي الجريء استحال الى هلع مستمر من منظر الجاهل الروسى
 وقد اعترضت كل الجهود التي حاول بذلها للمعسكر العام الاكبر النمساوي
 ثلاثي الخسائر التي اجتمعت بجيشه صعوبات لا يمكن التغلب عليها .
 وأحسب اني قادر على سرد كل هذه الصعاب . غير اني أقصر على طرح

هذا السؤال فقط : كيف تتوصل قوى الإنسانية الى إن تحرك في خلبها الشعوب المتكونة منه التماسدفة حاسية جديدة بجمع كل قوى الأمة في ارادة واحدة مشتركة متجهة إلى القتال في حين ان اول ما ازهرته الإرادة من الحماسة والثقة بالنفس قد قطف ، بل كيف يمكن تجديد فيلق الضباط الذي كانت خسائره جسيمة من اول وثبة وكيف يرد اليتم ولو جزء من عزيمه القديم ، ولا ننس ان التماسد غير حاصلة على مثيل ما لدي المانيا من القوى العقلية التي تستمد منها اناء ازمان طويلة . على انه من الوهم الاعتقاد بان كل الوحدات النمسيوية اصبحت بهذه الانحطاط في البنية إذ بقيت النمسا الى نهاية الحرب حاصلة على عدة وحدات باهرة . ولكن من المحقق انه في انباء الأزمات كان التشاؤم الذي لا مبرر له يتغلب على هيآت عديدة من الجيش النمسي ، وقيادته العليا اصبحت هي ايضا بهذا الشعور . وهذا هو السبب الوحيد في ان رغبة القتال تتلاشى لدى حليفنا حتى بعد هجمات متفردة براعة وتستحيل الى القصد في غير الوقت المناسب . وهذه الامور اوجبت بالطبع عدم اطمئنان في تدابير الإدارة الخربية العليا . فكنا دائما جاذرين من ان طرء هذا الانحلال في عزائم وحدات من الجيش النمسي يعرفنا فجأة لحالة جديدة تطلب كيان خططنا برمتها . أن وحدات كل الجيوش تصاب احثا بالضعف ، ويرجعه الى الطبيعة الانسانية . فيجب على القيادة أن تعتبره كعامل مؤكل الوجود لا تستطيع ان تحصر دائرة اتساعه . ان المسار الحكين يتغلبون بسرعة في أغلب الاوقات على عوامل الضعف . واذا حدثت مصيبة عمارة فانهم يقولون على الأقل في خطوطهم محتظين بقيتهم الحربية وعزيمتهم على المداومة . ولكن هنا لك الظامة اذا قدت هتين الصفتين الاخيرتين ! ان عدوى

التلف لا تقتصر على إصابة كل الجنود الذين تمسهم بل تنقل الى الوحدات القوية التي تلامسهم أو تجاورهم ، فتباغت هذه الوحدات بالاصابة من جانبها أو من خلفها فيحل بها غالباً أنشغ مما حل بالوحدات الضعيفة . هذه هي الحالة التي داهمت الوحدات التي ادخلناها في الجبهات النمساوية لتقويتها . فهل من المدهش في مثل هذه الحالة أن لا يطمئن جنودنا دائماً الى الجنود النمساويين زهلاً لهم في السلاح ؛ ولكن لا ينبغي لنا أن ننمي على مجموع العمل الذي قامت به النمسا في هذا الصراع الهائل ، ولا يجوز الاستسلام الى عوامل التآلم التي يحركها أحيانا فقد الاماني فان النمسا ستظل لنا شقيقة مخلصة في حمل السلاح . لند قضينا معاً أوقات سودد فيجب أن لا نتخاذل في زمن الحن المشتركة !

أن نظام الجيش البلغاري يخالف نظام الجيش النمساوي ، فهو وطني محض ، وقد كن تألم من الحرب العامة اقل من سواء الى خريف عام ١٩١٦ . ولمعرفة قيمة هذا الجيش تماماً لا يجوز تناسي ما منى به منذ سنوات في الحرب المهلكة التي ذهب فيها قسم كبير من الضباط وخلاصة الذكاء الالهلي . وكان من الصعب على بلغاريا كما شق على النمسا أيضاً الاستمناضة على الضباط المفقودين . وحالة المدنية الحديثة في بلغاريا تجعل من الصعب ادخال واستعمال عدة من وسائل القتال والنقل في الجيش مع انها من الضروريات التي تستدعيها الحرب الحديثة . واشتد الشعور بهذا النقص حينما وجدنا امامنا على الجبهة المقدونية وحدات فرنسية انجليزية ذات شأن مذكور . وهذا السبب كان كافياً بفرده لاعانة بلغاريا بالوسائل المادية وبالرجل ايضاً .

وكذلك كان نظام الجيش التركي مخائناً للجيشين السابقين ؛ فلم تكذب بعثتنا

الحرية تقوم بمهمتها في الجيش العثماني قبل الحرب وتحدث تغييراً هاماً في نظامه المضطرب . ومع ذلك فقد افلحت تركيا في تجهيز عدد عظيم من وحداتها الا ان جيشها أصيب بأضرار فادحة في الدردنيل وفي هجومها الابتدائي في ارمينية . وعلى كل حال فهي لا تزال قادرة على القيام بمهمتها الأولى التي اختصتها بها ادارة الحرب العليا وهي الدفاع عن البقاع التركية . بل استطعت أيضاً استخدام اجزاء عظيمة من الجيش العثماني بالتدرج في ساحات المعارك الاوروبية . وكل ما ساعدنا به تركيا محصور في زوئيدها بالهجمات الحربية وارسل عدة من الضباط اليها . وقد نقلت التشكيلات الالمانية التي انتزعت من مضامير القتال الاسيوية على التابع الى اوروبا ابتداء من خريف ١٩١٦ برضا المعسكر العام الاكبر التركي على أثر استعداد الجيش التركي لاستخدام أسلحة ومهمات هذه التشكيلات . ولقد قدمنا الادوات الحربية حتى الى السنوسيين في شمال افريقية . واعتمدنا في هذه المهمة على غواصاتنا التي كانت تنقل لهم على الاخص البنادق والدخائر . واذا كانت هذه الرسائل قليلة الاهمية فقد كان لها تأثير عظيم في نفوس القبائل المحمدية الحربية . والى الآن لم يمكن معرفة حقيقة النتائج العملية التي عادت علينا من معاديات هذه القبائل ، اذ ربما كانت اعظم مما كنا نتوهم حينئذ . وحاولنا ان نمسح درفاننا في السلاح حتى فيما يلي شواطئ افريقية الشمالية فبذلنا ما عرضه علينا انور باشا في ١٩١٧ من امداد قبائل الجن الموالية لسلطان الاستانة بالاموال . وبالظر لا اعتراض القبائل الرحالة النائرة في صحراء العرب لم يتمكن من بلوغ تلك اناحية بطريق البر وغواصاتنا لم يكن لها سبيل الى ادراك سواحل البحر الاحمر فلم يبق لنا سوى الجو ومع الاسف العظيم لم يكن لدينا حينئذ منطاد مسير يترقى افق الصحراء السكبيرة حتى يصل الى

الذين ، فكان هذا سبباً لعدم تنفيذ مشروعاتنا . وأذكر بهذه المناسبة انني اهتممت في سنة ١٩١٧ بما حاولنا من تموين جنودنا المقاتلين في افريقيه الشرقية بالاسلحة والمواد الطبية من الجو . فكم هو معلوم اضطررنا منطادنا زبلين ان يطوف حول نصف السودان لان جنودنا كانت قد رامت الى الجنوب ونقلت اعمالها الحربية الى شرق افريقيه البورتغالي ولا حاجة لي الى ذكر شعور الافتخار الذي كنت اتبع به الجولات التي تكاد تفوق مقدرة البشر التي قام بها جنودنا المدهشين هنالك اثناء الحرب ، فقد اقاموا على الارض الافريقية اثرأ خالداً من مجد البطولة الالمانية .

واذا القيت نظرة الى الحلف لأرى ما قام به حلفاؤنا وجب الاعتراف بانهم لم يدخروا وسعاً في تنفيذ مهمتنا المشتركة بكل ما سمحت لهم به قواهم السياسية والاقتصادية والعسكرية والادبية . وفي الحقيقة نليس يوجد بينهم من لم يصل الى الامنية السامية . واذا كنا نحن الالمان قد اتصلنا بهذه الامنية السامية أشد من اتصالهم بها فإ ذلك الا بفضل تفوقنا في القوى الادبية ، وما كنا نحن أنفسنا نعرف في بادىء الأمر عظمة تلك القوى التي ادخرناها في عشرات السنين الاخيرة من تاريخنا : انها موجودة في كل طبقات الشعب ، ولم تكن خاملة بل نشطة مستمرة على ازدياد قوتها وليس الا في حالة دولة ذات نهضة ادبية قوية وقواها السليمة التي تنعشها قادرة على أن تجتذب معها القوى المهزولة في الساعة الحاسمة يمكن القيام بمشروعات كالتى قمنا بها والتي تتخطى كل ما تستوجبه علينا محالقاتنا . واذا كان الأمر على ما ذكرنا كما يؤيده التاريخ فارجع الفضل فيه الى الاسرة الهوهولرنية وعلى الاخص في الأوقات الأخيرة من عظمة ألمانيا انى امبراطورنا غليوم الثاني . فباقتفائه آثار أسرته ادرك أن جيشه خير

مهمه لثمة يغشع به فواصل العمل لثمة ، فتمار الجيش الالمانى اول
جيش العالم ، فهو قبل الحرب المدافع المحترم عن حرية العمل ، وأثناء الحرب
نية كل مظهر للثمة .

بليس

لقد تخرت القيادة العليا الالمانية مدينة بليس الصغيرة الكائنة في
سيليغيا العليا من مدة سابقة مركزاً وقتياً للمعسكر العام الاكبر . ووجه
هذا الاختيار المجاورة للمعسكر العام الاكبر النمساوى المستقر في مدينة
تيسين في سيليغيا النمساوية . وان فائدة سرعة التفاهم شغور ما بين المعسكرين
العامين كانت عظيمة الى حداننا وجدنا من المثلد معسكرنا العام الاكبر
في بليس . وكان المعسكر الاكبر الالمانى هو ملتقى الامراء الالمان والمحتالين
الذين يريدون محادثة امبراطورى شخصيا في مسائل عسكرية او سياسية .
وكان بين اول من لاقيتهم من الملوك في بليس الملك فرديناند للبغارى .
فرايته سياسياً فحلاً . ونظرته السياسية تمتد الى ما وراء البلقان . وكان
يعرف عهارة استاذ ان توضح ويضع في الخطة الاولى مركز بلاده بين
المسائل الكبرى من السياسة العالمية . ومن رايه أنه يجب البت في مستقبل
البغارى خلال الحرب الحاضرة ولهذا الغرض أراد تحرير بلاده نهائياً من
التفوذ الروسى كما أراد ان يجمع شمل العنصر البغارى تحت اذنته .
ولم أسمع منه أن سياسته ترمى الى مقاصد أخرى . ولقد احدثت في
طريقة تعليمه ابنه الاسلوب السياسى تأثيراً خاصاً . فالامير الوريث
يوريس كان بمثابة كاتم أسرار أبيه الخاص وظهر لى أنه على علم بأسرار
ذلك الملك السياسية . وكان هذا الأمير المتشبع بالآراء البديعة يتردى الوظيفة

المهمة المسندة إليه بمهارة تامة، وتحفظ ميثاقه. ويظهر أن والده كان يراقبه أشد مراقبة لاجل تحقيق هذا المرام. وهذا الملك هو الذي يدير بمفرده أهم شؤون مملكته السياسية الخارجية. ولست أدري هل تدار نفوذه في الشؤون الداخلية المعتدة، ولكنني أظنه يظهر إرادته باستخدام وسائل استبدادية أحيانا في وسط الفوضى البرلمانية التي عمزق بلغاريا في أغلب الاوقات. فمهمته من هذه الوجهة في مدتش الضعوبة. إذ بلغاريا كسائر الشعوب البلقانية انتقلت من الاستعداد الى الحرية السياسية المطلقة. وكذلك لم يحصل الشعب البلغاري على أي تدريب سياسي فهو يحمل مشقة العمل التي يقتضيها الانتقال من طور الى آخر. وأخشي أن يمر على هذا الشعب والشعوب التي تجاوزت سنوات طويلة في تحمل المهوم بسبب تجاوز مدة التهذيب السياسي. وعلى كل حال فقد كان ملك بلغاريا في ذلك العهد أهم الملوك شأنا. وكان حليفاً مخلصاً لنا.

وكانت الامبراطور فرانسوا جوزيف أثناء اقامتنا في بليس، فكان موته خسارة لنا. ولا شك في أن فقدته كان قضاء على الرابطة التي تجمع شعوب هذه الدولة، إذ أن قسم عظيم من الشعور الوطني الذي كانت ترتبط به العناصر المختلفة في هذه الامبراطورية نزل مع هذا الامبراطور الكمل النبيل في قبره. ان الصفات التي عرضت للامبراطور الشاب عند توليه لا تقارن مع جسامتها بالصعوبات التي تحدث على أثر تغير الملكية في بلاد شعبها كله من عنصر واحد. وحاول الامبراطور الجديد أن يمتاض عن القوة الادبية وروح الاتحاد المنتصف بهما سلفه بمنح يسديها لمجموع شعبه ظانا أنه يكتسب بها نفوذاً أدبيا حتى لدى العناصر التي تسعى في تقويض أركان الحكومة، فكانت النتيجة عكس الغرض لان هذه العناصر

انفقت من مدة مع خصومنا ولا تعدل بارادتها عن اتفاقها .
 ان الصلات الشخصية التي اوجدتها اقامتي في بليس بيني وبين أميرة اللواء كوزادفون هوتزendorف طابقت ما كنت أعتقد من قبل فيه بصفتي عسكرياً ورئيساً . فهو شخص كفء جداً ومتطلب الوطنية للتسوية ومشايخ غيور لمسألتنا المشتركة . ومن المؤكد انه كان يتجنب كل التأثيرات السياسية التي تحاول اخراجه عن هذه الجادة . وكان نظره عظمياً في المسائل الفنية العسكرية . وكان يستخلص من الامور الثانوية التي ليست لها أهمية فعالة مسائل جوهرية جليلة تفيدنا جميعاً ، وله الملم جيد بحالتى البلقان وإيطاليا ولم يكن جاهلاً بما يتطلبه الجيش التسوية من الروح الوطنى وما يحدهه هذا النقص من الضعف في صفوفه . وعلى كل حال فقد كان يعتقد بإمكان الاستفادة من الجيش المقوض اليه .
 وكذا عرفت في بليس أثناء فصلي الخريف والشتاء بالرؤساء العسكريين في تركيا وبلغاريا .

وقد أظهر لي أنور باشا سعة عقل وحرية في الآراء . قلما يعهدان في صدد مجرى الحرب الحاضرة والطرق الواجب تنفيذها . ولقد كان اخلاصاً هذه التركي لمسألتنا المشتركة ذات الجساممة العظمى والخطارة الكبرى لاحد له . ولا أنسى أبد الدهر ما أحدثه من التأثير في وكيل القائد العام العثماني في أول حديث دار بيننا في مستهل سبتمبر ١٩١٦ وبناء على طلبى بسيط الحالة العسكرية في تركيا ، فرسم لوحة مفصلة ذات وضوح وأحكام وصراحة في منتهى البراعة تشمل كافة المواقف ثم التفت إلي وختم بيده المسهب بقوله : « ان موقف تركيا في آسيا صعب في بعض النقط . ان ينبغي لنا أن نحشى من تراجع آخر في أرمينية . وقد تتجدد المواقف قريباً

في العراق . وأظن أيضاً ان الانجليز سيتمكنون من مهاجمتنا في سوريا بعد مدة وجيزة بقوات متفوقة علينا . ولكن كيفما كانت الحالة في آسيا فان الفصل في الحرب انما يكون في أوروبا ولهذا فانا أضع تحت تصرفك كل الفرق التي أستطيع الاستئناء عنها . »

وما عهد حليف يكلم قط بمثل هذا الاخلاص ولا بمثل هذا التواضع مع حليفه . ولم يقتصر أنور باشا على القول . ومع حصول أنور باشا على المدركة التي تؤهله لأن يكون قائداً ، فقد كانت تنقصه المعلومات العسكرية وأريد معلومات ادارة أركان الحرب . وهو عيب موجود لدى سائر الرؤساء وأركان الحرب الاتراك . واعتقادنا هو أن هذا العيب طبيعي لدى الشرقيين ويظهر انه لا يوجد الا ضباط قليلون في الجيش العثماني ملمون بالوسائل الفنية التي تريد القيادة أن تنفذ بها الاعمال الحربية المرجوة . ولا توجد في هذا الجيش خصيصية اهتمام أركان الحرب بالامور التفصيلية اهتمامهم بالمسائل الفنية الحربية الكبيرة . فنجم عن ذلك ان الافكار الجليلة التي تتراءى لخلفائنا الشرقيين تظل غالباً غير مثمرة لانها لا تتحقق من الوجهة العسكرية .

ان زميلنا الحربي البلغاري القائد جيكوف كان طرازاً آخر غير ذلك التركي ذي الافكار السامية : فهو رجل يفكر بهدوء ولا يخلو من الافكار العظيمة ولكنه لا يرمى ببصره الى أبعد من البلقان ولا أستطيع القول بالتأكد الى أى حد يرتبط بحكومته في هذا الصدد . وعلى كل حال فهو شديد التمسك بسياستها الخارجية ، ولكنه لم يكن متفقاً مع الحكومة في السياسة الداخلية . وكان محباً لجنوده ومحبواً لديهم . وثقته بهم عظيمة حتى في المسائل السياسية . وكان تصريحه وجيهاً في هذا الصدد عند ما حدث

الارتياح في قبول الجندى البلغارى مقاتلة الروسين إذ قل : « اذا قلت لرجل البلغارين قاتلوا لم يحجموا عن مقاتلة أي من كان ! » وعدا ذلك فان هذا القائد لم يجهل بعض جوانب الضعف في جنوده وهي من اخلاق الشعب . وساعد فيما بعد الى هذا البحث .

ولم أقتصر على التعرف في بليس بالرؤساء العسكريين بل تعرفت كذلك بالزعماء السياسيين لخلقنا وانتصر الآن على التكلم عن الصدر الاعظم طلعت باشا ورئيس وزراء بلغاريا رادوسلافوف .

فاما طلعت باشا فكان وزيراً عبقرى خبيراً بخطارة المهمة المسندة الى الامبراطورية العثمانية ونفط الضعف في هذه السلطنة ، واذا لم يتوفى الى اقضاء الحول الوطنى والكبرياء الضاعطين على وطنه فما ذلك الا لعداثة المشا كل التي يناهضها . ومن العسير أن يذل في أشهر ما بقى مهمل عدة قرون ، وما حاول تذليله قبل الحرب فاعترضه تعدد العناصر ونضوب الروح الادبى من مجموع الامة . واما من جهة طلعت نفسه فقد كان نقى الكف عند ما ترأس الحكومة وبقى نقيها أثناء توليه منصبه . وهو خير ممثل للبطولة التركية القديمة . وكان مستقلا في سياسته عند ما لقينى لأول مرة عام ١٩١٦ وظل كذلك عند ما فارقتا في خريف ١٩١٨ والسبب الا هم لضعف الحكومة والقيادة التركيتين انصياعهما لحالة البلاد الداخلية . فبعض الرؤوس السياسية الحريصة على مصالحها المادية الشخصية المتصلة بالجميات كانت تتداخل في الاعمال الحربية وتكف غالباً أيدي القيادة حتى لاتعجز عن تلافي الاغلاط التي تتحقق منها مع القدرة على تلافيها . حقيقة ان بعض عظماء الرجل قاموا بكل ما تستطيعه مجهدياتهم ولكن سلطنة الحكومة لم تكن نافذة في سائر انحاء السلطنة . فقلب المملكة وهو

الاستانه كان ضعيف الخلقان فلا يقوى على ارسال الدماء النقية الى الولايات
المتناهية لتنعشها وتفيدها. ومع ذلك فقد تولدت أوكار حديثة أثناء الحرب
فانتصارات الدردنيل والدجله أ كسبت الامه روح العظمة الشرقية . فبدأت
الافكار تحوم حول اتحاد سائر الشعوب الاسلامية دينياً وسياسياً .
وعلى الرغم من اخفاق الدعوة الى الحرب الدينية فقد وضعت مشروعات
تتضمن الحاق مسلمي شمال افريقية بهذه السلطنة . غير ان الحوادث
أظهرت ان هذه المظاهر الدالة على التعصب الديني لم تكن سوى حالات
متفرقة وان الامل في تحقيقها في بقاع آسيا المتزامية الاطراف لم يكن فقط
حلماً كاذباً بل كان أيضاً خطراً عسكرياً جسيماً .

واما البلغارى رادوسلافوف فقد كان أحط من الارض في أفكاره
السياسية بمجانب الوزير العبرى طلعت باشا . وانى أشك في أن رادوسلافوف
كان يدرك عظمة فكر ملكه في ضم بلغاريا اليها في عام ١٩١٥ . على انه كان
حسن النية ازاءنا في سياسته الخارجية .

وظلمت مصارعة الاحزاب السياسية البلغارية على حالها طول الحرب
بل امتدت الى الجيش . فلم تكن المشايعة لروسيا العلة الوحيدة للانقسام
ولم يقتصر النزاع على الاحزاب والجنود بل شمل رؤساء الجيش ولم يسلم
منه رادوسلافوف .

المعيشة في المعسكر الاكبر

أريد ان ألم هنا بوصف احد أيام عملي الاعتيادى بمعسكرنا الاكبر بياعث
الاهتمام المتجه من سائر الجهات الى حياتي الشخصية أثناء الحرب .
وأرجو من اولئك الذين لا يروقه ادماج هذه اللوحة في وسط الحوادث

المالية العظيمة ان يخطوا الصفحات التالية فانها ليست ضرورية لمن يسعى لمعرفة هذا العهد العظيم .

ففى خلال الحرب المتحركة الحادثة فى خريف ١٩١٤ فى بروسيا الشرقية وبولونيا لم يكن من المستطاع التفكير فى وضع جدول اعمال منتظم لاركان حرب جيشنا . وانما استطعنا ان ننظم ساعات اعمالنا وراحتنا فى نوفمبر ١٩١٤ حينما اتفقلنا فى بوزين بمقدار ما تسمح به حالة الحرب اذا سمحت . لقد كان مقامنا الطويل فى لوتزين موافقاً بنوع خاص لاجاد قواعد للاعمال دقيقة جداً ، فلم يحدث تنصيبى فى مركز رئاسة اركان حرب الجيش المحارب تمديلاً جوهرياً فى جدول العمل الذى وضعناه والذى أصاب خطة من التجريب على الرغم من أن حياتنا من هذه الهنيهة صارت ادعى الى الحراك واسمى منزلة من الاول . فاول ساعات عملى التاسعة صباحاً اذ تكون التقارير قد وصلت . فانطلق الى القائد لوندورف للبحث معه فى التغيرات التى تتطلبها الحالة والاحتياجات الواجب اتخاذها . وغالباً لا تقتضى هذه الامور وقتاً طويلاً . وكنا نسهر نحن الاثنين بغير انقطاع على الحالة الحربية وكنا نعلم أفكارنا المتحدة . ولهذا فلم نكن نحتاج غالباً لاصدار القرارات الا الى بضع جمل وأحياناً بضع كلمات تكفى القائد لوندورف لاصدار الاوامر التفصيلية . وبعد الحادثة استنشق الهواء مدة ساعة مع الضابط مراسلتى . وكنت أدعو أيضاً ضيوف المعسكر الاكبر الى متزهاتى الضحوية ، واتلقى شكاواهم واقتراحاتهم ، وأهدى كئيبين من الزوار المهمومين قبل أن أدعهم يذهبون الى رئيس معسكرى العام لمرض تفاصيل رغائبهم وآمالهم ومشروعاتهم ، وبعد عودتى الى العيادة الموجودة مكاتبنا بها اتحدث مع القائد لوندورف مرة

أخرى ثم يحضر رؤساء شعبائي ليعرضوا علي تقاريرهم مباشرة في مكنتي .
وبينما أكون مشغولاً بمهام الأعمال تكون رسائل الشخصية قد فتحت
ورببت بجانبى . وكان عدد الذين يفتحون لى اعماق قلوبهم ويراسلوننى
فى كل موضوع هائلا . وكان من المستحيل على أن أقرأها كلها بنفسى .
فكلفت ضابطاً بهذا العمل خاصة وكان الشعر ينارع الزفر فى الكثرة فى
هذه الكتب . فكانت الحماسة تترجع بسائر العواطف الاخرى المتضاربة .
بل كثيراً ما كان يصعب التوفيق ما بين المسائل المعروضة علي وشؤون
وظيفتى الرسمية . واذكر من قبيل الاستشهاد مسألة من عدة آلاف
من أمثالها ، ذلك انى لا أرى ماذا عساني اصنع وأنا رئيس اركان حرب
الجيش المقاتل فى كسح المواد القذرة التى هى فى الحقيقة من الامور المهمة
وفى فقد ورقة ميلاد شيلي من ارومة ألمانية . وعلى كل حال فقد طابت
مساعدتى فى المسألتين . وبالتأكيد ان مثل هذه المراسلة تدل على ثقة
متناهية وان كانت أحيانا ساذجة بنفوذى الشخصى ، وكلما سمح لى
الوقت والفرصة اعضد بارتياح الطلبات المعروضة علي ولو بتوقيعى
عليها . وفى أغلب الاوقات كنت أشدد فى مساع خصوصية أهم من
الامضاء .

وكننت اقدم تقريرى فى الظهر بالنظام الى جلالة الامبراطور . وكان
البائد لودندروف يصحبنى ويوضح تفاصيل الحالة . وعندما كان الموضوع
يتنضى أوامر ذات أهمية كبرى كنت انولى الكلام بنفسى وأتمس من
جلالته ان يتفضل بالتصديق على خططنا . وقد خولتنا ثقته العظمى
فى شخصينا ان نطلب مصادقته على كل مشروع . وكننت كلما عرضت عليه
مشروعات اعمال حربية جديدة كان يكتفى غالباً بابداء تبريراتى لهذه

المشروعات . ولا تذكر خلافا لم يسو بعد ايضاح متبادل . وكان الامبراطور
ذا ذاكرة جيدة نعى كل المواقف الحربية فكانت تفيدنا جداً في شرح
تقاريرنا . ولم يكن جلالاته مقتصرأ على دراسة الخرائط باهتمام عظيم بل
كان يأخذ عنها مذكرات خصوصية . وكنا ننتهز غالباً فرصة عرض
تقرر الظهر لتتفاوض أمام الامبراطور مع مثلى الحكومة .

وبعد الانتهاء من تقرير الامبراطور تجمع مائدة الغذاء حول ضباط اركان
حربي الخاص . وكان الوقت المخصص للاكل قصيراً جداً . وكنت ادع
اضباطى بعد الطعام الوقت الكافى للاستراحة . ولم نخل بهذه القاعدة اذا
وجد مدعوون على مائدتنا وضرورة ابقاء ضباطى في اعمالهم كانت عندى
أهم من مراعاة الاعتبار الاجتماعية ، لان العمل كان يحمل أغلبهم على
الاشتغال مدة ست عشرة ساعة في اليوم . واستمرت هذه الطريقة طول
مدة الحرب . وكنا مضطرين في المعسكر العالم الاكبر كولتشك الذين في
الجناد الى ان نستند آخر مجهوداتنا الانسانية . وكانت حصبة ما بعد الظهر
تنقضي بالنسبة لى كالصباح . أما مائدة العشاء فكانت تبتدىء الساعة الثامنة
مساءً وتنتهى في منتصف الساعة العاشرة وهى الهنيئة التى يؤذن فيها
القائد لودندورف بالانصراف . وكانت المحادثات غالباً متعشة في مجتمعنا
الصغير . وكان الكلام يتتابع بدون تكلف ولا اتباع الصيغة الرسمية عن
كافة المسائل التى ترتبط بتمايشرة او التى تكون ذات فائدة عامة . ولم نخل
الابتهاج من نصيبه بيننا . وكنت أرى من واجبي تجاه مساعدي ان أثبت
بينهم الابتهاج . وبعد اجتماعنا المسلوى تعود الى عمارة مكاتبنا . وفي مدة
غالباً بنا عنها تكون تقارير المساء وصلت واشير الى المواقف العسكرية في
النقط المتفرقة على الخرائط . ويوضح لنا ضابط شاب من اركان الحرب

والتقارير التي يندمها رئيس الشعبات الى القائد لوندورف نظل متواليه الى الساعة الاولى صباحاً . ولا يترك رئيس معسكرى العام مكتبه قبل منتصف الليل الا اذا كانت الحالة يوجد خاص هادئة ليعود اليه في الساعة الثامنة صباحاً . وانا كلنا نراح عند ما نرى القائد لوندورف قد سحبت له فرصة من اراحة ، على انها لا تتجاوز البتة بضع ساعات . وكنا جميعاً مشتركين في حياة واحدة وعمل واحد وأفكار متحدة وعواطف متوافقة وهذه الذكرى تمشي قلبي الى الآن بالاعتراف بالجميل رب الارباب .

وكنا على العموم نكون وسطاً تحكم الاغلاق . وبما أن انتظام الاعمال ضرورى فقد كان التغيير بين العمال نادراً . ولم تكن نخفل الا في النادر بطلابات النبط الراغبين بالحاف الانتقال الى الجبهة ولوحصة من الزمن . وكذلك كنا نرسل أحياناً بعض ضباط الى النقاط المهمة من الحدود أو الى جبهات حلفائنا . ولكن لعدم تعطيل الاعمال المختلفة المعقدة في المعسكر العام الا كبركان لا بد من أن يشغل المراكز التي تخلو بعض الضباط ولو على الاقل أقدم الموجودين في الشعبات . وقد استطاعت يد الموت بتساوة على وسطنا ، ففى عام ١٩١٦ فقدت ضابط مراسلتى الشخفى المحبوب من الجميع والذي كان أحد أقربائى الادنين البنساشى كامرير على أثر اصابته بالبرد . وفى اكتوبر سنة ١٩١٨ توفى اليوزباشى الفون لينسينجن بالوباء الذي أصيب به كثيرون من أركان الحرب في ذلك العهد . وعلى الرغم من نصائح طبيبه وأصدقائه لم يشأ هذا الضابط ان يغادر وظيفته في ذلك الموقف العسير ، وظل مشغولاً حتى أعجزته الجنى عن الوقوف فانتطع عن العمل بعد ان فات وقت انقاذه . وقد فقدنا فيه رفيقاً زكياً رضى الاخلاق . ولم تدركه زوجته الفتاة قبل وفاته . واذكر ان عدة من الضباط الذين

التحقوا مدة في أركان حربي سقطوا في الجبهة صرعى .

وتكون اللوحة ناقصة التصوير اذا لم أذكر الزائرين المتابعين في كل وقت وكل غرض . ولست أعني بزوارنا الداهيين الآتين لآعمال ترتبط بنا بل أولئك المهتمين بمصالح أخرى . فكنت أفتح لكل زائر بابي وقلبي بشرط ان يجيئني حر الضمير . وكان عدد مدعويينا عظيما ، وقلما يمر يوماً بغير زوار . ولا يجيئ الزائرون من المانيا وحليفاتها فقط بل يجيئوننا من البلاد الحايضة أيضا بكثرة . وكانت مائدتنا تجمع غالبا مزججا من الشعوب . واحيانا مجالس التأسيس المحمدي المتدين جنباً لجنب . وكان استقبال الجميع وديا . وكنت أضحي لهم جميعا أوقات فراغي القصيرة . وبين السياسيين الكونت تسزلا الذي أحفظ له أجل الذكرى فقد زارني في شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ . وهو ذو ارادة لا تنزعزع ووطنية مشتعلة . وسياسيون آخرون المانيون ومحالفون أوضحوا لي آراءهم . ومع انها كانت غريبة عني فقد كنت أهتم بها لان جميع أصحابها مخلصون لمسألتنا الكبرى المشتركة . وأتذكر الفاظ الوطنية المتوقدة التي كانوا يتلفظون بها عند مفارقتي . ولقد صاغت الصناع والعمال الملتفين حولي ، وانظارهم المفتحة وكلامهم الحر كانت تسرني . وكان تتناول الصناعات الكبرى ورجال العلوم يعملوننا باختراعاتهم أو بمبتكراتهم الحديثة ويستسلمون الى التفكير في الخطط الاقتصادية المستقبلية ، وينهون على الحكومة عدم مساعدتها ايهم على تحقيق أفكارهم . ولكن رجال الحكومة أيضا كانوا يتململون من شراعة هؤلاء الخياليين في الانفاق التي يتخوفون منها والتي تذهب دائما في مشروعات المحترعين الحديثة . وأتذكر ان موظفاً مالياً كبيراً أراد ان يعرف ممن كل طلعة مدفع من كل عيار ليدرك حساب ما تناضاه المبركة الواحدة ولم يشرفني بنتيجة حسابه

خفاة ان لا أقفل من نفقات ذخائري على الرغم من حسابه . ولم يصل الى بابنا فقمنا المدعوون وذور الحاجات والأعمال فقط بل وصل اليه ايضا من دفع بهم الفضول . وغالباً ما كتب أخذك في عبي من الالفاظ التي ينتحل بها هؤلاء الفضوليون اعذاراً لزياراتهم ولا أقول ان مساعيهم كانت تكفل بالنتيجة دائماً . وعلى النقيض طالما زارنا ضابط قادم من مساحة الوعى وعليه آثارها فكان خير زائر ومضيف . والانباء الموجزة التي كان يقصها علينا عن حياة الجبهة كانت أوضح من التقارير المطولة المكتوبة . فكانت تذكرني غالباً بمجنيبة عديمي السالمة . وفي الحقيقة ان المكائنة الحالية وهي أفضح المكائينات التي عرفت ان الآن كل العاقل المادية والادبية بلغت فيها منتهى التطور . فالمركبة التي كانت تلبث ساعات تحولت الى صراع قطيع يستغرق عدة أشهر ويظهر ان الصلابة البشرية لم يعد لها حد .

وزارنا الكونت زبلين فآثر فينا بتراضعه . وكان يعتقد حينئذ منا طمئيد كسهل حربي عتيق . ومن رأيه ان مستقبل اوروبا للمخاضات الحربية ، ومات بعد هذا الزيارة بقليل فييدر بصائب وطننا ، فياله من كمل سعيد! وقبل دعوتنا اثنان آخران من ملوك الهواء صارا شهيرين وهما شابان بطلان، فتقابلنا اليوزباشي بذلك في بريست ايترونسك واليوزباشي القون بريخوفوف في كيروناخ . وآثر فينا تواضعهما وحترقتهما فلشرف ذكرهما! وكان بين زوارى أيضا عدة من قادة الغواصات بينهم اليوزباشي كونيچ . وكان الغواصة التجارية دوتشلاندا .

لقد أتينا لاجتماع بأشخاص كبار من سائر الطبقات ومن جميع العناصر وطالما حسبتهنى أسمع على مغربة منى قلب جيشنا وقاب شعبنا وقلب ألمانيا وقلوب حلفائنا تحقق كلها على دقة واحدة .

الحوادث الحربية الى آخر سنة ١٩١٦

حملة رومانيا

لقد استمدعى موقفنا السياسي ازاء رومانيا في السنة الحربية المتد اخذ
في عامي ١٩١٥ و ١٩١٦ مجهودات لامثيل لها لمن قبل الحكرمة فند
ل من قبل قيادتنا أيضا . ان التروي خير من التشدد في الحكم على الذين
كانوا مسئولين من قبل فالآن قد قامت الحرب بين رومانيا وبيننا ونحن
على غير استعداد لهذه الخصيمة الجديدة . فالذين يجراؤن على مثل هذا
الاتقاد وهم يجهلون الحوادث الحقيقية يذكروننى بما صرح به فيخت في
خطبه المعنوية « الى الامة الالمانية » اذ يتكلم على هذا النوع من الكتاب
الذين لا يتولون ما يجب فعله الا بعد طرؤه الحوادث .

لم يكن من المشكوك فيه ان دول الاتفاق بعد ان دفعتنا الى هذا
الموقف تريد ان تبعد خطر رومانيا أو بالاحرى التهديد الناجم عن موقف
رومانيا العسكري الى أكثر من عام ١٩١٥ وانما للتوصل الى دفع رومانيا
ضدنا استعملت وسائل مشابهة للوسائل التي اتخذتها ضد اليونان . وكما
علمنا أخيراً ان رومانيا أجبرت على الحرب سنة ١٩١٦ بانذار نهائي من
دول الاتفاق بان تتخير بين الهجوم على الفور أو الامدول نهائياً عن فكرة
توسمها . ولكن هذا النوع من الحل فظيع جداً من الوجهة السياسية
اذ لا يجد لدينا محبذين له الا عند الضرورة القصوى . لقد أردنا ان نأمل
رومانيا بمنتهى الكرامة لاننا بلا شك كنا نعتقد انها تحفر قبرها بنفسها !
وهذا ما حدث بالفعل ولكن بعد مصائب وضحايا عظيمة حلت بالمانيا !
لقد انضمت رومانيا على أثر تهاوي الجبهة الشرقية النمساوية الى

خصومنا . وربما كنا نستطيع ان نمنع هذا الخطر لو استطلعنا ان نحقق
الكرة الكبرى على الجناح الجنوبي للجيش الروسية الذي تقدم الى
الكربات ولكن استمرار تداعي الجبهة النمساوية على امتدادها عاقنا عن
اتمام هذه الحركة . والقوى الحصصية للكر ارتجعت بالتدرج في المعركة
الدفاعية . ولكي يتلافى المعسكر العام الاكبر الالمانى الازمة التي أحدثتها
وقائع الجبهة الشرقية اتفق مع القائد جيكونف على ضرب الاعداء في
سالونيك بالاستعانة بالجيش البلغارى والفكرة صائبة من الوجهتين
العسكرية والسياسية ولو نجحت لارهبت رومانيا ومنعتها من دخول
الحرب ومحو أملها في الاشتراك مع سرايل . ولو وجدت قوى كافية لدى
بلغاريا بعد ضرب سرايل لكانت خير ملجئ لرومانيا الى السكون . ان
المعسكر العام الاكبر الالمانى باصداره الامر للبلغاريين بالهجوم قد عمد الى
مناقضة نفسه بعض المناقضة من الوجهة العسكرية . فبما انه أراد اغضاب
رومانيا لانها جانحة بالتدرج الى الحرب فهو مضطر لهذا الغرض الى
حشد قوى في شمال بلغاريا الا انه في الوقت نفسه أرسل الى الداتوب
لاسباب سياسية جنوداً كان من الممكن استخدامهم في مقدونيا في
الهجوم على سرايل . وربما أمكن تفسير هذا العمل بأن المعسكر الاكبر كان
يعتقد بقيمة الجيش البلغارى في الهجوم ويستخف الى حد ما بقوى
الاعداء في صواحي سالونيك . وقد حدث لهم في أهمية الوحدات الصربية
المتألفة حديثاً والتي أزلت الى خط القتال وعدتها ست فرق من المشاة
وبلغ الجيش البلغارى في هجومه ستروما بجناحه الايسر أما جناحه
اليمين فلم يصل الى فودنا لاسباب لا يسعنا البحث فيها الآن . فأوقفت
نتيجة الهجوم المعسكر الاكبر امام حالة جديدة عسيرة . وازدادت رغبة

رومانيا في القتال . وصار من المنتظر ان يدعو وقوف الهجوم البلغارى دوائر يونانرسست الى تحييد الحرب . فوق المعسكر الاكبر بين أحد أمرين إما ان يبطل الهجوم البلغارى نهائياً ليرسل القوى البلغارية المهمة الموجودة في مقدونيا الى شمال بلغاريا واما ان يندفع الى نقل قوى الدانوب الى مقدونيا لنصف العقدة الرومانية بمجد السينب . حذاء اعلان رومانيا الحرب متقدماً للمعسكر الاكبر الالماني من حيثه . ولم تكن الحالة أقل صعوبة في شمال جبال الالب بترانسلفانيا . فبينما كانت رومانيا تتسلع جبهة كانت وقائع النجبهة الغربية الالمانية وجبهتي النمسا الشرقية والجنوبية الغربية قد استغرقت كل القوى الاحتياطية . ولم يكن في الوسع انتزاع قوى جديدة من النجبهات الاخرى لمواجهة رومانيا . فنجم عن ذلك اننا وجدنا ازاء رومانيا عزلاً من السلاح عند ما اشهرت الحرب في ٢٧ اغسطس . وانما اوردت هذه التفاحيل لظنار الحالة التي كنا فيها عند اعلان الحرب الرومانية .

ومع ان التحالف الرباعي لم يستطع ان يتخذ الا تجهيزات ناقصة لتدارك الخيارات الروماني فقد اتحد مع ذلك رؤساؤه العسكريون على الوسائل المتضمنة عند الاشتباك مع رومانيا . فمعد لهذا الغرض في ٢٨ اغسطس مؤتمر في بيليس ضم رؤساء اركان حرب المانيا والنمسا وبلغاريا تقرر فيهِ خطة القتال والفقرة الثانية ذات الاهمية العظيمة تتضمن ما يأتي نصاً : « اذا انضمت رومانيا الى دول الاتفاق فيكون هجومنا على السرعة ومنتهى ما يمكن من القوة . أولاً لمنع الاغارة على النمسا . ثانياً لنقل الحرب الى رومانيا . ولهذا الغرض ينبغي (ا) حركات يصير تنفيذها من الشال مجنود المانيين ونسويين لاجتذاب قوى رومانية عظيمة (ب) هجوم

بلغاري من ابتداء حرد دور برنجيه على معبر الداتوب وفي سيل بتره وبوتراخان لحماية الجانب الايمن من القوي الاساسية (ت) اعداد القوي السكبرى لعبور الداتوب عند نيقربولي: بضمه مهاجمة بوخارست »

كندا جرى الاتفاق فيما بعد مع انور باشا على اشتراك الانزال في هذه الحملة ورشد باعداد فرقتين حالاً وارسلها الى البلقان . وحدث أي تعديل في هذه الخطة مدة تولي سلفي رئاسة اركان الحرب . ولكن حدث تبادل جديد في الآراء ما بين رؤساء اركان حرب الجيوش المتحالفة كما أخذ رأي المارشال القوين ما كيرن الذي كان قد تولي قيادة الجنود المحشدة على الداتوب . فبدأ من هذه المفاوضات رأيان . اللواء القوين كوزاد يري المخرج مباشرة على بوخارست ، والفائد جيكونف يرى انشاء الدتال في غرب بيه وكانت القوي المتجمعة على الداتوب أنعمت من تأدية المهمة المردومة عرس عبور الداتوب والمخرج على سياسته وبوتراخان على التعاقب . وفي ٢٤ اغسطس أصدر سلفي الأمر الى المارشال ما كيرن بالمخرج حالاً وترتله حرية الاتجاه والغرض الذي يقتضيه . فعندما استلمت الاعمال يوم ٢٩ اغسطس كانت الحالة كما تقدم خفيفة

وفي الحقيقة ما كان ينظر ان دويلا كرومانيا يذكر لها التاريخ مثل هذا الموقف العظيم في مثل هذه الفرصة المواتية . وكنا ما كان من المعقول ان دولتين عظيمتين كمالانيا والنمسا مبرحان تحت رحمة بلد لا يبلغ سكانه جزءاً من عشرين جزء من سكانهما . ولم يبق على رومانيا الا أن تسير جيوشها الى اية جهة كانت لتسهل التحمل في الامر للدول التي تهاجمها منذ عامين على غير طائل . وكان الامر متوقفاً على معرفة ما اذا كانت ايرومانيا تستفيد من القوة التي حشدتها . ويظهر ان بلغاريا كانت تتخوف

من هذه القوة اكبر من سواها ، وحكومتها مترددة في اشهار الحرب على رومانيا . ولكنها لم تلبث أن انضمت اليها في اول سبتمبر فظهرت احقاد الشعب البلغارى القديمة المتخلفة من سنة ١٩١٣ حينما هجمت رومانيا مفاجأة على مؤخرة بلغاريا وهى منهكة في مكافحة الصرب واليونان . وكانت وقعة توتراخان اول دليل على صحة عزيمة حليفنا في القتال .

وبما ان استعداداتنا كانت ناقصة فالخطوة التى اوضححتها فيما تقدم لم تنفذ بالطبع . وكان خصمنا حراً في حركاته . وبما انه أتم استعداده وقواه هائلة نسبياً وهى تزداد يوماً بمساعدة الروسيا كما تعلم فقد خشينا أن لا نتمكن من تعطيل حرية عمل القيادة الرومانية من مبتدأ الامر ، وكيفما كان انجاه المهجوم الروماني سواء على جبال ترانسلفانيا أو على دوبريجه فقد كان أمامها اغراض مهمة وادلة تبشر بالظفر . وكنت أخشى هجوماً روسياً رومانياً على الجهة الجنوبية . وكان البلغاريون انفسهم يشكون في اقدام جنودهم على قتال الروسين . ومع ان القائد جيكونف واثق برجاله ولكن هذه اثمة لا يمكن أن تشمل بلغاريا برمتها . والعدو يدرك ان قسماً مهماً من الجيش البلغارى ميال للروسين . وبصرف النظر عن هذا فان رومانيا عيسل الى مديها الى سرايل بانحدارها الى الجنوب . فما يكون موقفنا اذا خال العدو دون اتصالنا بتركيا أو اذا فعل بلغاريا منا ؟ ان تركيا اذا عزت وبقيت مهددة في ارمينيا وفي تراقيا ، والنمسا اذا فقدت كل أمل في النجاح لا تستطيع ان تغلبنا على هذا الانقلاب الذى أصاب الحالة العامة . فالهجوم الذى قرره سلفى لما كنتين موافق للضرورة الحاضرة ولم يكن من الموافق عبور الدانوب بالقوى الموجودة في شمال بلغاريا ، بل كان يكفيننا أن نهاجم دوبريجه . ونفسد على العدو خطة قتاله . ولادراك

هذا الغرض لا يجب الاقتصار على أخذ توتراخان وسيلاستره بل وجب علينا ان نستخدم فوزنا في دوربريجه في القاء الرعب في المعسكر الروماني الاكبر بالضغط على مؤخرة قواه الاساسية المشتبكة في تخوم ترانسلفانيا فافلحنا بتنفيذ هذه الاعمال كلها . وتقدم جيش ماكيزين الى خط كونستنزا - كزيرنافودا . فاضطرت القيادة الالمانية الى استئدام قوى من ميدان ترانسلفانيا الى دوربريجه . بل لقد حاولت الانقضاض بقوى جديدة على مؤخرة ماكيزين من جهة راهوفو باجتياز الدانوب في اتجاه روسكول . خطة لطيفة على الورق ! والى اليوم لا ندرى اذا كان مخططها من القيادة الرومانية أو من دول الاتفاق . ولما نمتد الرومانيون هذا العمل المتخطي حد الحسارة في ٢ اكتوبر عنت لي هذه الفكرة التي اوضححتها وهى : « اطبقوا على هذه الجنود ! » فتحولت رغبتى الى أمر نتمهذ الالمانيون والبلغار يون . فلم ير الا النذر القليل من الالفى عشر طابوراً التي اجتازت الدانوب عند راهوفو وطنهم طول مدة الحرب .

وحلت المصيبة على رومانيا لان جيشها لم يهاجم ولان قيادتها لم تدر ماذا تصنع ولاننا سمكنا من حشد القوى الكافية في ترانسلفانيا قبل قوات الوقت . نعم كافية امام مثل هذا الخصم ! ولقد نسب الى الجنود اذا علمت مقادير القوى التي واجهنا بها العدو في كل مكان ومقدار الجنود التي مزق بها القائد فالكنهاين في ٢٩ سبتمبر الجناح الغربى الروماني في هرومانستاد . وعلى أثر هذه الواقعة تقدم القائد فالكنهاين الى الشرق وزحف على كرونستاد مستخدماً بتفوق الجيش الروماني ومناعة مواعده مارا بسفوح الجبال . فاحجم الرومانيون لنقدمهم الثمة في تفوقهم وقدرتهم وتوقعوا في كل جبهتهم ثم تراجعوا اول خطوة . فاستولى القائد فالكنهاين على ناصية

الجبال وكسر مناومة الخشم في جنوب جايستر فالد واستمر في زحفه .
فادخل الرومانيون ترانسلفانيا بعد هزيمتهم في ١٨ أكتوبر في كرونستاد .
فرأينا أن نستفيد من ظفرنا بجمالة الزحف من كرونستاد الي بوخارست .
رأسا . وعلى الرغم من الجبال الشاهقة الفاحشة التي كانت تعترضنا كنا نرى
ان المائدة الثانية من هذه الحركة في ممتهى الأهمية . فلم نتجح في هذه المهمة
على الرغم من الجهود العظيمة التي بذلها جنودنا للاستيلاء على كل ربوة
وقعة بل من حخرة . رسم الاختناق في ١٩ أكتوبر بسبب قدوم الشتاء مع حيل
واكتساء الجبال بالجليد واستحالة السير في الطرق . ومع تحمل جنودنا
الآلام وحرماتهم من اغلب وسائل الحياة الضرورية ظلوا محتفظين بما
امتوازا عليه .

ودلنا التجارب التي اكدسناها الى حيننا الحين على انتاج طرق أخرى
توصلنا الى قلب ولاية الافلاق . ففرض علينا القائد القلكنهاين ان نخرج
رومانيا من بجاز زردق السكان في القسم الغربي من الجبال . وهذا الاتجاه
ليست له فائدة حربية كبيرة الا انه السبيل الوحيد في الحالة الراهنة من
وجهة الحطة والبن المسكرين . فدخلنا رومانيا في ١٩ نوفمبر باقتحام هذا
الجزء . وكان المارشال ما كزين في هذه المدة قد تأهب في جنوب الانوب
للانصال بتوني اغارنا القادمة من الشمال . نهزم في ٢١ أكتوبر الجيش
الروسي الروماني في جنوب سكة حديد كرونستاد — كز رانغيدا هزيمة
ثامة . وفي ٢٢ أكتوبر سنطت كرونستاد في قبضة الجيش الثالث الهلنارى
فارتد العدو الى الشمال . أما حين نورثنا هجومنا عند الحط الحديدى
المذكور وتركنا فيه قوة ضئيلة كاثية لحمايته وقتلنا بقية القوة الى سيستوف .
وفي الحقيقة كان الاستيلاء على كل دوريجيه حالا مهمة كبيرة ثم الاغارة

فيما بعد مع المرور على براديس على البنية السكانية في شمال الدانوب اللانغمانس
على مؤرخة القوي الرومانية الكبرى . ولكن كيف انسيبل الى نفل
الأدوات الحربية الى القمم الشمالى من دوريه ، لا توجد خطوط حديدية
في هذه الجهة وسكة حديد الدانوب تعترضها بطاريات الشاطئ الشمالى
الرومانية . ويجب ان نشكر القدر على عدم فتح البطاريات الرومانية باداة
نقل اثقالنا الوحيدة التى ظلت عدة اشهر على مرمرى النذائف الرومانية في
جهة سيسستوف وهى غلطة غير مفهومة من اعدائنا . فمن الممكن ان عبور
النهر من هذه النقطة على الاقل . وفى فجر ٢٢ نوفمبر عبر المارشال ما كينزين
الدانوب الى الشاطئ الشمالى . فتم اتصاله بالنائد ذالكينهاين حيث اجتمعوا
في معركة ارجيش وسحقوا القوي الرومانية الكبرى . وكان آخر الانمال في
١٠ ديسمبر اذ سقطت بخاريسست بدون مقاومة . وختمت تقريرى في
مساء هذا اليوم بهتين السكنتين : « يوم اغرا ! » وعند ما خرجت من
مكتبى مساء كانت اجراس السكناثس بيليس تخرج مسكراً لله على انتصارنا
الجديد العظيم . وكنت من مدة قد تخليت في امثال هذه الاوقات عن
التفكير فى غير ما قامت به جنودنا من الاعمال العظيمة وما ينبغي ان تقوم
من الاعمال الاخرى التى تدنينا من نهاية صراعنا الشاق وضحايانا العظيمة .
لقد حسبنا ان الاستيلاء على العاصمة الرومانية سيكون حربياً اكثر
مما حدث اذ حسبناها قلعة حصينة خلبنا لها مدافع من اكبر العيارات واذا
بها مدينة مفتحة الابواب . ان جواسيسنا في وقت السلم الذين جعل لهم
اعدائنا اهمية كبرى لم يكونوا قبل هذه الحملة يسبون ان بخاريسست غير
مسلحة ! ان مال رومانيا انتهى بحالة فاجعة . قال العالم اجمع وعلى الاخص
رومانيا يدرك حقيقة المثل القائل : « ان من يرد ان يكون نعسا في الحرب

فليتأزل المانيا. ولكنى بذكر هذا البيت الشعري لا اريد ان ابخس التمساً وبلغاريا وتركيا حقهم في هذا العمل العظيم البديع . ولقد ادرك حسن الحظ رومانيا بنجاة بقايا جيشها بفضل النجدة التي ارسلتها اليها روسيا . ولقد حامت بان ترى روسيا معترفة لها بالجميل كما حدث في عام ١٨٧٨ في ميدان بليفنا الا ان الحقيقة ازال هذا الحلم لان الزمن كان قد تغير .

وكننت قد اوضحت في اواخر اكتوبر ١٩١٦ لرئيسى الاعلى الجليل ان الحملة الرومانية تنتهى في نهاية العام . وفى ٣١ ديسمبر رفعت تقريرى لصاحب الجلالة بان جنودنا بلغت السيرت وان البلغاريين استقروا على الشاطئ الجنوبي من دلتا الدانوب وبذلك وصلنا الى الغرض المقصود .

مصادمات على الجبهة المقدونية

لقد ازدادت مصاعب موقفنا العسكري في خريف ١٩١٦ بمصادمات مقدونيا . لقد اخطأ جيش سرايل بعدم هجومه عند ما أعلنت رومانيا الحرب اذ كنا نتوقع هجومه في وادي الواردار . فسلو تقدم الى جرادسكو لاستولى على نقطة ملتقى المواصلات البلغارية المهمة ولينع الجيش البلغاري من البناء فى مونستير . الا ان سرايل اضطر على ما يظهر ببواعث سياسية الى الوثوب فى اتجاه مونستير . فأجملت هذه الوثبة الجيش البلغاري عن المواقع التي احتلها خلال اغسطس فى جنوب فلورينا ثم انجلى عن مونستير ولكنه بقي فى شمال هذه المدينة . فارسلنا نجدة مستعدة من جهات أخرى وكانت مخصصة فى الاول للحملة الرومانية الى بلغاريا وعددها

عشرون طابوراً وعدة بطاريات خفيفة وثقيلة ، وهي قوة بسيطة بالنسبة لمجموع قواتنا الا انها جاءت في وقت لم ندخر فيه رجلاً ولا مدفعاً . وكذلك انجبت تركيا بلغارباً بقلب مخلص ، فخلال القوة المحصنة منها للحملة الرومانية ارسل انور باشا فيلقاً برمته ليمكن بلغاريا من سحب جنودها من جهة ستروما . فاستقبلت بلغاريا هذه المساعدة بتهم خشية ان تطالب تركيا بتعويض سياسي . فأكّد لنا انور باشا معارضته لمثل هذه المطالب السياسية . وبالطبع ان بلغاريا كانت تفضل تعضيد المانيا ولكن ذوي الشأن في صوفيا كانوا يحفلون بعدم استعداد المانيا لهذا العمل في هذا الوقت .

ولم يكن لثقل موناستير اهمية عسكرية . وتراجع البلغاريين الى موقع رليب الحصين جداً كان مفيداً للبلغاريين من جهة التموين ومتعباً من هذه الوجهة لخصومتنا . ان الازمات التي لحقت بالبلغاريين في معاركهم الاخيرة مرجعها الى صعوبة مواصلاتها مع مؤخرتها وقلة المؤن والذخائر ونقص وسائل الحضارة في هذه البلاد . لقد اشتبك البلغاريون لأول مرة في موناستير في معارك دفاعية شديدة واخبرنا ضباطنا ان الجنود البلغاريين متشبعون بروح الهجوم الباهر . ودلتنا هذه المعارك على ان البلغاريين مصابون ببعض التأثير من استمرار اطلاق المدافع مدة طويلة . وليست هذه المسألة مدهشة قانها تحدث لدى كل الشعوب التي تدخل الحرب بقوى لا تزال على حالتها الطبيعية . ولا يمكن تحمل هذه الحالة الا اذا كانت الجنود الحاربة قد حصلت على قوة ارادة كافية بطريق التلقين والتدريب . ففي الجيش الالمانى توجد قوة عضلية بانضمامها الى التعلم الزاقي وإلى استعداد الادوات الحربية الكافي تمكّنه من تحمل تأثيرات

الريال الجديد الخائبة . وكان رئيس القيادة البلغارية عالماً بهذا الجانب الضعيف من جنوده وقد أوضحه لي بصراحة وبين لي ما يشغل باله من هذا التجهيل وإن كان ذا طبع قليل التأثير

في الميادين الاسيوية

إن المهمة الموكولة إلى رئاسة أركان الحرب الأكبر للجيش الألماني حديثاً باسم إدارة الحرب العليا شغلنا أيضاً بمسائل الحرب الاسيوية . ففي أوائل سبتمبر ١٩١٦ حينما كان أنور باشا موجوداً في معسكرنا الأكبر أدركنا أن الحالة في آسيا كالتى : وقعت روسيا هجومها في أرمينية على أثر وصولها إلى خط طرابزون أزييجان ، والهجوم التركي الذى حدث في السيف التالى في اتجاه الشمال صادراً من ديار بكر ضد الجناح اليسر للهجوم الرئيسي لم يتقدم بالنظر لتحرية الارض ولضعوبة التموين . ولتذكير الشتاء في هذا العام ينتظر كفى الروس حركتهم في سهل أرمينية الجبل والى الخلد إلى السكون التام .

لنستند أصحاب القوى المركزية في التوتزينات اذحة تجملت بعض الفرق ليس ما سوى الامم بسبب قلة المتونة والملبس والخسائر الدموية بوانوار من الجيش . ونظر أنور باشا بانزعاج إلى اقبال الشتاء لعدم وجود الملابس اللازمة لجيشه ولضعوبة التموين الناتجة كل حد في هذه البقاع التاب انشغال أغلبها من السكان . بالنظر لظروف هذه البلاد الجبلية المقفرة المحرومة من الطرق من حيوانات النقل والذباح كان لابد من نقل أدوات الحرب بمرافق الغذاء والذخائر بواسطة جنود نقل خصيصيين يستعملون على السير مسافات طويلة على مرأجل عديدة . وكانت كذلك بعض النساء

والأولاد يضمن بهذا العمل تلفاء أجر نافه ولكنهن لا يلبثن ان يقضين محبتهم من شدة التعب .

وكانت الحالة أحسن في العراق حينئذ . ولم يكن الانجليز قد أتوا تهديد الطرق التي تمكنهم من الهجوم للنار من هزيمتهم في كوت العماره . ومع ذلك لم تكن نشك في حدوث هذا الهجوم بمدحين . غير اننا لم نكن علمين بمقدرة الاتراك على صد هذا الهجوم المنتظر واحراز النظم . وعلى الرغم من تهاؤل المعسكر الاكبر التركي فقد شدونا في مطالبته بتفريجه جبهته في تلك الجهة . ومن سوء الحظ ان تركيا أرسلت ذيلها برهته الى فارس لاسباب سياسية وبواحد اقتضتها حركة الإمامة الاسلامية فانهجت سيلا سينا .

والميدان الاسيوي انما في جنوب فلسطين كان يحسب لنا مشاغل خلية لان الحملة الألمانية التركية على قناة السويس أخفقت في أوائل اغسطس ١٩١٦ في وسط شبه جزيرة سينا اذ طردت القوات التركية بالتدريج من هذه الناحية حتى وصلت الى جنوب فلسطين في ضواحي غزة . ولا يمكن معرفة الزمان والمكان اللذين سيمصر الهجوم فيهما الا متى أم الانجليز الخط الحديدى الذى يصل قواتهم الزاحمة على فلسطين بمصر . وكان هذا الهجوم أدعى الى تخوف تركيا من الوجهتين السياسية والعسكرية من ذلك الهجوم البعيد في العراق ويمكن الاعتداد بان فساد أورشليم — حتى بدون التفات الى ما يحدثه في سائر النعم الجنوبي من البلاد العربية — بحمل السياسة التركية أمام محنة لا يمكنهم ان تهاجموا . ومن الاسف ان موقف القتال في سوريا لم يكن لتركيا احسن من مواضعها في العراق فان نقص وسائل النقل في الجبهتين على حد سواء

— وهو نقص على نقيض الحالة لدى خصيمتها— ولو لم تصب به لامتشت جنودها بمواد الغذاء ومياه الشرب . ولقد كانت حالة التموين سيئة وقتياً في سوريا ففضلاً عن سوء المحصول وقلة الحساب في التقدير كان السكان العرب معادون للحكومة . ولقد حاولوا اغتاعى أثناء الحرب بضرورة الدفاع عن سوريا والعراق بقوى عظيمة بل وأخذ خطة الهجوم فيهما . ان الشعب الالمانى كان شديد الاهتمام بهذين الميدانين . فكانت افكاره تخلق في جو الاوهام مندفعة من العراق الى فارس ومن الافغان الى الهند ومن سورية الى مصر .

وكانوا يتناولون الخريطة ويتوهمون المقدرة بالتمكن من هذه السبل على تناول الأعصاب الحيوية للمركز الذى تشغله إنجلترا في العالم وهو المركز الذى يحررنا . وربما كانت هذه الافكار هي خطط نابليون القديمة . ولتحقيق هذه الخطط لا بد من خطوط تموين كافية .

الجبهتان الشرقية والغربية الى آخر عام ١٩١٦

بينما نحن نسحق رومانيا كانت الهجمات الروسية متتابعة في الكربات وغاليسيا . فقد استسهلت روسيا موالاة هجماتها في الجبهة الغاليسية عن مساعدة حليفها في ترانسلفانيا على انها ساعدت رومانيا في دربرجيه من المبدأ . وكانت ترمى الى غرضين أحدهما سياسي والآخر عسكري . اذ كانت روسيا تهتم بميل الجنود البلغارية اليها ولكن الجنود البلغاريين قابلو الضباط والعساكر الروسين بالرصاص . وكانت روسيا لا ترى غضاضة في استيلاء الرومانيين على ترانسلفانيا ولكنها لا تريد ان تراهم يصرعون بلغاريا وحدهم ويفتحون القسطنطينية أو يفتحون طريقها على

الاقبل لان هذا نصيب روسيا التاريخي
لقد حسبت روسيا انها عطلت دول الوسط بل جعلتهم غير قادرين
على القتال . أما الحقيقة فهي ان الهجمات الروسية لم تبلغ كل أغراضها
ولكنها عرضتنا لازمات خطيرة .

وما كان يهمننا في خططنا العامة ان نفقد بعض مساحات من الاراضى
لولا وجود آبار البترول التى لا غنى عنها لاستعمار أعمالنا الحربية وراء
خطوطنا . وهذا ما اضطرنا الى جلب قوى الى هذا الميدان من الوحدات
المخصصة للهجوم الرومانى ولقد توقعت ان دخول رومانيا الحرب سيجعل
الفرنسيين والانجليز يشتدون في هجومهم على جبهتنا الغربية وهذا ما حدث
بالفعل . وبعد تعيينى بقليل فى المعسكر العام استصدرت توقيع الامبراطور
على أمر بإبطال الهجوم على فردان لانه لن يؤدي الى أية نتيجة حاسمة بل يظل
كيجرح لا يندمل . واليوم لا أحجم عن القول بأنه كان يجب ان نتخلى بارادتنا عن
قسم من الاراضى المفتحة امام فردان لاصلاح مركزنا . غير انى لم أقدم على
هذا فى خريف ١٩١٦ للمحافظة على الحالة الادبية لدى شعبنا . وكنا نحسب
ان العدو يلتزم الدفاع اذا تركنا الهجوم فخاب ظننا لان الفرنسيين قاموا
فى آخر اكتوبر بكرة حادة على شاطئ الميزالين وانهضوا على خطوطنا
ففقدنا دو ومون ولم نستطع ردها لقلة الجنود . وفى هذه الكرة ترك العدو
عادته القديمة واقتصر على اطلاق المدافع وقاذفات الالغام مدة قصيرة
ولكن بمنتهى السرعة التى فى وسع الانسان والآلات المستعملة ثم هجمت
القوة المستورة وراء التمهيد على خصومها الذين التجأوا الى مخابهم من
هذا الهول العظيم . ولم تنته وقائع فردان الا فى ديسمبر
. وفى أواخر أغسطس اشتدت معركة السوم وتحولت الى صراع جبهي .

ولم يكن في وسع المعسكر العام سوى أن يقدم العساكر اللازمة . وكانوا يطلقون عندنا على مثل هذه المعركة اسم « معارك المهسات الحربية »
 وإذا كان خصومنا لم يتوقفوا فيما بين ١٩١٥ و ١٩١٦ الى ادراك الفوز
 الحاسم فما ذلك الا لتضييق عقل قيادتهم اذ لم تكن تعوزهم الرجال والمواد
 الحربية . وزيادة على ذلك ان خصومنا الغربيين حاصلون على كل ما يلزم
 من الخطوط الحديدية والطرق المنتظمة .

وفي مستهل سبتمبر طفت الجبهة الغربية مع القائد لودندورف لمعرفة
 شؤون المكافحة في هذا الميدان لتتدارك وجه الضعف . وانضم اليها
 سمو ولي العهد في الطريق ، وقد التفت به مراراً فيما بعد . وفي كمبريه
 سلمت عصا المارشاليه بأمر الامبراطور الى القائد الاميرين وريثي بافاريا
 وورتمبرج . ثم تفاوضت ملياً مع رؤساء اركان حرب جيوش الجبهة
 الشرقية . فطلبوا التجهيل بتلافي الخطا في الطيران والسلاح والذخائر
 فتغلبت همة القائد لودندورف على هذه الازمة . ثم فرحت بسمعي من
 الضباط فيما بعد بان مفاوضات كمبريه اتمرت . وقد علمت في هذه السياحة
 جسامه المجبررات الملقاة على كواهل جيوشنا في الجبهة الغربية . ومع ذلك
 فقد ساءوا جميعاً هذا الجود وأرادوا الهجوم المقرون بالنصر وكثيرون منهم
 ماتوا في خنادقهم دون ان يروا ما ياملون .

ولم يبدأ الصراع في منطقة السرم الا بهطول الامطار التي منعت السير .
 ولقد استعصى اتيهاج الظفر على الخصمين اذ كان شبح هذه المعركة الهاثل
 يروع المتناين . ومخبط هول هذه المعركة احوال فردان !

الجزء الاول ويليه الجزء الثاني

Bibliotheca Alexandrina



0383160